ISN=170447
SHE
111

منشورات
جامعة بيرزيت
مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة (رقم ١٨)

DS
110
.A32
Y3
1995

قرية ابو شوشة

(قضاء الرملة)

مكتبة جامعة بيرزيت
٢١٢٢٢
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

تأليف

نصر يعقوب و فاهوم الشلبي

إشراف

د. وليد مصطفى و د. صالح عبد الجواد

آذار/مارس ١٩٩٥

Digitized by Birzeit University Library

* صدر عن مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

المراسلات: مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني
ص.ب ١٤ بيرزيت
جامعة بيرزيت
فاكس: ٩٥٦٤٢٨
تلفون: ٩٥٧٨٤٢-٢- ٩٧٢

المراسلات من الوطن العربي :

جامعة بيرزيت – مكتب الإرتباط
ص.ب ٩٥٠٦٦٦
فاكس: ٨٢٧٢٠٢
عمان – الأردن

تدقيق لغوي : علي الخواجا وطارق حميدة
طباعة : ربى بربار وخولة الدسوقي
مونتاج خرائط وثائق وصور : عبد الرحيم المدور

حقوق الطبع محفوظة لجامعة بيرزيت – ١٩٩٥

تم انجاز هذه الدراسة ونشرها
بدعم كريم من
المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة
(الايسيسكو)

Digitized by Birzeit University Library

المحتـــويات

تقديم مدير المركز	١
تصدير وشكر	١١
الفصل الأول : القسم الجغرافي	١٧
الفصل الثاني : أبو شوشة عبر التاريخ	٣٧
الفصل الثالث : الحياة الاقتصادية	٧٧
الفصل الرابع : الحياة الإجتماعية	١٢٧
الفصل الخامس : الرحيل	١٨١
الهوامش	٢٢٩
المصادر والمراجع	٢٤٧
الملاحق والوثائق	٢٥٥
صور من أبو شوشة	٢٦٩

Digitized by Birzeit University Library

فهرس الخرائط والأشكال والجداول

جدول معدلات الحرارة والرطوبة والضغط الجوي	٢٤
جدول متوسط درجات الحرارة الشهري	٢٥
جدول معدلات سقوط الأمطار	٢٦
رسوم بيانية لمعدلات سقوط الأمطار	٢٨
خارطة فلسطين (٧٠٠٠ ق.م - ٣٢٠٠ ق.م)	٤٥
خارطة فلسطين (١٦٠٠ ق.م - ١٢٠٠ ق.م)	٤٧
خارطة المدن الكنعانية (١٤٠٠ ق.م - ١٣٥٠ ق.م)	٤٨
خارطة حملات تغلات بيلاصر (٧٤٥ ق.م - ٧٢٧ ق.م)	٥٣
خارطة فلسطين أيام المسيح عليه السلام	٥٥
خارطة أبو شوشة عام ١٨٧٤	٦٧
خارطة خطة التقسيم لعام ١٩٤٧	١٩١
خارطة الوضع العسكري في فلسطين ١٩٤٨/٥/١٤	١٩٦
خارطة القرى المدمرة في قضاء الرملة	٢٢٤
خارطة المناطق الطبيعية والمواصلات في محيط أبو شوشة	٢٧٩

تقديم

أبو شوشة والمذبحة المجهولة أو " معادلة الموت أو الرحيل "

في فجر يوم ١٩٤٨/٥/١٤، وفي اللحظات التي ستبدأ فيها أولى تباشير النهار بالانسلال من جوف الليل، وبينما كان المؤذن يدعو المؤمنين مبشرا بأن " الصلاة خير من النوم "، وبينما كان صدى " أن لا إله إلا الله " يتردد في السهول والوديان، شنت وحدات من لواء جفعاتي هجوما نهائيا على قرية أبو شوشة الى الشرق من مدينة الرملة بهدف احتلالها وطرد أهلها .

كانت تلك بداية مذبحة رهيبة مجهولة، لم يكشف النقاب عنها حتى الآن، راح ضحيتها حوالي ٦٠ شخصا من النساء والرجال والشيوخ والاطفال. المحظوظون منهم قتلوا رميا بالرصاص فرادى، أو جماعات صفوا أمام الجدران، أما الآخرون فقد فلقت هاماتهم بالبلطات في ازقة القرية أو داخل البيوت حيث لمحت عيونهم في انفراجتها الأخيرة، وعن قرب، التعبيرات الوحشية عديمة الانسانية لوجوه قاتليها. كانت المذبحة بحجمها وأبعادها المأساوية صدمة مذهلة لأبناء القرية، فاقت أبشع كوابيسهم.

بخوف وعجز راقب اهالي أبو شوشة وبعض من اهالي قرية صيدون المجاورة والذين احتموا بهم، التعزيزات العسكرية اليهودية، تصل إلى " جيرانهم في " مستوطنة "جيزر" في ظهيرة اليوم السابق للمذبحة. كان الجميع يدرك ان هذه استعدادات لشن الهجوم النهائي على القرية والذي جاء في اعقاب مناوشات متباعدة كانت تدور منذ عدة أشهر، تخللتها حرب نفسية شنها قادة مستوطنة جيزر تحت شعار اتفاقية " عدم اعتداء وسلام محلية "*.

---

* في الواقع كان هناك عدة عروض من هذا النوع لاقت تجاوبا من قبل وجهاء بعض القرى العربية وعلى سبيل المثال لا الحصر: الشيخ مونس، الجماسين، المسعودية، قيسارية، دير ياسين، غير أن الصهاينة لم يحترموا فيما بعد عهودهم وقاموا باجلاء سكان هذه القرى، عندما مال ميزان القوى إلى صالحهم، واما في حالة دير ياسين فان الاتفاقية مع مختارها لم تمنع اليهود من تنفيذ المجزرة بحق ابنائها واجلاء البقية الباقية منهم .

Digitized by Birzeit University Library

بعض البيوت الكبيرة حيث تولين عملية الطبخ وتوزيع الطعام بشكل جماعي وخلال هذه الفترة نجح أحد الرجال في التسلل للقرية حيث اصطحب - مغامرا بحياته - اكثر من مرة عدة مجموعات من النساء اللواتي كن لا يفكرن الا في الهرب من هذا الكابوس الكبير واللحاق برجالهن من الذين استطاعوا الفرار اثناء الهجوم والذين التجأوا الى قريتي القباب والنعاني المجاورتين حيث انتظروا بقلق وعلى نار من الجمر افراد عائلاتهم .

لم يعلم الجنود بأمر تسرب بعض النساء، إذ ظلت الغالبية في القرية، وبعد أيام أمر القائد الاسرائيلي بتجميع النساء في دار "الخواجا" حيث طلب منهن الرحيل " شرقا ، الى حيث الملك عبدالله " بعد أن رفض توسلاتهن بالسماح لهن بالعودة ولو لساعة لاصطحاب الضروري من الحاجيات . ولم ينس الجند أن يعدوا للراحلين احتفالا يليق بهم، إذ اصطفوا على طول خطين متوازيين يبعد احدهما عن الاخر ثلاثة امتار، وفيما كانت النساء تجرجر اطفالهن باكيات، كان الجنود يطلقون النار بين الأرجل تخويفا وارهابا، الامر الذي أدى الى جرح ثلاث نساء وطفل، ومعظمهم في الأرجل، كما أجهضت ثلاث نساء، وهكذا تبعثر سكان قرية اخرى من قرى فلسطين، يعود تاريخها إلى اكثر من ستة الاف عام .

من مهازل المفارقات انه في تمام الساعة الواحدة ظهرا من اليوم الرابع عشر من أيار، أي بعد عدة ساعات من اكتمال مجزرة أبو شوشة في ضحى ذلك اليوم، كان " مجلس الشعب " اليهودي يصادق في تل ابيب على وثيقة اعلان دولة اسرائيل. كانت الوثيقة تعد سكان الدولة العرب - والتي كان اهل ابو شوشة ضمن حدودها - بـ " المواطنة التامة القائمة على المساواة والتمثيل المناسب في جميع مؤسسات الدولة " .

توجد لدى المركز شهادات متناقضة حول توقيت تدمير القرية بعد تهجير أهلها، ففي حين يقول الكاتب الاسرائيلي بني موريس أن القرية نسفت ودمرت بشكل كامل بعد احتلالها مباشرة تفيد الروايات التي جمعناها أن معظم مباني القرية كانت سليمة لدى عودة و " تسلل" بعض مواطني القرية اليها بعد عدة اشهر من رحيلهم، ويتوافق هذا مع شهادة لم نستطع تأكيدها لراع عربي اخبر اهلها ان القرية ظلت قائمة حتى عام ١٩٦٧ .

في كل الاحوال لم تكن القرية قائمة عام ١٩٦٧ إذ تحولت المنازل المدمرة الى مجرد اكوام من الحجارة، وفي عام ١٩٧٨ جرفت المنطقة بشكل كامل بحيث اصبح متعذرا التعرف

على المكان عندما قام فريق عمل ثلاثي من مركز الابحاث بزيارة للموقع في ١٩٨٧/٥/١٩، وكذلك خلال زيارتي للموقع في ١٩٩٣/٩/٢٠، والتي تمت في ظل ظروف صعبة، وساعات من السير على الاقدام، للعثور على موقع القرية .

تشترك أبو شوشة مع غيرها من حوالي ٤٥٠ قرية فلسطينية عربية مدمرة عام ١٩٤٨، في قدر ومصير التدمير والابادة كمجتمع انساني محلي، كما تشترك في حقيقة أن تدميرها لم يأت بفعل الاحداث التي ترافق الحروب وويلاتها، وانما نتيجة لمخطط مدروس لم يكن يرى في القرى التي دمرها مجتمعا يمر بدورة الحياة، يزرع ويفلح، يحصد ويغني، يزف ابناءه ويندب موتاه وانما نقطه على خارطة تضم عربا يجب اقتلاعهم لصالح الاستيطان الصهيوني .

من بين كل القرى المدمرة التي عمل المركز على اصدارها، تمثل أبو شوشة موقعا خاصا في قلبنا ومن تاريخنا، بحكم هذه المذبحة المجهولة والتي نكشف النقاب عنها لأول مرة، إذ لم يسبق أن ذكرت المذبحة في أي مصدر، أكان عربيا أم اسرائيليا أم غربيا . كان اكتشاف "المذبحة " مفاجأة كبرى، وكان السؤال المطروح: لماذا ظل الأمر مخفيا.؟ لماذا لم يهتم اهل القرية أنفسهم بالحديث عما دار في المحافل والمجالس ووسائل الاعلام ؟ أهو الشعور الذي يخالط الفلسطينيين، بأن الظلم الذي وقع، قد وقع وأن الحاكم هو الجلاد؟ على كل حال استغلت المصادر الاسرائيلية الرسمية، بما فيها كتاب يوميات الحرب لبن غوريون، واقع الصمت ، لتتجاهل كلية هذا الموضوع، رغم انه يخالجني الشعور بناء على ما تم في أبو شوشة ومن قراءة العديد من المصادر الاسرائيلية حول تلك الفترة أن قرار الطرد النهائي لمن تبقى من السكان، والذي تم بعد عدة ايام من احتلال القرية قد جاء بناء على قرار "من فوق" وبالتحديد من بن غوريون نفسه .

اهمية خاصة اخرى لمذبحة ابو شوشة، تجعلها تفوق في رأينا أهمية مذبحة دير ياسين والدوايمة رغم أن عدد الضحايا فيهما اكبر، يتمثل في انه للمرة الأولى عند معالجة أي مذبحة تمت اعادة تركيب ما حدث بشكل قريب من الدقة، ومعرفة اسماء وأعمار الغالبية العظمى من الضحايا، وتحديد اين وكيف ومتى قتلوا في سياق مسلسل " تقشعر له الابدان ".

إن قرية أبو شوشة هي الحلقة ١٨ في "سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة " التي تصدر عن : مشروع توثيق القرى الفلسطينية المدمرة التابع لمركز أبحاث جامعة بيرزيت. وقد ولدت

Digitized by Birzeit University Library

فكرة المشروع الطموحة عام ١٩٧٩ على يد الأستاذين شريف كناعنة وكمال عبد الفتاح. وقد قام الأول من خلال عمله مديرا للمركز بالإشراف على هذا المشروع في الفترة السابقة، ونأتي اليوم لنكمل ما بدأاه .

كانت الفكرة ولا تزال، أنه وبعد عدد من السنين، سيكون ذلك الجيل من السكان الذي عاش في تلك القرى، والذي يعرف بشكل مباشر حياة القرية، قد رحل، وغابت معه إلى الابد المعلومات النادرة والحية عن تلك القرى، لذلك فمن الضروري والواجب جمع المعلومات من هذا الجيل وتسجيلها، وتدوينها، وتنسيقها، بحيث نحصل على دراسة مفصلة عن كل قرية أبيدت، محاولين قدر الإمكان إعطاء وصف لحياة الناس، أفراحهم، وأتراحهم، وعاداتهم الإجتماعية، وكيف رحلوا عن قراهم، بحيث يتمكن القارىء - وبخاصة أبناء تلك القرى الذين تركوها صغارا، أو الأجيال التي ولدت لاحقا في المنافي والشتات - من الشعور بالارتباط والانتساب إلى قرية ومجتمع وطني حقيقي، وكأنهم عاشوا فيه، وليس مجرد اسم كان يوما ما على خارطة فلسطين .

من جانب آخر، فنحن اليوم أمام مرحلة سياسية جديدة، لا بد من أن يكون لها انعكاساتها على الجوانب الثقافية والتاريخية، ففي أعقاب الاتفاقية الإسرائيلية الفلسطينية في ١٩٩٣/٩/١٣، وهي اتفاقية يجمع المؤيدون والرافضون على أنها اتفاقية مجحفة، تبرز في الأفق مخاطر من نوع جديد، ونعني بذلك خطر الطمس الثقافي. لقد غرس الفلسطينيون وطنهم السليب وأرضهم في كيانهم نفسه، ومن الضروري اليوم الحفاظ على الوطن وحراسته ثقافيا، وإذا لم يكن بوسعنا استرداد الوطن سياسيا فيجب ألا نفرط فيه ثقافيا وتاريخيا .

وهكذا، وفي ظل غياب ورحيل معظم المعمرين عن عالمنا، وفي ضوء المخاطر السياسية، والثقافية الجديدة، تصبح عملية تسجيل شهادات المعاصرين للقرى الفلسطينية قبل تدميرها مهمة وطنية عليا، تقع على عاتق كل فرد مثقف فينا. إن كتاب "أبو شوشة" لأكبر دليل على الخدمة الهائلة التي يمكن ان يقدمها التاريخ الشفوي لاعادة كتابة التاريخ الفلسطيني ولذلك فان مركز الأبحاث قد توصل إلى ان اكبر عمل ممكن ان يقوم به الأن هو مشروع " سباق مع الزمن " وهو مشروع يرى ضرورة البدء في حملة وطنية شاملة لتسجيل شهادات معمرين مختارين من حوالي ١٠٠٠ قرية ومدينة اضافة إلى مضارب البدو في فلسطين، بعد تدريب كادر مؤهل لذلك وتصنيف وتبويب هذه التسجيلات المرئية والمسموعة (من نسختين واحدة

داخل الوطن والأخرى خارجه) ضمن مكتبة متخصصة للتاريخ الشفوي الفلسطيني، لاستخدام الباحثين فيما بعد. وعلى كل مثقف أو مقتدر من أبناء هذه القرى أن يساهم - دونما تردد - إما بالكتابة عن قريته أو أن يقوم - ولو بجزء يسير - بتمويل هذا المشروع الحيوي، ليبقى لنا على مر السنين* .

سيرى القارىء المهتم والمتابع لسلسلة "القرى الفلسطينية المدمرة " كيف طعمت مصادر التاريخ الشفوي المستندة على روايات أبناء القرية بالمصادر المكتوبة والتاريخية، الأمر الذي أغنى الدراسة، وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ القرية وموروثاتها، كما أضاف إلى مصادر التاريخ الشفوي بعضا من الدقة والتفصيل .

أما الأوهام والخرافات، والمعلومات المغلوطة التي يتداولها بعض أهالي القرية خاصة المعمرين منهم ، فقد قدمت كذلك ولكن دون عرضها وكأنها جزء من الحقيقة، كما أننا حرصنا على العودة إلى بعض المصادر الإسرائيلية لإغناء البحث وتنقيحه .

ومن الضروري أن نوضح بأننا نعمل في " مشروع القرى المدمرة " تحت ظروف صعبة، أهمها تشتت سكان القرية، وعدم إمكانية إجراء مقابلات مع عينات تمثل جميع حمائل وعائلات القرية، خاصة وأن جزءا كبيرا منهم مقيم في الأردن ولهذا، فاننا نعلم أنه توجد في هذه الدراسة بعض الثغرات والأخطاء غير المقصودة، وبالذات في ما يتعلق بموضوع العائلات الذي ينظر إليه بحساسية بالغة، وعليه، فاننا نرجو اعتبار هذه الطبعة التي طبع منها ١٠٠٠ نسخة فقط بمثابة طبعة أولى قابلة للتصحيح والإضافة، إذا ما تفضل أهالي القرية بامدادانا بأية معلومات إضافية على عنوان المركز في جامعة بيرزيت، أو من خلال مكتب ارتباط الجامعة في الأردن، للمقيمين خارج الوطن، كي ندرجها - كما جرت العادة في المركز - في طبعة ثانية وخصوصا المعلومات المتعلقة بالرحيل وأماكن اللجوء والإقامة. كما يلاحظ القارىء أنه

---

* لدى مركز الأبحاث استمارة اسئلة من ١٥ صفحة تغطي الجوانب المتعددة لحياة القرية الفلسطينية، وبامكان من اراد من الباحثين حول القرى بشكل عام والقرى المدمرة بشكل خاص الحصول عليها من مركز الأبحاث بجامعة بيرزيت .

Digitized by Birzeit University Library

وكذلك السيد يوسف سعيد الحموي/أبو السعيد/ والذي تعارفنا على تسميته " بالمخزن " لتذكره تفاصيل الامور ودقائقها، ولقدومه للمركز، فله ولحديثه الصريح ولتعاونه ومعلوماته التي أوفانا بها عظيم الشكر والإمتنان .

ولا ننسى ابدا، بقية الرواة، الذين أقدم لهم الشكر الجزيل على ما بذلوه من جهد، وما منحونا من وقت، أحسب ان التقدير باللسان لا يفي بالبيان عما كان لهم من أثر في إقامة أركان هذه الدراسة ، فالشكر والتقدير لكل الرواة والـذين ثبتنا اسماءهم في مراجع هذه الدراسة .

لقد كان دمج المصادر المكتوبة بالشفوية أمرا في غاية الأهمية، وهذا ما يدعوني على نحو من الوجوب والالتزام أن أقدم الشكر ايضا إلى أمينة مكتبة مركز الأبحاث والتي تعمل بصمت السيدة ريم غزال، على جهدها في مساعدتنا وبكامل المسؤولية في توفير ما كنا بحاجة إليه من مصادر.

وكان لإرفاق هذه الدراسة بالخرائط والصور اللازمة بعد حيوي لربط التاريخ بالجغرافيا، وقد قام بالمنتجة ببراعة، السيد عبد الرحيم المدور/ ابو البدر/ والذي بذل جهدا مضاعفا في هذا الشأن، فله جزيل الشكر والامتنان على عمله الذي أتمه وانجزه خير قيام .

وكذا الحال لمن ساهم في انجاز هذه الدراسة طباعة وتدقيقا ومراجعة، فشكرا للانسة ربى بربار على جهدها الكبير ومساعدتها في انجاز هذه الدراسة طباعة ومنتجة وشكرا للسيدين علي الخواجا وطارق حميدة على قيامهما بالمراجعة والتدقيق اللغوي .

ونشكر العاملين في معهد الآثار الفلسطيني التابع لجامعة بيرزيت على مساعداتهم وتعليقاتهم حول المادة الاثرية التي تضمنها الكتاب، وللسيد نائل جلال البس على تدقيقه لشهداء قرية صيدون .

وليس من باب المجاملة أو المصانعة، أن أشكر المشرفين على هذه الدراسة د. صالح عبد الجواد ود.وليد مصطفى اللذان أعانني بمناقشاتهما واقتراحاتهما ومراجعتهما التي كان لها بالغ الإفادة في سد الثغرات واغناء المادة وتوجيهي وتشجيعي .

وأخيرا، فأنني ارجو أن تحدث هذه الدراسة صدى في أبناء الجيل الجديد بان يجد فيها ما يساعده على هضم وفهم تاريخه وماضيه ليمكنه تغذية السير تجاه المستقبل، فمع حرصنا على أن تشكل هذه الدراسة معينا في هذا المجال رغم المخاطر والتنبيه إلى مكامن الخطر، فان علينا ان نزرع الأمل، وان نؤكد اليقين. فهذه الأمة كان لها أيام، وسيكون لها في المستقبل باذن الله .

١٩٩٥/١/٢٠

نصر يعقوب

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الأول
القسم الجغرافي

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الأول
القسم الجغرافي

الموقع وأهميته:

توجد ثلاث قرى في فلسطين تحمل الاسم نفسه: "أبو شوشة" وهي: أبو شوشة من أعمال الرملة ، وتقع إلى الجنوب الشرقي منها ، وهذه القرية هي موضوع بحثنا . وأبو شوشة من أعمال حيفا على حدود مرج ابن عامر شمال غرب اللجون. وأبو شوشة من أعمال طبريا ، والمشهورة باسم غوير أبو شوشة غرب بحيرة طبريا وشمال مدينتها – طبريا- .

وعلاوة على ذلك ، فاننا نجد اسم أبو شوشة ، يطلق على غور قرب طبريا وواد قرب حيفا ١ . ونعتقد بأن هنالك صلة ما تربط بين هذه القرى الثلاث ، وتلك المسميات من حيث أن أصلها واحد ويعود "لأبو شوشة" "قضاء الرملة" ، فهي من الناحية التاريخية أقدمها تواجدا ، وانتقل السكان منها إلى المواقع الجديدة لسبب أو لآخر . وهذا ما سنتطرق إليه أكثر في باب السكان.

ومع ذلك ، فغوير أبو شوشة قبل هدمها كانت أكبر هذه القرى من ناحية عدد السكان والمساحة ، إذ بلغ عدد سكانها عام ١٩٤٥م (١٣٩٧) نسمه ، ومساحتها (١٢٠٩٨) دونما . أما أبو شوشة قضاء حيفا فهي متساوية تقريبا مع أبو شوشة الرملة من ناحية مساحة أراضيها وكذلك في عدد السكان ٢.

كانت أبو شوشة – قضاء الرملة – تقع على السفح الجنوبي الغربي لتل الجزر والذي يرتفع (٢٠٠) متر عن سطح البحر ، على بعد (٨ر٥) كم جنوب شرق مدينة الرملة ، حيث التقاء السهل الساحلي مع حواف التلال التي تشكل مقدمة جبال القدس ٣ . واتصلت القرية بطريق فرعية بطول حوالي (٤) كم مع طريق يافا – القدس الرئيسية القديمة التي مرت إلى الشمال من القرية.

Digitized by Birzeit University Library

أما بالنسبة للموقع ، فإنها تقع على خط عرض (٥١ ٣١ °) وعلى خط طول (٥٥ ٣٤ °) ، وتمثل على شبكة الاحداثيات الفلسطينية بالخط (٥ر١٤٠) شمالا و (٢ر١٤٢) شرقا ٤ .

أما القرى المحيطة بأبو شوشة فهي: من الشمال قرية البرية ، ومن الشمال الشرقي قرية القباب ، ومن الشرق قريتا عمواس واللطرون ، ومن الجنوب الشرقي دير محيسن ومن الجنوب قريتا صيدون وخلدة ، ومن الجنوب الغربي قرية المنصورة . أما من الغرب فهنالك قرية عاقر ، ومن الجهة الشمالية الغربية النعاني.

أقيمت على أراضي القرية ، وبالقرب منها عدة مستعمرات إسرائيلية : أولاها جيزر التي أقيمت شمال القرية عام ١٩٤٥م. أما مستعمرات مشمار أيالون ، وكفار بن نون وبيت يعوزيئل وبيديا ، التي تقع شمال وشمال شرق وشمال غرب موقع أبو شوشة ، فقد أقيمت في الفترة بين ١٩٤٨ – ١٩٦٧م. وكذلك مستوطنات نحشون وبقووع جنوب وجنوب شرق أبو شوشة . أما مستعمرة كرميي يوسف فأقيمت بالقرب من موقع أبو شوشة وذلك بعد العام ١٩٧٧م.

إن قيام أبو شوشة فوق بقعة مرتفعة نسبيا على طريق يافا – القدس القديمة ، وفي المنطقة الانتقالية ، وكحلقة وصل بين السهل الساحلي والمرتفعات الجبلية والغور ، ثم اعتبارها من قرى باب الواد – واد علي٥ وإشرافها على الطريق التجاري الممتد من غزة جنوبا إلى القدس ، ثم إلى الشمال نحو سوريا ولبنان، أدى إلى جعل هذه القرية الصغيرة ذات أهمية منذ العصر الحجري الحديث – قبل التاريخ – . فموقعها هام من الناحيتين الاقتصادية والحربية لتمتعها بذلك الموقع الاستراتيجي ، وبالتالي أصبحت محط أنظار الجيوش والحملات أثناء الحروب ، وسوقا تجاريا أثناء فترات السلم.

المساحة:

بلغت مساحة أراضي أبو شوشة عام ١٩٤٥م قرابة (٩٤٢٥) دونما تتوزع حسب الملكية إلى ٦:

(٢٨٩٦) : دونما لأهل القرية العرب.
(٦٣٣٧) دونما لليهود.

أما من حيث استخدام الأراضي فقسمت كما يلي:
(٢٤) دونما للبناء ، وهي مساحة مسطح القرية.
(٨٠٩٨) دونما للزراعة لكلا الطرفين العرب واليهود.
(١٣٠٣) دونمات أراض غير زراعية.

وأراضي أبو شوشة متموجة لقربها من المرتفعات الجبلية ، ولوجودها في أقصى الطرف الشرقي للسهل الساحلي. ومعظمها صالحة للزراعة. ويتذكر أبو السعيد يوسف الحموي الذي تمتع باللعب طفلا في ازقتها ، وفوق جرونها، وحول عيونها وغادرها مقاتلا – يتذكر أراضي البلد من جهاتها الاربع فيقول : "لنبدأ مثلا من الشرق ، عين يردة ، هذه تقع بيننا وبين القباب جيراننا ، وانت داخل على البلد من القباب على يدك اليمين تسمى عين البطمة وعلى يدك الشمال تسمى التنور ، وانت طالع – طريق البلد كلها طلوع نظرا لوقوع القرية على تلة – ابتطلع على خلة درويش من اليمين ووعر الجايحة من الشمال . اما من الغرب واحنا جايين من الرملة اول ما نبدي من طريق الرملة بعد واد الغويط اللي هي بتحدنا بينا وبين أرض البسطامي ، واحنا مروحين على البلد على يدك الشمال أرض المخيبة وهي أرض واسعة جدا فبنطلع فوق على يدك الشمال أرض دبة النحلة ، واحنا طايحين من دبة النحلة دغري ننزل على المراح اليمين وعلى البياظة من الشمال وعلى وعرة السوق وندخل البلد. اما من جهة قرية البرية جارتنا من الشمال ، واحنا داخلين من البرية ندخل على أرض من اليمين هي سردحنا والساحقة من الشمال وهي وحبل عرار وحجر ابراهيم ، ونرجع للبياظة ولوعرة السوق ثاني . اما واحنا جايين من جهة النعاني من الغرب ، بعد ما نتعدى أرض النعاني ، تلاقينا أرض ظهر دغش من الشمال بعدها الجوهرية ، ومن اليمين حبل فتاح ونظل ماشيين في حبل فتاح وبعدها ديلة أبو حسن ، وبعدها وعرة المعاصر وبعدها الشعرية من جهة الشمال . والشعايرة ثنتين ، ونظل طالعين على مراح البلد وخلة البير عن اليمين ونطلع على الوعرة – وعرة المعاصر وندخل البلد . اما جهة صيدون ، على يدك من جهة اليمين ، وبعد ما نطلع لفوق يصبح شوي وعر ، واللي يحدنا مع صيدون واد الرمل ، بعدها نطلع السمعانية والكرامة ومراح السرجية ولم

Digitized by Birzeit University Library

الفيران هذه كلها على يدك الشمال وندخل البلد على بير الطياشة . وظـــل مسميات البلبسية حدود اهل النعاني" ٧.

ويحيط بهذه الأراضي ، أراضي قرية القباب التي تسمى سردحنا من الشرق وهي لدير ذاكر وتابعة للقباب ، ومن جهة الرملة أراضي أبو يزيد البسطامي حيث فيها كرم ومحجر قديم اسمه البخيت ، ويقدر الراوي سابق الذكر مساحة هذه الأراضي ب (٧٠٠٠) دونـم إضافة إلى بئر ماء نبع على حدود الرملة ، ثم هنالك أراضي قرية النعاني ٨ من الجهة الغربية ، وأراضي قرية صيدون من الجهة الجنوبية ، وأراضي قرية الخلايل من الجهة الجنوبية الغربية.

الجيولوجيا:

تشكلت الأراضي الجيولوجية المكشوفة لأبو شوشة ، وما حولها في الزمن الجيولوجي الثاني الأعلى (عصر السنيونيان قبل ١٣٥ مليون سنة) ، وفي الزمن الجيولوجي الثالث (عصر الأيوسين قبل ٥٥ مليون سنة) ، وفي الزمن الجيولوجـي الرابـع (قبـل ١,٨) مليـون سـنة والصخور التي تعود للسنيونيان تتكون من الحور والصوان ، وتلـك التـي تعـود للأيوسـين فهـي حوارية خليط من الحور والكلس والصوان ٩.

ويرى المختصون أن الأطراف الشرقية للسهل الساحلي ، بما فيها أراضي أبو شوشة ، تظهر فيها أيضا تكوينات من عصر البليوسين (قبل ٥ ملايين سنة) على شكل تلال من الطين الكلسي المتحجر، أما بقية السهل الساحلي ، فترجع في تكوينها - كما أشرنا - إلى ترسبات الزمن الجيولوجي الرابع ، تلك الترسبات التي استمدت موادها الكلسية من جبال نابلس وهضبة القدس والخليل والنقب الشمالي ، واختلطت هذه الترسبات الكلسية بالطمي الذي حملته الاودية النهرية والسيول من تلك المرتفعات ، وألقت بها في السهل الساحلي لتختلط مع ما جاءت به التيارات البحرية القادمة من الجنوب من رمال وطين وطمي النيل اضافة إلى الرمال التي نحتتها الأمواج الشاطئية للبحر، وألقتها بمحاذاة الشاطىء في ترسبات حديثة ١٠.

وهذه الآلية والعملية مستمرة ، الأمر الذي يجعل نسبة الكميات التي يفقدها السهل الساحلي من ترسبات أقل كثيرا من تلك التي يكسبها والمضافة إليه ، مما يعني توسع السهل الساحلي على حساب المرتفعات الجبلية شرقا ، وعلى حساب البحر غربا.

أما أنواع الترب التي تكونت فوق أرض السهل بفعل هذه العملية الترسيبية فهي ترب طينية رملية ، وأخرى طفالية خفيفة ، وهي في مجموعها تنتمي إلـى تربـة تطلق عليها تسمية الحمرة والتي تتصف بصلاحيتها للزراعة بسبب خصوبتها وتهويتها وحفظها للرطوبة ١١ . ويتذكر أحد أبناء القرية / عبد السلام شاهين / أنواع الترب في أبو شوشة ، ويقسمها إلى ثلاثة انواع: تربة حمراء ، تربة بنية ، وتربة حمراء على بيضاء ١٢.

أما بخصـوص انجراف التربة فهو قليل نظرا لتواضع انحدار السهل الساحلي ، إذ تبلغ نسبة انحداره من الشرق إلى الغرب أقل من نصف درجة ١٣.

التضاريس:

من ذلك الوصف العام والسريع ، يمكننا تخيل ، ورسم صورة ذهنية تعيننـا على تصور أشكال وسطح الأرض هنا ، فالمناطق السهلية تتكون من أرض منبسطة قريبة من مستوى سطح البحر ، مقطعة بالأودية ، وتزيد مستويات الارتفاع فيها كلما اتجهنا شرقا ، ويمكن رصد مستويات التفاوت بين (٢٥ - ١٠٠) متر ، وأحيانا (٢٠٠) متر، كما هو الحال في أبو شوشة . أما الانحدار العام لأرض السهل فانه يتجه من الشرق إلى الغرب ١٤.

والشكل الثاني للتضاريس هنا ، هو تل الجزر الذي أقيمت القرية على سفوحه والذي يشرف من جوانبه الاربعة على السهل المحيط ، والسفوح الغربية لجبال القدس.

إن طبيعة التركيبة الصخرية لهذه المناطق المرتفعة المكونة من الكلس والحور والصوان غير النقي ، وتسرب المياه إلى هذه الطبقات الصخرية ، وتكون الوديان النهرية الداخلية ، كل هذا يسمح بانتشار التجاويف داخل الطبقات الصخرية -الكهوف- التي يدعوها سكان بلادنا "بالمغر" . وفي أبو شوشة العديد من المغر والكهوف المتفاوتة في الحجم ، فمنها الكبير جدا ، ومنها الصغير ، ومنها العام ومنها الخاص الذي يقع في أرض أحد أبناء القرية . وقد استخدمت هذه المغر لايواء المواشي ، ولخزن التبن والزبل والقصول وغيرها ، وأهمها:

١- **مغارة الجايحة** : وهي الاكبر حجما ، وسميت بذلك لوقوعها في جبل يسمى الجايحة ، أما حجمها فيقدره يوسف الحموي / أبو السعيد بأنها تتسع إلى مئات رؤوس الماشية ١٥.

Digitized by Birzeit University Library

" ندخل لها في ساحة يسموها الصحن وهذه فيها حوالي دونم ، بعدها في ثلاثة أبواب ، ارتفاع الباب تقريبا متران وعرضه من متر ونصف إلى مترين ، ثلاث فتحات ، تؤدي إلى ما شاء الله ، ما حداش يعرف نهايتها. في ناس حكوا تمشي ٣كم " ١٦. على حد تعبير السيد عبد السلام شاهين.

تقع هذه المغارة جنوبي القرية ، في منتصف منحدر جبل الجايحة ، وكانت مستقرا للبدو الرحل ولأصحاب الأغنام من لواء الخليل ١٧.

٢- **مغارة دار عوض الله** : وتقع داخل القرية في الجهة الغربية ، كانت تستعمل بشكل خاص كمخزن ومأوى للغنم من قبل دار عوض الله . وهذه المغارة كانت مكان التجاء النساء والأطفال والشيوخ عندما اقتحمها اليهود سنة ١٩٤٨، ومكث الأهالي فيها أياما بلياليها ١٨ وهي مغارة واسعة عميقة.

٣- **مغارة الجوهري**: تقع في داخل القرية ، بمعنى أن موقعها متوسط في القرية من الشمال والجنوب والشرق والغرب . وهي ليست واقعة في وسط أراضي القرية فحسب وإنما في وسط البيوت، في القرى كل بيت له "حوش" ، وهذه المغارة كانت موجودة في "حوش" دار الجوهري ، وكانت مغارة أثرية واسعة وكبيرة ، وكان الناس يجتمعون فيها أثناء الأزمات ١٩ وهذا يفسر سبب تسميتها بمغارة الجوهري ، واستخدمت كمخزن للقصول والبصل والزبل والتبن وكمأوى للغنم أيضا . وكانت هذه المغارة من المغر المركزية التي التجأ إليها - أهالي القرية - أيضا - "يوم الوقعة" ١٩٤٨/٥/١٤ عندما هاجم اليهود القرية.

٤- **مغارة الحمام**: وتقع في الجهة الشمالية للقرية.

٥- **مغارة شاهين (الزكح)**: تقع داخل القرية في "حوش" دار الزكح وتعتبر ملكا شخصيا لهم ، واستخداماتها شبيهة بالمغر الأخرى.

٦- **مغارة الرب**: تقع في الجهة الجنوبية من البلد في منطقة تسمى العروض . وسبب تسميتها بذلك "كان معاصر عنب وزيتون ، فبواقي العصير والقشر وبزر العنب والزيتون وقشره هذا كله يرموه في هالمغارة ، وعلى مدى الايام سميت مغارة الرب نسبة إلى الرب اللي كان . يعني كاينين عاملينها مثل مكب ورابش " ٢٠ .

٧- زد على ذلك ، بعض المغائر الصغيرة والمتشكلة من تجويف بفتحة واسعة (اشقاف او اشقيف بلسان أهل القرية) ومنها مغارة أبو راس ، واشقيف حماد ، وهما في الجهة الجنوبية ، واشقيف أم الروازن، وهذه لها بابان . والزط في الجهة الشرقية ومغارة نمر صالح .

المناخ : (الامطار، درجات الحرارة، والرياح)

المناخ في أبو شوشة جزء من المناخ في المنطقة الوسطى من فلسطين حيث البحر والسهل الساحلي من الغرب ، وجبال القدس من الشرق . وسنعتمد في رصد المناخ في المنطقة على محطة الرصد الجوية التي كانت قائمة في قرية بيت جمال التي تقع على بعد ١٥كم جنوب شرق أبو شوشة على الاحداثيات ١٢٦ شمالا و ١٤٨ شرقا ، والتي ترتفع عن البحر ٣٥٠م ، وقد سجلت معطيات محطة بيت جمال في كتاب الاحصاء السنوي لفلسطين لعام ١٩٤٣م.

إضافة إلى هذا المصدر الرئيسي ، فاننا سنلتفت إلى ما هو متوفر لدينا بخصوص المناخ في مدينة الرملة.

يعتبر المناخ في أبو شوشة معتدلا لانه يتبع مناخ حوض البحر المتوسط الذي يمتاز باعتدال درجة الحرارة ، وتدني فروق الحرارة بين الليل والنهار ، وبين الصيف والشتاء، ويندر أن تتدنى درجة الحرارة في منطقة الرملة إلى دون الصفر ٢١ .

ولمزيد من الدقة ، ولاعطاء صورة مفصلة ، نورد أربعة جداول من محطة رصد بيت جمال حول درجات الحرارة ، وكميات سقوط الامطار ٢٢ .

Digitized by Birzeit University Library

" ندخل لها في ساحة يسموها الصحن وهذه فيها حوالي دونم ، بعدها في ثلاثة أبواب ، ارتفاع الباب تقريبا متران وعرضه من متر ونصف إلى مترين ، ثلاث فتحات ، تؤدي إلى ما شاء الله ، ما حداش يعرف نهايتها. في ناس حكوا تمشي ٣كم " ١٦. على حد تعبير السيد عبد السلام شاهين.

تقع هذه المغارة جنوبي القرية ، في منتصف منحدر جبل الجايحة ، وكانت مستقرا للبدو الرحل ولأصحاب الأغنام من لواء الخليل ١٧.

٢- **مغارة دار عوض الله** : وتقع داخل القرية في الجهة الغربية ، كانت تستعمل بشكل خاص كمخزن ومأوى للغنم من قبل دار عوض الله . وهذه المغارة كانت مكان التجاء النساء والأطفال والشيوخ عندما اقتحمها اليهود سنة ١٩٤٨، ومكث الأهالي فيها أياما بلياليها ١٨ وهي مغارة واسعة عميقة.

٣- **مغارة الجوهري**: تقع في داخل القرية ، بمعنى أن موقعها متوسط في القرية من الشمال والجنوب والشرق والغرب . وهي ليست واقعة في وسط أراضي القرية فحسب وإنما في وسط البيوت، في القرى كل بيت له "حوش" ، وهذه المغارة كانت موجودة في "حوش" دار الجوهري ، وكانت مغارة أثرية واسعة وكبيرة ، وكان الناس يجتمعون فيها أثناء الأزمات ١٩ وهذا يفسر سبب تسميتها بمغارة الجوهري ، واستخدمت كمخزن للقصول والبصل والزبل والتبن وكمأوى للغنم أيضا . وكانت هذه المغارة من المغر المركزية التي التجأ إليها - أهالي القرية - أيضا - "يوم الوقعة" ١٩٤٨/٥/١٤ عندما هاجم اليهود القرية.

٤- **مغارة الحمام**: وتقع في الجهة الشمالية للقرية.

٥- **مغارة شاهين (الزكح)**: تقع داخل القرية في "حوش" دار الزكح وتعتبر ملكا شخصيا لهم ، واستخداماتها شبيهة بالمغر الأخرى.

٦- **مغارة الرب**: تقع في الجهة الجنوبية من البلد في منطقة تسمى العروض . وسبب تسميتها بذلك "كان معاصر عنب وزيتون ، فبواقي العصير والقشر وبزر العنب والزيتون وقشره هذا كله يرموه في هالمغارة ، وعلى مدى الايام سميت مغارة الرب نسبة إلى الرب اللي كان . يعني كاينين عاملينها مثل مكب ورابش " ٢٠ .

٧- زد على ذلك ، بعض المغائر الصغيرة والمتشكلة من تجويف بفتحة واسعة (اشقاف او اشقيف بلسان أهل القرية) ومنها مغارة أبو راس ، واشقيف حماد ، وهما في الجهة الجنوبية ، واشقيف أم الروازن، وهذه لها بابان . والزط في الجهة الشرقية ومغارة نمر صالح .

المناخ : (الامطار، درجات الحرارة، والرياح)

المناخ في أبو شوشة جزء من المناخ في المنطقة الوسطى من فلسطين حيث البحر والسهل الساحلي من الغرب ، وجبال القدس من الشرق . وسنعتمد في رصد المناخ في المنطقة على محطة الرصد الجوية التي كانت قائمة في قرية بيت جمال التي تقع على بعد ١٥كم جنوب شرق أبو شوشة على الاحداثيات ١٢٦ شمالا و ١٤٨ شرقا ، والتي ترتفع عن البحر ٣٥٠م ، وقد سجلت معطيات محطة بيت جمال في كتاب الاحصاء السنوي لفلسطين لعام ١٩٤٣م.

إضافة إلى هذا المصدر الرئيسي ، فاننا سنلتفت إلى ما هو متوفر لدينا بخصوص المناخ في مدينة الرملة.

يعتبر المناخ في أبو شوشة معتدلا لانه يتبع مناخ حوض البحر المتوسط الذي يمتاز باعتدال درجة الحرارة ، وتدني فروق الحرارة بين الليل والنهار ، وبين الصيف والشتاء، ويندر أن تتدنى درجة الحرارة في منطقة الرملة إلى دون الصفر ٢١ .

ولمزيد من الدقة ، ولاعطاء صورة مفصلة ، نورد أربعة جداول من محطة رصد بيت جمال حول درجات الحرارة ، وكميات سقوط الامطار ٢٢ .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (١)

معدلات درجات الحرارة والرطوبة النسبية ، والضغط الجوي في محطة رصد بيت جمال للاعوام (١٩٣٢ - ١٩٤٢) .

السنة	متوسط درجة الحرارة/ بالدرجات المئوية	معدل درجة الحرارة القصوى/ بالدرجات المئوية	معدل درجة الحرارة الدنيا/ بالدرجات المئوية	معدل الرطوبة بالنسب المئوية	معدل الضغط الجوي م.م
١٩٣٢	٢٠،٦	٢٦،٧	١٤،٥	٥٩	١٠،٨
١٩٣٣	٢٠،٠	٢٥،٧	١٤،٤	٦٢	١٠،٨
١٩٣٤	٢٠،٢	٢٥،٨	١٤،٧	٦٢	١٠،٨
١٩٣٥	٢٠،٧	٢٦،٢	١٥،٣	٦٢	١١،٤
١٩٣٦	٢١،٠	٢٦،١	١٥،٨	٥٨	١٠،٨
١٩٣٧	٢٠،٨	٢٦،٢	١٥،٣	٦٢	١١،٤
١٩٣٨	١٩،٥	٢٤،٨	١٤،٢	٦٢	١٠،٥
١٩٣٩	٢٠،٦	٢٦،١	١٥،١	٦١	١١،١
١٩٤٠	٢٠،٤	٢٥،٨	١٥،١	٥٩	١٠،٦
١٩٤١	٢١،٠	٢٦،٦	١٥،٥	٥٧	١٠،٦
١٩٤٢	ـــــ	ـــــ	١٤،٩	٥٨	ـــــ

جدول رقم (٢)

متوسط درجات الحرارة مقسمة على أشهر السنة في محطة رصد بيت جمال في العام ١٩٤٢ ، بالدرجات المئوية .

الشهر	متوسط درجات الحرارة	معدل الدرجات القصوى	معدل الدرجات الدنيا
كانون الثاني	١١،٤	١٥،٠	٧،٩
شباط	١٤،٥	١٨،٥	١٠،٥
آذار	١٥،٥	٢٠،٦	١٠،٤
نيسان	١٩،٤	٢٦،٠	١٢،٨
أيار	٢٣،٢	٢٩،٤	١٧،٠
حزيران	٢٥،٥	٣١،٥	١٩،٥
تموز	٢٦،٠	٣١،٨	٢٠،٣
آب	٢٥،٤	٣١،١	١٩،٨
أيلول	٢٤،٢	٢٩،٧	١٨،٧
تشرين الأول	٢٢،٤	٢٧،٠	١٧،٨
تشرين الثاني	١٨،٢	٢٢،٣	١٤،١
كانون الأول	ـــــ	ـــــ	١٠،٤
السنة	ـــــ	ـــــ	١٤،٩

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٣)

معدل سقوط الأمطار السنوي (١٩٢٦ - ١٩٤٢)

في محطة رصد بيت جمال

السنة	معدل سقوط الأمطار بالمليمترات
١٩٢٧/٢٦	٤٤٦،٠
١٩٢٨/٢٧	٣٥٨،٣
١٩٢٩/٢٨	٤٥٩،٧
١٩٣٠/٢٩	٥١٩،٦
١٩٣١/٣٠	٤٠٥،١
١٩٣٢/٣١	٣٠٣،٤
١٩٣٣/٣٢	٣٣٩،٢
١٩٣٤/٣٣	٣٦١،٠
١٩٣٥/٣٤	٤٦٤،٤
١٩٣٦/٣٥	٤٢٧،١
١٩٣٧/٣٦	٥١١،٦
١٩٣٨/٣٧	٥٨٢،٥
١٩٣٩/٣٨	٦٧٢،٣
١٩٤٠/٣٩	٤٧٥،٦
١٩٤١/٤٠	٤٣٤،٤
١٩٤٢/٤١	٦٨٢،٧

جدول رقم (٤)

معدل سقوط الأمطار حسب الاشهر (١٩٠١ - ١٩٤٢)

في محطة رصد بيت جمال

الشهر	معدل سقوط الامطار بالميلمترات
من حزيران - ت١	١٥،٤
تشرين الثاني	٧٣،٣
من حزيران - ت ٢	٨٨،٧
كانون الأول	١٠٣،٤
من حزيران - ك ١	١٩٢،١
كانون الثاني	١٣٣،٢
من حزيران - ك ٢	٣٢٥،٣
شباط	١١١،٣
من حزيران - شباط	٤٣٦،٦
آذار	٦٠،١
من حزيران - آذار	٤٩٦،٧
نيسان	٢٥،٤
من حزيران - نيسان	٥٢٢،١
أيار	٢،٠
السنة من حزيران الى أيار	٥٢٤،١

Digitized by Birzeit University Library

يوضح شكل رقم (١) معدل سقوط الامطار السنوي للاعوام ١٩٢٩ الى - ١٩٤٢
بالمليمترات في محطة رصد بيت جمال

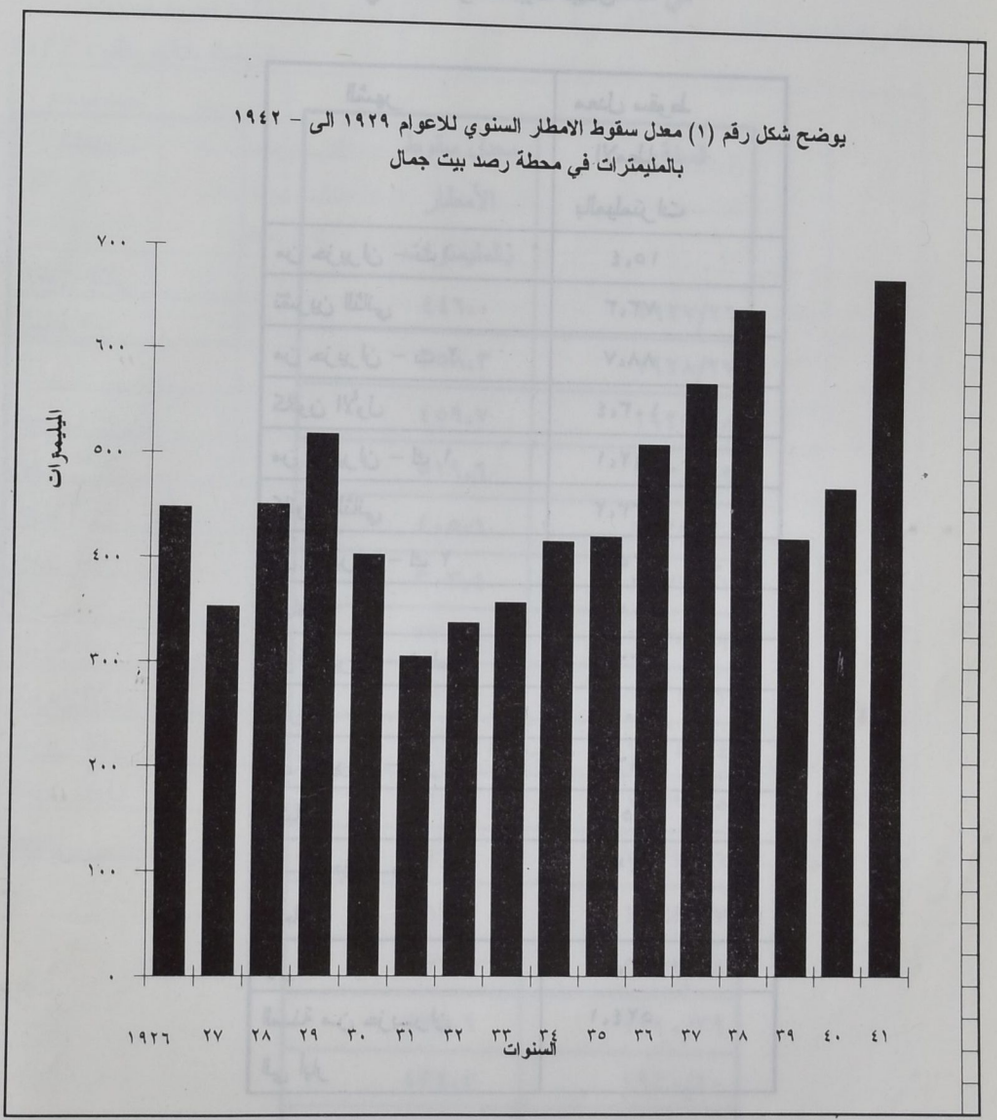

معدل سقوط الأمطار الشهري للأعوام (١٩٠١ - ١٩٤٢) بالمليمترات
في محطة رصد بيت جمال

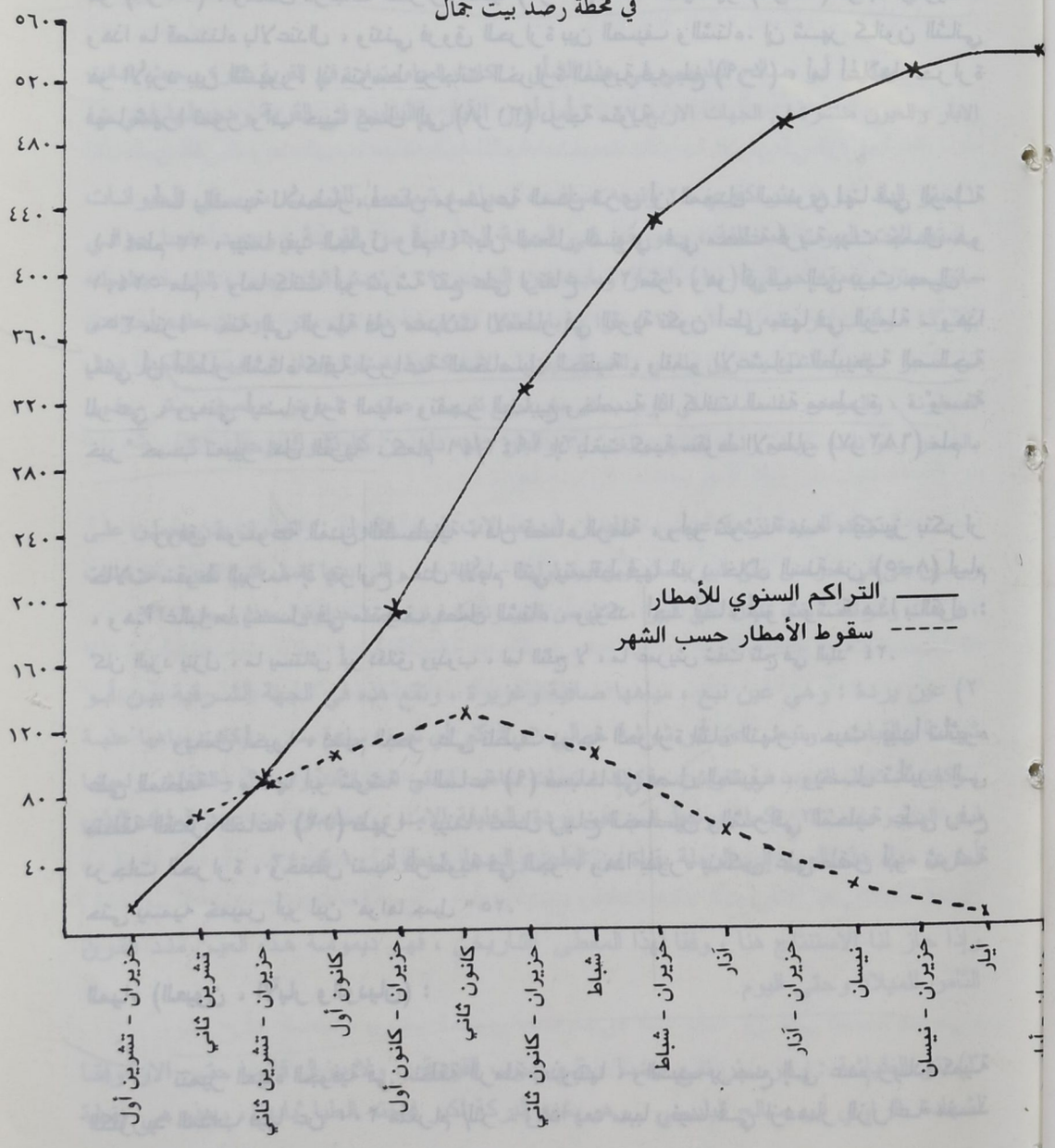

Digitized by Birzeit University Library

يتضح من الجدول الأول ، ان معدل درجات الحرارة في السنوات (١٩٣٢ - ١٩٤١) هو (٨ر٢٠) ، ومعدل درجات الحرارة العليا (٩ر٢٥)، أما الدنيا فهو (٩ر١٤) درجة مئوية . وهذا ما قصدناه بالاعتدال ، وتدني فروق الحرارة بين الصيف والشتاء. إن شهر كانون الثاني هو الأبرد بين الشهور، إذ متوسط درجات الحرارة المئوية فيه بلغ (٩ر٧) ، أما أعلاها حرارة فهما شهرا تموز وآب حيث تصل إلى (٨ر٣١) درجة مئوية.

أما بالنسبة للأمطار، فان موسوعة المدن ترى أن المعدل السنوي لها في الرملة ٤٦١ملم ٢٣ ، بينما يفيد الجدول رقم "٤" بأن المعدل السنوي في محطة قرية بيت جمال هو ٥٢٤,١ ملم ، ولما كانت أبو شوشة تقع على ارتفاع ٢٠٠ متر، وهو أقرب إلى بيت جمال - ٣٥٠ مترا - منه إلى الرملة فان معدلات الامطار في القرية تكون أعلى منها في الرملة . وهذا يعني أن أمطار الشتاء كافية لزراعة المحاصيل الحقلية ، ولنمو الاعشاب الطبيعية الصالحة للرعي ، ويعني أيضا وفرة المياه وتفجر الينابيع وخاصة إذا كانت السنة ممطرة ، "وسنة خير" حسب تعبير اهل القرية . كعام ١٩٤٢/٤١ إذ بلغت كمية سقوط الامطار (٧ر٦٨٢) ملم .

ووفق موسوعة المدن الفلسطينية ، فان قضاء الرملة ، وأبو شوشة منه ، يتميز بتكرار حالات سقوط البرد ، إذ يتراوح معدل الأيام التي يتساقط فيها البرد خلال السنة من (٥-٨) أيام ، وهذا غالبا ما يحصل في منتصف فصل الشتاء . ويؤكد أحد أبناء أبو شوشة هذا بالقول : "كان البرد ينزل ، ما يستناش أبو دقائق ويذوب ، اما الثلج لأ ، ما عمريش شفت ثلج في البلد" ٢٤.

ويعمل أخيرا ، نسيم البحر على تلطيف درجة الحرارة اثناء النهار ، حيث يبدأ تأثيره على المنطقة - ومنها أبو شوشة - الساعة (٩) صباحا في فصل الصيف ، ويصل تأثيره إلى منطقة القدس الساعة (١٢) ظهرا . بينما تعمل رياح الخماسين والشراقي المحلية على رفع درجات الحرارة ، وخفض نسبة الرطوبة في الجو ، وهذا بدوره ينعكس على طقس أبو شوشة حتى يسميه خميس أبو لبن "هواها جميل " ٢٥.

المياه (العيون ، الآبار والوديان) :

تتميز المياه الجوفية في منطقة الرملة بعذوبتها ، والسبب يرجع إلى عدم زيادة كمية الكلوريد المذاب فيها عن ٢٠٠ ملغرام /لتر . وهذا يعد سببا رئيسا في ازدهار الزراعة منذ

زمن بعيد، لعدم تملح مياه الابار، وقلتها في التربة ٢٦ . وتشكل مياه الامطار المصدر الاساسي لتغذية الخزانات الجوفية.

ويقول أبو صالح البلبيسي في هذا الشأن : "كانت المياه متوفرة في القرية بكثرة ، حيث كانت الابار والعيون منتشرة في الجهات الاربع ٢٧ . " أما أبرز الآبار والينابيع في القرية ومحيطها فهي :

١) بئر البلد : وهو بئر كفري ٢٨ ونبعه صاف ، ومياهه تستعمل للشرب ، وسقي الحيوانات واستعمالات البيوت المختلفة ، وهو يقع في الجهة الجنوبية من القرية ، ويبعد عنها حوالي مائتي متر وعمقه حوالي (١٠) امتار وبابه من الحجر ٢٩ . "وبئر البلد بجنوب البلد بطيحه بهودة ، وأقرب دار عليه (١٠٠-١٥٠) مترا ، وباب البئر دائري فيه متر في متر ، وكان عليه أحواض من حجر ، للغنم علشان يشربن وللبقر وللغسيل ايضا ، لانه كانوا يغسلوا زمان اواعيهم بالحجار بدال الصابونة ، والحوض هذا مساحته في قلوب بعض متر مربع تقريبا وعمقه - الحوض - نصف متر محفور بالصخر وهو نفسه حوض واحد للغسيل وللغنم" ٣٠ والبئر عليه دلو من كاوتشوك وحبل ٣١.

وتؤكد السيدة نزهة عيسى سليمان استعمالات البئر فتقول :"والنسوان بقن يحملن على روسهن بقى في احواض على البير نغسل فيهن ويقولولها - جابية - ، واللي بدها تغسل اشي كبير : حرامات ، فرشات وشراشف بقت تغسل على البير ، ننشل من البير ونغسل ونروح ما حدا يقول هذا وسخ." ٣٢

٢) عين يردة : وهي عين نبع ، مياهها صافية وغزيرة ، وتقع هذه في الجهة الشرقية بين أبو شوشة والقباب ، وتبعد عن أبو شوشة حوالي ٥ر٤ كم "أي نصف ساعة مشي ، وكانت مياهها عذبة ، وكانت تستعمل للشرب في القريتين . وكذلك استعملت مياهها لسقي الحيوانات والحلال والطرش واحيانا لري المزروعات "٣٣ . كما ويرتبط اسم عين يردة بالخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الذي أجرى مياه هذه العين إلى الرملة بقناة من الطين والحجارة بطول ١٠ كم ٣٤.

وإذا جاز لنا الاستنتاج هنا ، وفقا لهذا المعطى التاريخي ، فهو ديمومة هذه العين منذ القرن الثامن للميلاد وحتى اليوم.

٣) بئر الطياشة : وهو بئر نبع أيضا ، يقع غرب القرية ، ولا يزال قائما حتى الان وفقا لشهادة الراوي أبو صالح البلبيسي . وهو يشبه البركة لكبر فتحته العليا "بابه" ، وهذه هي نقطة

Digitized by Birzeit University Library

يتضح من الجدول الأول ، ان معدل درجات الحرارة في السنوات (١٩٣٢ - ١٩٤١) هو (٨ر٢٠) ، ومعدل درجات الحرارة العليا (٩ر٢٥)، أما الدنيا فهو (٩ر١٤) درجة مئوية . وهذا ما قصدناه بالاعتدال ، وتدني فروق الحرارة بين الصيف والشتاء. إن شهر كانون الثاني هو الأبرد بين الشهور، إذ متوسط درجات الحرارة المئوية فيه بلغ (٩ر٧) ، أما أعلاها حرارة فهما شهرا تموز وآب حيث تصل إلى (٨ر٣١) درجة مئوية.

أما بالنسبة للأمطار، فان موسوعة المدن ترى أن المعدل السنوي لها في الرملة ٤٦١ملم ٢٣ ، بينما يفيد الجدول رقم "٤" بأن المعدل السنوي في محطة قرية بيت جمال هو ٥٢٤,١ ملم ، ولما كانت أبو شوشة تقع على ارتفاع ٢٠٠ متر، وهو أقرب إلى بيت جمال - ٣٥٠ مترا - منه إلى الرملة فان معدلات الامطار في القرية تكون أعلى منها في الرملة . وهذا يعني أن أمطار الشتاء كافية لزراعة المحاصيل الحقلية ، ولنمو الاعشاب الطبيعية الصالحة للرعي ، ويعني أيضا وفرة المياه وتفجر الينابيع وخاصة إذا كانت السنة ممطرة ، "وسنة خير" حسب تعبير اهل القرية . كعام ١٩٤٢/٤١ إذ بلغت كمية سقوط الامطار (٧ر٦٨٢) ملم .

ووفق موسوعة المدن الفلسطينية ، فان قضاء الرملة ، وأبو شوشة منه ، يتميز بتكرار حالات سقوط البرد ، إذ يتراوح معدل الأيام التي يتساقط فيها البرد خلال السنة من (٥-٨) أيام ، وهذا غالبا ما يحصل في منتصف فصل الشتاء . ويؤكد أحد أبناء أبو شوشة هذا بالقول : "كان البرد ينزل ، ما يستناش أبو دقائق ويذوب ، اما التلج لأ ، ما عمريش شفت تلج في البلد" ٢٤.

ويعمل أخيرا ، نسيم البحر على تلطيف درجة الحرارة اثناء النهار ، حيث يبدأ تأثيره على المنطقة - ومنها أبو شوشة - الساعة (٩) صباحا في فصل الصيف ، ويصل تأثيره إلى منطقة القدس الساعة (١٢) ظهرا . بينما تعمل رياح الخماسين والشراقي المحلية على رفع درجات الحرارة ، وخفض نسبة الرطوبة في الجو ، وهذا بدوره ينعكس على طقس أبو شوشة حتى يسميه خميس أبو لبن "هواها جميل " ٢٥.

المياه (العيون ، الآبار والوديان) :

تتميز المياه الجوفية في منطقة الرملة بعذوبتها ، والسبب يرجع إلى عدم زيادة كمية الكلوريد المذاب فيها عن ٢٠٠ ملغرام /لتر . وهذا يعد سببا رئيسا في ازدهار الزراعة منذ

زمن بعيد، لعدم تملح مياه الابار، وقلتها في التربة ٢٦ . وتشكل مياه الامطار المصدر الاساسي لتغذية الخزانات الجوفية.

ويقول أبو صالح البلبيسي في هذا الشأن : "كانت المياه متوفرة في القرية بكثرة ، حيث كانت الابار والعيون منتشرة في الجهات الاربع ٢٧ . " أما أبرز الآبار والينابيع في القرية ومحيطها فهي :

١) بئر البلد : وهو بئر كفري ٢٨ ونبعه صاف ، ومياهه تستعمل للشرب ، وسقي الحيوانات واستعمالات البيوت المختلفة ، وهو يقع في الجهة الجنوبية من القرية ، ويبعد عنها حوالي مائتي متر وعمقه حوالي (١٠) امتار وبابه من الحجر ٢٩ . "وبئر البلد بجنوب البلد بطيحله بهودة ، وأقرب دار عليه (١٠٠-١٥٠) مترا ، وباب البئر دائري فيه متر في متر ، وكان عليه أحواض من حجر ، للغنم علشان يشربن وللبقر وللغسيل ايضا ، لانه كانوا يغسلوا زمان اواعيهم بالحجار بدال الصابونة ، والحوض هذا مساحته في قلوب بعض متر مربع تقريبا وعمقه - الحوض - نصف متر محفور بالصخر وهو نفسه حوض واحد للغسيل وللغنم" ٣٠ والبئر عليه دلو من كاوتشوك وحبل ٣١.

وتؤكد السيدة نزهة عيسى سليمان استعمالات البئر فتقول :"والنسوان بقن يحملن على روسهن بقى في احواض على البير نغسل فيهن ويقولولها - جابية - ، واللي بدها تغسل اشي كبير : حرامات ، فرشات وشراشف بقت تغسل على البير ، ننشل من البير ونغسل ونروح ما حدا يقول هذا وسخ." ٣٢

٢) عين يردة : وهي عين نبع ، مياهها صافية وغزيرة ، وتقع هذه في الجهة الشرقية بين أبو شوشة والقباب ، وتبعد عن أبو شوشة حوالي ٥ر٤ كم "أي نصف ساعة مشي ، وكانت مياهها عذبة ، وكانت تستعمل للشرب في القريتين . وكذلك استعملت مياهها لسقي الحيوانات والحلال والطرش واحيانا لري المزروعات "٣٣ . كما ويرتبط اسم عين يردة بالخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الذي أجرى مياه هذه العين إلى الرملة بقناة من الطين والحجارة بطول ١٠ كم ٣٤.

وإذا جاز لنا الاستنتاج هنا ، وفقا لهذا المعطى التاريخي ، فهو ديمومة هذه العين منذ القرن الثامن للميلاد وحتى اليوم.

٣) بئر الطياشة : وهو بئر نبع أيضا ، يقع غرب القرية ، ولا يزال قائما حتى الان وفقا لشهادة الراوي أبو صالح البلبيسي . وهو يشبه البركة لكبر فتحته العليا "بابه" ، وهذه هي نقطة

Digitized by Birzeit University Library

اختلافه عن بئر البلد المتقدم وصفه . وقد استخدم للترويح عن أهل البلد – أيضا – حيث قضوا اوقاتا جميلة بالسباحة . "وكان اللي رايح على السهل يملي منه" ٣٥. وقد استخدم هذا البئر لسقي الحيوانات ايضا.

٤) بئر لوسية: يقع في الجهة الشمالية، وهو بئر قديم ، استغله اليهود نظرا لوقوعه في الأراضي التي تسربت اليهم . مياهه شبه مالحة استخدمت بالدرجة الاولى في الزراعة.

وحول تسمية البئر ، فلقد كان أهل البلد يقولون له الوسية، وهي "كلمة مصرية ، ممكن كاين في السابق لواحد باشا . لواحد من هالنوع ، أو ربما يكون له نفوذ معين ، الشغلات هذه كانوا يسمونها الوسية . لوسية زي ما تقول يعني ملك فلان مثلا ، وفلان هذا يكون مشهور او صاحب اموال كثيرة ٣٦. " وميته زي مية سلوان او مية زمزم ، مالحة شوية " ٣٧.

٥) عين البطمة وعين حفليص: وتقعان في الشمال الشرقي من القرية.

٦) عين السمارة وتقع في الجهة الغربية من القرية ، واستخدمت بشكل أساسي لسقي الحيوانات وغسيلها.

٧) بئر الحاج حسن : في الجهة الشرقية من القرية وهي بئر نبع ، وكان يعتبر ملكا شخصيا له ، وكثيرا ما كانت ترده حيوانات أهل البلد لتشرب ٣٨.

ونتيجة لتوفر المياه الغزيرة فيها ، استقبلت واستوعبت أبو شوشة رعاة أغنام من مناطق أخرى ، فلقد أتتها قطعان الاغنام من قرى جبل الخليل كيطا والسموع وسعير والظاهرية ، وأتوها –أيضا– من التعامرة والعبيدية ومن قرى بيت لحم ، ساعدهم في ذلك توفر المغر والشقايف للمبيت ، وتبييت حلالهم ، ومأوى لهم ، وكانت هذه "الهجرات" تبقى طيلة فصل الصيف ٣٩.

ويشرح أبو السعيد ، يوسف الحموي سبب مجيء البدو بأنه "اول اشي للمنفعة للمرعى ، ثاني اشي للسبب ، يلقطوا ، يتصيفوا ، يحصدوا ، ويظلوا علشان الماء في كثير ماء " ٤٠ .

كان هذا حال القرية في سنوات المطر الغزير ، فيبقى النبع متفجرا ، حتى إن أهالي القرية يذكرون "في ايام وسنين معينة كان الواحد يمسك الجرة وهو قاعد على باب البير يمليها من باب البير بدون دلو ولا سطل ولا حبل ، الماء غزير وقوي " ٤١.

أما في سنوات الجفاف "اذا كانت سنة المطر قليل ، كانت المية تشح علينا والنسوان يسهرن طول الليل حتى تجيب الوحدة جرة ماء عن البير ، وبعض الناس يركب دابته ، بحط هالجرات او التنكات عليها ويروح على عين يردة او على مطرح بعيد يملي ٤٢".

ورافق ذلك الكثير من المعاناة ، لإحضار جرة ماء ، فيروي السيد خميس أبو لبن "في ايام الصيف يظلين – النساء – على البير يقحفن فيه تقحيف ، يعني العد ، النبع هذه ، في ايام الصيف بتخف ، طول الليلة يبقعن مية ، ويعني يجيبن المية بيظة ، بيظة – لونها ابيض – " ٤٣.

كثرت حوادث الغرق في هذه الابار لدرجة ان انتشرت اسطورة في قرية أبو شوشة بين النساء حول بئر البلد الذي يخطف كل سنة امرأة ٤٤.

وبعد سؤال بعض اهالي القرية حول ذلك ، فسروا هذا الامر على النحو التالي: "اولا بئر البلد حواليه بلاط ، والبلاط مع الروحان والجيان ملس خالص ، وكانوا اكثر الناس حافيين ، وانت جرب جمعة – اسبوع – ما تغسلش اجريك وتيجي تغسلهن ، بطلع مع الغسيل قشرة ، تصبح مثل الصابونة ، فلما هذول النسوان او الزلام كانوا حافيين اكثرهم ، وبدهم يروحوا يملوا ، والبلاط حوالين البير ملس ما يشوف الا وهو هاوي ، ولو كان معمول حاجز بين فوهة البير وبين البلاط لكان ما وقع حدا، وما فش جان يخطف ، انسان " ٤٥.

بالاضافة إلى العيون والابار كانت هناك الوديان ، اذ تخلل أرض أبو شوشة عدد من الاودية الصغيرة والكبيرة مثل واد جعباص وواد الصرار التي كانت تجف صيفا.

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني
أبو شوشة عبر التاريخ

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني
أبو شوشة عبر التاريخ

لعبت جغرافية البقعة التي تقوم عليها أبو شوشة دورا كبيرا في صياغة تاريخها. وباستقراء المستوطنات البشرية الأولى التي استعمرها الانسان ، يتبين أن هنالك شروطا ثلاثة تشكل الظروف الموضوعية للاستيطان البشري في العصور القديمة: القرب من مصادر المياه ووفرتها ، وخصوبة الأراضي أو القرب من الأراضي الخصبة ، وتموضعها على مرتفع طبيعي لحمايتها من الماء ، أو ليسهل الدفاع عنها أو لكليهما معا.

وهذه الشروط الثلاثة ، توفرت في قرية أبو شوشة الامر الذي جعلها موطىء قدم للاقوام التي هاجرت إلى فلسطين كالكنعانيين والاموريين ، ومحط أنظار الدول والجماعات التي غزت ، أو فتحت فلسطين كالهكسوس والفراعنة والإسرائيليين والاشوريين والصليبيين وغيرهم.

ومع تعدد الأقوام التي سكنت ، أو اخضعت ذلك الموقع الاستراتيجي لسيطرتها ، تعددت مسمياته من حقبة تاريخية لاخرى ، ونشأت به حضارات مختلفة . ولتسهيل التعاطي مع تاريخ هذه القرية ، فاننا ارتأينا الحديث في البداية عن التسمية وتأصيلها وتطورها ، ثم التعرض للتاريخ السياسي لهذه القرية عبر العصور متناولين الأحداث على هذه المنطقة ، ومجريات الأمور وتقلبها إلى ما قبل نكبة ١٩٤٨ . أما عملية الرحيل والتهجير ، وما رافق ذلك من مجزرة رهيبة فسنفرد له فصلا مستقلا في نهاية الكتاب يتناسب واهمية ذلك الحدث . وفي ختام هذا الفصل الثاني ، سنتطرق للتاريخ الحضاري ، حيث نعالج خلاله الحفريات ، والمقامات وأبرز المعالم الأثرية في القرية.

Digitized by Birzeit University Library

التسمية:

عرف الموقع الذي تقوم عليه القرية بعدة أسماء كان آخرها اسم أبو شوشة . أما الاسم الأول المعروف له فقد كان "جازر" ، وهو اسم كنعاني * بمعنى الشاهق والمرتفع . وهو ما يتناسب مع الموقع الذي يرتفع عما يجاوره (٢٠٠) متر ، كاشفا أمامه السهل الساحلي . ولقد اطلق الكنعانيون هذا المسمى عندما سكنوا الموقع منذ (٣٠٠٠) قبل الميلاد ١ .

ومن الجدير ذكره هنا، أن استيطان هذا الموقع "جازر" كان قبل الكنعانيين بالف عام تقريبا ٢ بل هنالك مصادر تقول ان الاستيطان كان منذ (٨٠٠٠ سنة) قبل الميلاد ٣ ، ولكننا لم نعثر على تسمية للموقع أنذاك .

وهنالك مؤرخون يعطون تفسيرا آخر للتسمية أمثال مصطفى مراد الدباغ الذي مع أنه يورد التفسير السابق ، فإنه يعرض احتمالا آخر لمعنى كلمة "جازر "إذ يكتب: "جازر انشئت قبل الكنعانيين في عصور ما قبل التاريخ ، وفي وقت ما اتسعت واصبحت مساحتها (٩) هكتارات ، وموقعها يعرف اليوم باسم "تل الجزر" في قرية أبو شوشة ، وجازر بمعنى نصيب أو مهر العروس "٤.

وربما فسر الدباغ معنى "جازر" بمهر العروس أو النصيب ، بسبب ما ورد في أسفار التوراة من أنه :"صعد فرعون ملك مصر، واخذ جازر واحرقها بالنار ، وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة ، واعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان ، وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلى" ٥ والصحيح اذن أن جازر اسم موجود لموقع مأهول ومستوطن قبل تحطيم فرعون له وإهدائه لابنته.

والظاهر أن الموقع ظل محتفظا بهذا الاسم خلال الحقب التاريخية المتوالية ، والمتمثلة بحكم الفراعنة المصريين والهكسوس . ولما استقر الفلسطينيون القادمون من كريت في هذه

---

* من الجميل ربط اسم كنعان والتي تعني الأرض المنخفضة بجازر، مما يضفي ظلالا على اطلاقهم لاسم "جازر" المرتفع والشاهق على اسم الموقع قيد المعالجة.

النواحي ، ومع أنهم بنوا مدينة اللد لتحل محل مدينة جازر على الطريق المؤدية من الساحل إلى الجبال والغور ٦ ، إلا أن الاسم بقي على حاله ، وجازر – المدينة – على حالها وإن قلت أهميتها مع العلم أنها أصلا واقعة على الطريق نفسها.

واستمر الاسم كذلك في عهد الإسرائيليين إلى إن تغير في عهد الآشوريين ليطلقوا عليه إسم "جازروا Guazra " ٧، وظل كذلك حتى عهد الرومان الذين اسموه جازارا ٨. الا أن هنالك انقطاعا في الاسم في الفترة الاسلامية الأولى ، فلم نعثر على اسم ذلك الموقع في اشارة من الاشارات حتى العهد الصليبي ، إذ نجد أن الاسم قد تغير وإن بقي يستعمل الجذر الاصلي نفسه.

ففي العهد الصليبي، أطلق على ذلك الموقع اسم "جيل جيزار" "Mount Gizard ٩ وبانتهاء حملاتهم ، فإن الاسم الذي استعمله المسلمون ، وظل كذلك بضع قرون تالية كان "تل الجزر" ،هذا مع العلم أن المسلمين ومؤرخيهم ظلوا يستعملون اسم : "تل الجزر" في كتاباتهم واحاديثهم حول الفترة الصليبية ، ففي زيارته لفلسطين في اعقاب معركة حطين ، وفي اشارته للموقع يعرف ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان منطقة تسمى "تل الجزر" فيقول :"تل جزر بفتحتين وتقديم الزاي ، حصن من اعمال فلسطين "١٠.

استمر المسلمون في اطلاق الاسم نفسه على الموقع في العهود الاسلامية اللاحقة (المماليك وبداية العثمانيين) ويبدو هذا من كلام المؤرخ مجير الدين الحنبلي في وصفه حوادث حصلت عام ١٤٩٥ بين امير القدس جان بلاط ، وبين البدو الرحل بين خلدة وتل الجزر ، وجاءت هذه الحوادث تحت عنوان "ذكر الفتنة بين نائب القدس ونائب غزة" وفيها مثلا "... وكان الامير جان بلاط بالقرب من قرية تل الجزر ، ... وتوجه قضاة الرملة إلى تل الجزر وعاينوا بعض القتلى بأرضها " ١١.

اننا نرى ان اشارة ياقوت للحصن – تل الجزر – انما يقصد حصنا بناه الصليبيون على التل ، ولربما انه جرى تدميره بفعل الايوبيين ضمن السياسة العامة لصلاح الدين وخلفائه في حرمان الصليبيين من موطىء قدم في المناطق الساحلية .

Digitized by Birzeit University Library

ويشير اكتشاف نقود مملوكية خلال البحث الأثري في المكان إلى استمرار استخدامه بعد العهد الايوبي ١٢ .

أما مسألة اطلاق العرب الاسم نفسه تقريبا على ذلك الموقع – الذي كان جبل جيزار – حيث أطلقوا عليه اسم "تل الجزر" فان هذا مبرر ، إذ أن كلمة "تل" هي التعبير الأكثر شيوعا في التعريف بالمواقع والأماكن . أما "الجزر" فهي تنسجم وعادة العرب في الابقاء على الأسماء القديمة مع إجراء بعض التحوير الخفيف عليها لتناسب اللسان العربي ، أو لأعتقادهم بأن هذا اللفظ العربي هو الاقرب مطابقة ومشابهة للفظ السابق ليدل وليعرف بالموقع المطلوب.

أما فيما يتعلق بالاسم الحالي للقرية – أبو شوشة –، فيعتقد انه ظهر للوجود في فترة متأخرة – ربما في القرن السابع عشر – ، فحتى عام ١٥٩٦ ، كان العثمانيون يستعملون اسم تل الجزر في الوثائق الرسمية للدولة العثمانية : ففي المؤلف الهام للدكتورين كمال عبد الفتاح وولف هيتروث حول الجغرافيا التاريخية لفلسطين وشرق الأردن وسوريا ورد : "ان مجموع ما حصل من ضرائب من تل الجزر في عام ١٥٩٦ وصل إلى ٤٥١٠ اقجه" ١٣ .

فعلى الأقل وحتى أواخر القرن السادس عشر لم يكن اسم أبو شوشة متداولا .

وهنالك حكايات وقصص وخرافات مما يتناقله بعض المعمرين حول التسمية ، التي تعود وفقا لروايتهم ولتقديرنا كذلك للقرن السابع عشر، حيث توفي في تلك المنطقة شيخ ورع ملقب "بأبو شوشة" وبنى على قبره مقام ، ونسبة إليه اخذ الموقع هذا الاسم.

ويورد كندور L.C.R Conder وكتشنر L.H.H kitchner ، حكاية أخرى حول التسمية جمعاها من بعض اهالي القرية لدى مسحهما لها ، وتقول الحكاية بأنه كان هنالك شيخ درويش ورع ، وكان يتضرع إلى الله ويجهد في الصلاة كي ينزل المطر في وقت ساد الجفاف وانقطع القطر من السماء ، فكان يصلي الاستسقاء ويدعو الله بحرارة ليرحم الناس ، ولما اخبر عن طريق احد العرافين قارئي الرمل ، بأنه سيغرق في حالة نزول المطر . أصر الشيخ على صلاته ودعائه غير مكترث لكلام ذلك العراف . فنزل المطر، ويعتقد أن المطر تدفق من الأرض من جهة التنور ، فإذا ببركة كبيرة تتشكل في المكان الذي يتواجد فيه ذلك الشيخ ، فغرق ، ولم يظهر منه شيء سوى الطرف الأيسر من شوشته أو قنزعته ، فأصبح الناس يصرخون ويبكون

ذلك الشيخ قائلين : يا أبو شوشة ، بمعنى يا أبو القنزعة . ومنذ ذلك الحين أخذت القرية اسم أبو شوشة تيمنا ببركة ذلك الشيخ ١٤ .

أما السيد عبد السلام شاهين /أبو احمد/ ، وهو من أبو شوشة ، ومن سكان مخيم العروب حاليا فيفسر معنى الشوشة واحتمال تفسيره لتسمية القرية :"زمان كان الناس يحلقوا شعرهم كله ، يخلي هان شوية – مقدمة الرأس – فهذه اسمها شوشة ، لانه محلوق كل الشعر الا هذه الشوية في مقدمة الرأس واحنا في وقتنا واحنا صغار كان لنا شوشة ، مش بس احنا ، اظن جميع المناطق الغربية كان لهم شوشة . فربما يكون هالانسان اصلع من هان ، أو محلوق شعره من ورا ، وفي شوية شعر من هان فتسمى أبو شوشة لان اي انسان يشتهر بشيء يسمونه به".

وعلى الرغم من أن هذا لا يقدم تفسيرا لم لقب هذا الشيخ بالذات بابي شوشة وليس غيره علما بأن الجميع كان لهم شوشة ، إلا أنه يبين صفة الناس في تلك الايام . ويزيد الأمور وضوحا السيد مصطفى شاهين اذ يعلل سبب حلق الناس شعورهم وإبقاء شيء قليل في المقدمة فيقول :"من الشمس وخوف ما تظربه الشمس ، لانه اذا ظربتك الشمس من هان – المقدمة – تؤثر على البني ادم ، فكانوا يربوا الشعرات هذول على اساس يغطوا على الدماغ" ويضيف عبد السلام / أبو احمد/ على ذلك "لأن هذا بقولوله الدافوخ أو النافوخ ، الولد لما يولد، بده سنة تقريبا حتى تصير مقدمة راسه قاسية ، فتربية الشعر في المقدمة على اساس يحمي النافوخ من الشمس ، تعال للخروف أو الغنمة بيحلقوا كل الشعر بس لحد راسه لأنه اذا انحلق بتظربه الشمس وبموت" .١٥

فالشوشة هي مقدمة الرأس فوق الجبهة ، يتم تربية الشعر خوف ضربات الشمس، وذلك الشيخ الذي توفي غرقا بانت فقط شوشته فسمي أبو شوشة . علما أنه ليس كل الذين اجريت معهم مقابلات موافقين على أن سبب التسمية هو قصة الشيخ والمطر والغرق أو الشوشة بمعنى مقدمة الرأس. فيورد بعض ابناء القرية اسبابا وقصصا اخرى حول التسمية ، منها ما تناهى إلى سمع أحمد صالح البلبيسي (أبو صالح) ومفادها ان شيخا تقيا صالحا ورعا محبوبا كان يعيش في القرية ، وكانت له ابنة اسمها شوشة . وفي يوم من الايام جاء ضيف على هذا الشيخ ، ولكنه لم يجد الشيخ في بيته . فسأل ابنته :اين أبو شوشة؟ أجابته : أبو شوشة غير موجود وهو في مكان كذا . قفل الضيف راجعا وهو يقول : ما وجدت أبو شوشة، وأخذ هذا الاسم يتأصل حتى أصبح دارجا . ويرجح الراوي هذه القصة ، خاصة وأن تلك الفتاة كانت ابنة شيخ القرية نفسها.

Digitized by Birzeit University Library
مكتبة جامعة بيرزيت

ويورد مصطفى مراد الدباغ احتمالا آخر حول سبب التسمية "بأبو شوشة" : "يحتمل ان يكون اسمها تعريفا لكلمة شوشا السريانية بمعنى السائس "١٦. ولكن – مع شديد الاسف – ، لا يورد لنا المصدر ولا التعليل حول تلك التسمية وذلك المعنى "السائس."

وامام هذا الخضم من المعاني والحكايات والروايات يبرز سؤال جديد على فحوى وجود مقام آخر في القرية يحمل اسم مقام الجزري . وهو "مقام ولي سمي على اسم التل ، يعني ما سموش المقام باسم صاحبه ، وما اعطوش اسمه الحقيقي ، وانما اعطوه اسم المكان الذي وجد فيه ، وقع هذا المقام في المنطقة الشمالية فوق التل ، فوق تل الجزر . أما مقام أبو شوشة فيقع في منتصف القرية ، وتبلغ المسافة التي تفصل بين المقامين ٧٠٠ – ٨٠٠ مترا" ١٧ أما السؤال فهو : لماذا لم تحتفظ القرية باسم تل الجزر أو جازر ... على ضوء نسبة بعض الأولياء والمقامات إلى هذا الاسم، واصبح اسمها الجديد أبو شوشة؟

وفي الحق ، اننا لا نملك اجابة عن هذا التساؤل ، ولكننا نشير إلى اهمال اهل القرية لمقام الجزري قبل النكبة ، اذ كان المقام محطما ولا يصلح للصلاة أو للعبادة ، ولم يكن يضاء بالزيت كما هو حال الكثير من المقامات في تلك الفترة.

وفي الختام ، لا بد من التنويه إلى أننا لم نعثر على ترجمة أو معلومات عن ذلك الولي المدعو أبو شوشة ، حتى أن أبناء القرية لا يعرفون أن كان من المجاهدين أو الأولياء الصالحين ، وللأسف ، لم يزودنا احد بأي شيء قيم عن أبي شوشة هذا ، فهو شخصية يكتنفها الغموض والابهام.

وفوق ذلك ، فان اهل القرية لا يدرون ولا يعرفون لماذا سمي تل الجزر بذلك ، وانما كان تخمينهم ان المنطقة كانت تزرع بالجزر أو "كان يطلع فيها جزر بري مثلا" ١٨، أو ان ذلك كان بمناسبة قدوم شخص ما من الجزائر ...الخ . وينسحب الامر على مقام الجزري ، فلا يعرف عنه اهل القرية شيئا ، شأنه في ذلك شأن أبو شوشة ، فقد يكون من أولياء الله الصالحين ، أو من الأولياء الذين قضوا زمنا في القرية حتى مات أو دفن فيها ، وربما يكون قد غادرها حيا.

والأمر الذي لا نقاش فيه حول أي مقام، هو ذلك الإحترام القلبي والتقدير، والأثر الذي يتركه في القرية. ومع ذلك فلا معلومات عن سيرة حياة صاحبه. ولربما تكون شخصية خيالية، إلا أن اذهان أبناء القرية تفتقت عن ذلك النسيج لتلك الشخصية للدور الذي تلعبه في حياة القرويين، فترجموا ذلك عبر انشاء المقام للجوء إليه ساعة الأزمات والشدائد، فبعد أن يغرق الوادي بدموع البائسين، تجدهم وبلا شك حول المقام يتلمسون حلا لمشاكلهم .

Digitized by Birzeit University Library

التاريخ السياسي

منذ اعماق التاريخ المعروف ولم تهدأ الحركة في موقع أبو شوشة قط ، فقد كانت جازر - أبو شوشة - مدينة مزدهرة منذ نحو (٨٠٠٠ سنة) في العصر الحجري الحديث ، وحسب ماكلستر R.A.S.Macalister ، فان أول استيطان بشري معروف للموقع كان في عصر ما قبل التاريخ خلال الاعوام ٣٤٠٠ - ٣٣٠٠ ق.م ١٩ .

الكنعانيون:

بعد هذا التاريخ تدفق الكنعانيون على فلسطين وامتزجوا بمن سبقوهم ، واصبحوا السكان الاساسيين لها ، وبنوا فيها العديد من المدن منها مدينة "جازر" التي بنيت على البقعة التي تقوم عليها حاليا قرية أبو شوشة.

ان المسيطر على أبو شوشة "جازر"، يستطيع السيطرة على فلسطين من البحر إلى الجبال ، هذا ايام الحروب . أما في ايام السلم فقد كانت هذه المدينة تنمو بفعل القوافل التجارية المارة بها من مصر والشام والعراق والجزيرة ، حيث تحولت لمخزن للبضائع من كل مكان كما كانت سوقا تجاريا مهما في ذلك الوقت ، الامر الذي انعكس على ازدهار هذه المدينة وحضارتها المادية.

وفي هذه الاثناء ، شهدت فلسطين في العصر البرونزي القديم (٣٢٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م) ، ظاهرة ما يسميه د. معاوية ابراهيم بعصر الدويلات المدن ، وفي المرحلة الثانية من هذا العصر (٣٠٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م) تظهر دويلة تل أبو شوشة ٢٠.

فلسطين ما بين (٧٠٠٠ ق.م - ٣٢٠٠ ق.م)

عن: الموسوعة الفلسطينية، ق٢ - ج٢ ص: ٥٥

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا اسس الكنعانيون مملكة لهم في جازر ، على غرار ممالكهم في المدن الاخرى، واحاطوها بسور ، وبنوا فيها قصرا للملك ومعبدا للالهة . لم يكن للكنعانيين حكومة موحدة مستقلة في فلسطين ، واقتصر تواجدهم السياسي على ممالك مدينية صغيرة لكل منها ملكها وحكومتها وآلهتها . يقول المؤرخ مصطفى الدباغ : " اشتملت فلسطين على عدد كبير من ممالك المدن الكنعانية المختلفة ، فكانت كل منها تسعى لأن تضم اكبر عدد ممكن من الأراضي والقرى المجاورة لها ، وكان لكل من هذه المدن ملكها وحكومتها ومعبودها وكهنتها ، وكان الملك في بعض الاحيان ، يجمع في شخصه منصبي الحاكم والكاهن الاكبر ،ويأتمر الجميع بأوامر الملك الذي كان احيانا يتقيد بمجلس المدينة العام المؤلف من رجال الدين والقضاء والاغنياء والاشراف . وكثيرا ما كانت المدن الكنعانية بيد ملوك صالحين يقضون بالعدل ويحفظون حقوق الارامل واليتامى ، وكان الابناء أو الاخوة يخلفون اباءهم أو اخوتهم على العرش في الاغلب . وقد ينتقل الملك إلى اسرة اخرى ، أو تنتزع الأمارة وتسلب نتيجة لثورة عناصر تصبح لها الغلبة . وحين الضرورة كانت تعقد مؤتمرات في المدن الكبرى للتداول في الشؤون العامة المشتركة ، ولم تكن المدن والأمارات الكنعانية ميالة بطبيعتها إلى توحيد كلمتها، وتحسين ادارتها ، بل كان الشقاق سائدا فيها طمعا في نهب الامتعة وضم الأراضي اليها."

الهكسوس والفراعنة:

بقيت جازر مملكة كنعانية حتى حوالي عام ١٧٥٠ ق.م . حيث اقام الهكسوس* امبراطورية لهم شملت كل سوريا وفلسطين (١٧٥٠ ق.م - ١٥٧٠ ق.م) ووسعوها لتشمل مصر (١٦٧٥ ق.م - ١٥٧٣ ق.م) وبذلك حكموا فلسطين قرابة (٢٠٠) عام ٢١، ويبدو انهم اتخذوا من مدينة جازر مملكة لهم حيث وجد اسم احد ملوكهم وهو "خيان" منقوشا في جازر ٢٢.

---

* الهكسوس: اي ملوك الرعاة، تتألف الكلمة من مقطعين : "هيك" اي ملك أو حاكم. و "سوس" راع أو قطر حسب اللغة المصرية القديمة. وبهذا "فهكسوس" تعني ملوك الرعاة أو حاكم الاقطار . (الدباغ ج١ ق١ ص٥٠٩).

فلسطين (١٦٠٠ق.م - ١٢٠٠ ق.م)

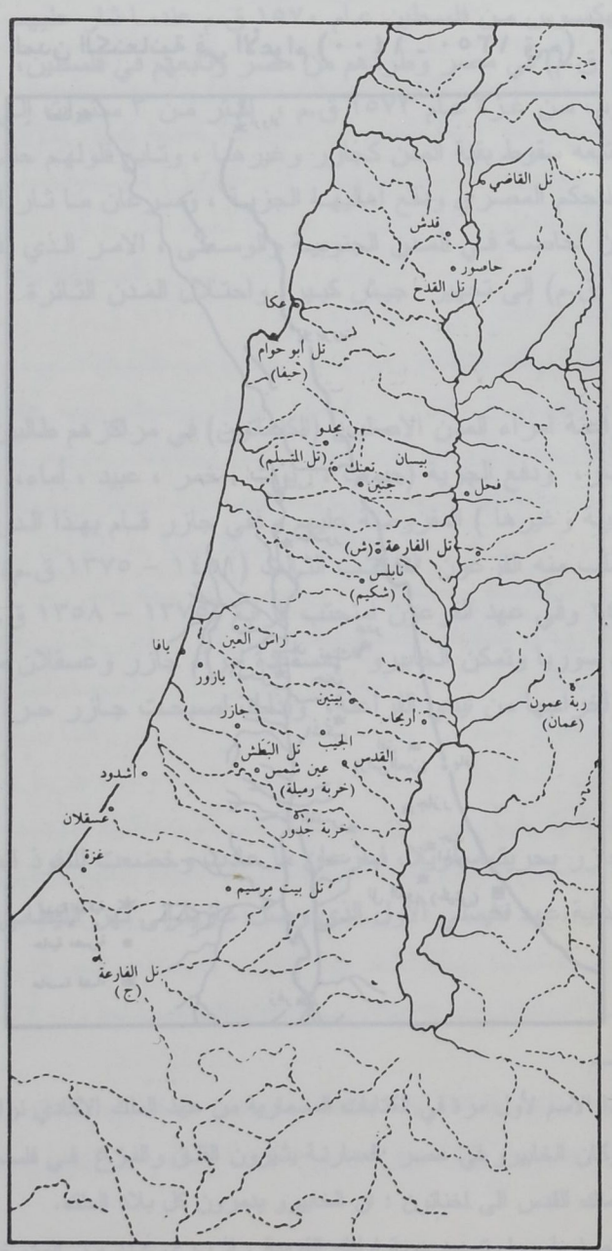

عن الموسوعة الفلسطينية، ق٢.ج٢ ص: ١١٠

Digitized by Birzeit University Library

المدن الكنعانية في الأعوام (١٤٠٠ - ١٣٥٠ ق.م)

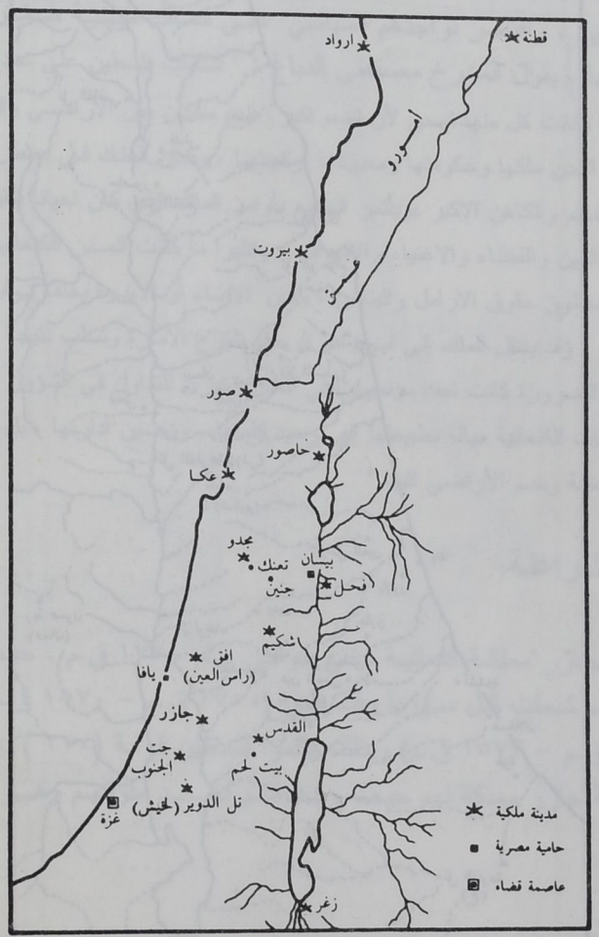

عن الموسوعة الفلسطينية ق٢.ج٢ ص:١٠٢

خرج الهكسوس من فلسطين عام ١٥٧٠ ق.م عندما ثار عليهم الفرعون أحمس (١٥٨٠ - ١٥٥٧ ق.م) في مصر وطردهم من مصر وتابعهم في فلسطين، وحاصر مركزهم "شاروحين" بالقرب من غزة عام ١٥٧٣ ق.م ، اكثر من ٣ سنوات إلى ان سقط مركز "شاروحين" الذي تبعه سقوط بقية المدن كجازر وغيرها ، وتابع فلولهم حتى سوريا ، وبذلك خضعت فلسطين للحكم المصري ودفع اهاليها الجزية ، وسرعان ما ثار اهل فلسطين على الفراعنة المصريين خاصة في المدن الجنوبية والوسطى ، الامر الذي دفع تحتمس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٧ ق.م) إلى تجهيز جيش كبير، واحتلال المدن الثائرة ، فاحتل جازر عام ١٤٦٧ ق.م ٢٣.

ابقى الفراعنة امراء المدن الاصليين (الكنعانيين) في مراكزهم طالبين منهم الاعتراف بالسيادة العليا لمصر، ودفع الجزية (حبوب ، زيوت ، خمر ، عبيد ، أماء، احداث ، خيول ، ماشية ، معادن ثمينة وغيرها) المفروضة عليهم ، ففي جازر قام بهذا الدور اميرها المسمى "ميلكيلي " الذي طلب منه الفرعون امنحتب الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م) ارسال (٤٠) فتاة من فتيات جازر ٢٤ وفي عهد الفرعون امنحتب الرابع (١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق.م) تمكن الحثيون من اخضاع شمال سوريا وتمكن الخابيرو* بمساعدة امراء جازر وعسقلان من تحرير معظم اجزاء فلسطين، واخراجها من ايدي الفراعنة، وبذلك اصبحت جازر حرة خارجة عن حكم الفراعنة ٢٥ .

لم تنعم جازر بحريتها طويلا، فسرعان ما عادت وخضعت للنفوذ المصري وكان ذلك عام ١٣١٧ ق.م بداية عهد سيستي الأول الذي وصل غازيا إلى نهر الليطاني في لبنان.

* الخابيرو: ورد هذا الاسم لأول مرة في الكتابات المسمارية من عهد الملك الاكادي نرام - سن في أواخر الالف الثالث ق.م. وكان الخابيرو في عصر العمارنة يثيرون القلق والفزع في فلسطين، وورد عنها في رسالة من عبد خيبا ملك القدس الى اخناتون : ان الخابيرو يدمرون كل بلاد الملك.

ان الآراء مختلفة متضاربة حول تحديد هوية اولئك القومية : إذ يرى عدد من المؤرخين أن لفظ " خبيرو" مرادف للفظ عبيرو الذي ورد في المصادر المصرية ... . ويعتقد ان الخابيرو لا تنتمي إلى اصل واحد ولا أواصر قومية واحدة تربطهم. لان هذه الجموع تجمع بين الساميين والحوريين واقوام اخرى ذات تابع .../

Digitized by Birzeit University Library

لم يهدأ بال اهل جازر الكنعانيين طيلة الحكم الفرعوني ، فتمردوا مع بعض المدن الاخرى ، وثاروا من جديد ، الا ان الفرعون مرنفتاح بن رعمسيس (١٢٤٠ - ١٢١٥ ق.م) توجه بنفسه على ظهر جيش لاخضاع الثائرين ، فاخمد عسقلان وتوجه إلى جازر لكنه واجه مقاومة شديدة جدا ، الامر الذي اضطره لمحاصرتها واستسلمت بعد الحصار ، وتباهيا بهذا النصر لقب نفسه ب "محاصر جازر" ٢٦ .

الفلستينيون والاسرائيليون:

ظلت جازر تحت النفوذ المصري حتى أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ففي عام ١١٨٤ ق.م اضطر الفرعون رعمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٧ ق.م) وبعد معارك ومناوشات سابقة ، للسماح لمجموعتين من الايجيين (سكان بحر ايجة) بالنزول وبصورة دائمة في فلسطين ، فنزلت المجموعة الأولى والقادمة من صقلية جنوبي الكرمل ، أما المجموعة الثانية والمسماة "بليست" أو الفلستينيين كما ذكرهم العهد القديم ٢٧ والقادمين من جزيرة كريت فقد نزلوا غزة وضواحيها ، وعززوا من هجراتهم حتى سيطروا على معظم الساحل، ووصلوا شرقا إلى سفوح الجبال ، وسيطروا على جازر التي كان اميرها ذلك الوقت يدعى "ياباهي" واختلطوا بسكانها الكنعانيين ٢٨.

... / اصول مختلفة ، استنتاجا من اختلاف اسمائهم الشخصية . وعلى ما يبدو ان الرغبة لتحقيق مكاسب مادية عن طريق النهب والسلب وشن الغارات على المجتمعات المستقرة هي التي جمعت ووحدت بينهم . واذا تعذر على الخابيرو القيام باعمال النهب والسلب فانهم كانوا يتحولون إلى جنود مرتزقة في خدمة من يجزل لهم العطاء وقد يتحولون إلى عمال مسالمين أو حتى إلى عبيد عندما تدفعهم الحاجة إلى ذلك.

فالخابيرو ليس اسما قوميا وانما تسمية اطلقت على جماعات من الرحل والاجانب الهاربين من مجتمعهم والاشقياء المستعمرين.

(الموسوعة الفلسطينية : القسم العام . مجلد ٢ ، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ١٩٨٤ . ص ٣١١ ، ٣١٢. وانظر فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١. ص ١٧٣، وبرستيد ، تاريخ مصر، الفتح الفارسي ص ٢٥٧).

اثناء دخول الفلسطينيين من الغرب ، كان بنو اسرائيل بزعامة النبي موسى عليه السلام على مداخل فلسطين من الشرق ، وبعد تيه دام حوالي اربعين سنة توفي خلاله موسى عليه السلام، تولى قيادتهم بعده يوشع ، وتمكن من دخول اريحا بعد مقاومة شديدة من سكانها الكنعانيين ، وتابع يوشع زحفه فاسقط العديد من المدن الفلسطينية كعاي (شرق قرية دير دبوان/ قضاء رام الله) وحبرون (الخليل) ولخيش (تل الدوير) ، وحاول اسقاط مدينة يبوس (القدس) وجازر لكنه لم يتمكن . فالفلستينيون عززوا قدرة اهل جازر - الدفاعية باستعمال الحديد في اسلحتهم واستخدام العجلات الحربية ، وظلت جازر قلعة حصينة في وجه اليهود حتى بعد انشاء مملكتهم بزعامة داود عليه السلام (١٠٠٤ - ٩٦٣ ق.م) وفي عهد سليمان بن داود (٩٦٣ - ٩٢٣ ق.م) ثار اهل جازر بزعامة اميرها على سليمان الذي تخوف منهم -كما ينقل الدباغ- فاستنجد بالفرعون شينشون في مصر الذي استغلها فرصة لاعادة امجاد اجداده الفراعنة في فلسطين فرحب بالنجدة واعد العدة وتمكن من اخضاع الثورة والاستيلاء على جازر واحراقها ومن ثم اهدائها إلى سليمان وبذلك سقطت جازر واصبحت تابعة للمملكة اليهودية ٢٩ .

في نحو ٩٢٣ ق.م، انقسمت المملكة اليهودية إلى دولتين صغيرتين لا يرجى لهما الاستقرار وقد تعارضت ميول هاتين المملكتين وتنافرت مصالحهما، فما كانتا الا دولتين صغيرتين ضعيفتين. وحول تصوير حالهما، عبر هـ.ج ولز عن هذا بقوله : " كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار، ومن الأول إلى الاخر لم تكن مملكتهم سوى حادث طارىء في تاريخ مصر وسورية واشور وفينيقيا ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم.

وكانت هاتان المملكتان (٩٢٣ - ٧٢٢) ق.م، اسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب، في حالة من التباغض مما يحدوهم إلى امتشاق الحسام٣٠ .

وكانت جازر - في هذا الاثناء - داخله في نطاق مملكة يهوذا، علاوة على اهميتها المستمدة من كونها جزءاً من المنطقة الحدودية بين مملكة يهوذا والفلسطينيين الأوائل. " ٣١

Digitized by Birzeit University Library

الآشوريون والكلدانيون:

بعد ذلك، وفي القرن التاسع قبل الميلاد ، أقام الآشوريون امبراطوريتهم في العراق وسوريا، واخضعوا الممالك فيها لسلطتهم بدفع الجزية ، وكان ذلك في عهد شلمناصر الثالث ٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م. وعندما تمرد الاسرائيليون على دفع الجزية في عهد الآشوري تغلات بيلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧) ق.م ، قام بتجهيز عدة حملات على فلسطين، استولى فيها على الجليل واقتحم معظم مدن الساحل والوسط التي منها مدينة جازر ، وقد وثق هذا الحديث على لوحة حجرية موضوعة في قصر الملك الاشوري في "نمرود" والتي ذكرت الموقع باسم "جازرو" وبذلك أصبحت جازر خاضعة سياسيا للنفوذ الاشوري.

وفي أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، قامت الامبراطورية الكلدانية على انقاض الاشوريين وجعلت من بابل عاصمة لها ، وفي توسعهم دخل الكلدانيون بزعامة نبوخذ نصر (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م) فلسطين وحاصروا القدس عام ٥٨٦ ق.م واسقطوها ، ويعتقد المؤرخون انهم في العام نفسه تقريبا دخلوا جازر، ودكوا سورها ، وبذلك خضعت جازر وكل فلسطين للكلدانيين.

حملات تغلات بيلاصر (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م)

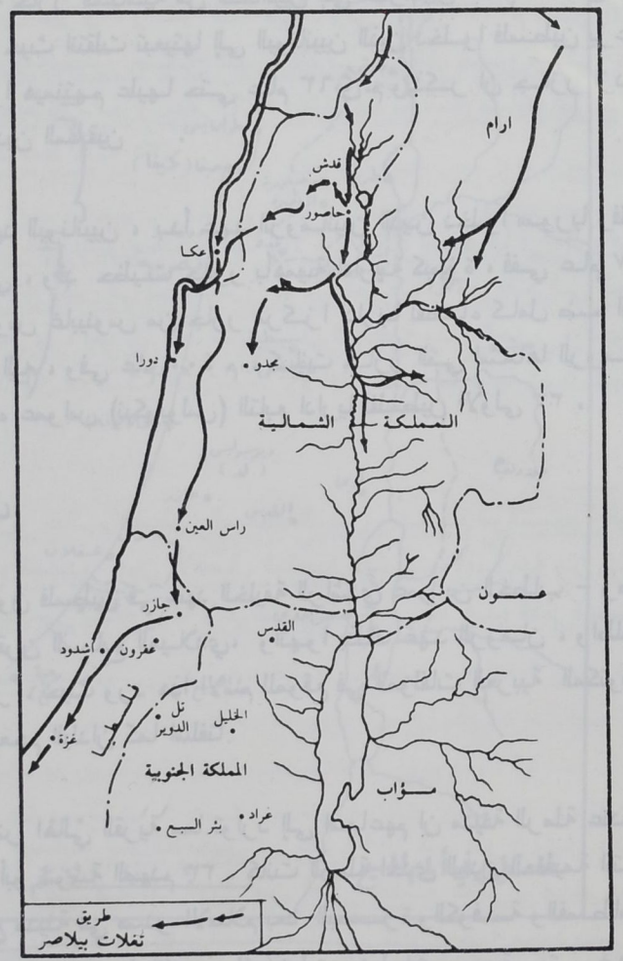

عن الموسوعة الفلسطينية، ق٢. ج٢. ص:١٢٢

Digitized by Birzeit University Library

الفرس واليونان والرومان

انتقلت تبعية جازر السياسية من الكلدانيين إلى الفارسيين عام ٥٣٨ ق.م وظلت كذلك حتى عام ٣٣٢ ق.م حيث انتقلت تبعيتها إلى اليونانيين الذين دخلوا فلسطين بزعامة الاسكندر المقدوني ، وفرضوا هيمنتهم عليها حتى عام ٦٣ ق.م ويذكر ان جازر ازدهرت ونمت وتوسعت خلال العهدين السابقين .

وبانتهاء عهد اليونانيين ، بدأ عهد الرومانيين الذين دخلوا سوريا وفلسطين فاتحين بزعامة قائدهم بومبي ، وقد حظيت جازر بأهمية ادارية كبيرة ، ففي عام ٥٧ ق.م ، جعل الوالي الروماني أولوس غابينوس من جازر مركزا اداريا لقضاء كامل ضم السفوح الغربية لمنطقة القدس ورام الله ، وفي عام ٤٠٠ م ، كانت جازر التي اسماها الرومان جازارا اهم مدينة من مدن قضاء عمواس (نيكوبولس) التابع اداريا لفلسطين الأولى ٣٢ .

المسلمون الأوائل:

فتح المسلمون فلسطين في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في الثلاثينات من القرن السابع الميلادي، وانهوا بذلك عهد الرومان ، واطلقوا على موقع القرية اسم تل الجزر . حيث ورد هذا الاسم للموقع في المؤلفات العربية المكتوبة في الفترات الاسلامية التالية كمعجم البلدان كما اسلفنا.

ويعتقد بعض اهالي القرية مما توارد إلى اسماعهم ان مدينة الرملة عندما بنيت اخذت حجارتها من سور أبو شوشة المهدم ٣٣ . كانت الرملة احدى المدن العظيمة التي احدثت في الاسلام ، فهي رابع مدينة في صدر الاسلام بعد البصرة والكوفة والفسطاط . وقد اتخذها سليمان بن عبد الملك مقرا له ولعائلته ، ولقد خطت خطوات سريعة حتى غدت من كبريات مدن الشام، واصبحت مركزا لمقاطعة فلسطين يتبعها بيت المقدس وبيت جبرين وغيرها .

وبقيت على هذا النحو إلى ان احتلها الصليبيون عام ١٠٩٩ م ٣٤ . كانت المدينة تنعم بالازدهار والرفاء، ومن الطبيعي ان تتأثر أبو شوشة بهذا الجو ، وتنخرط في التطور المادي العمراني.

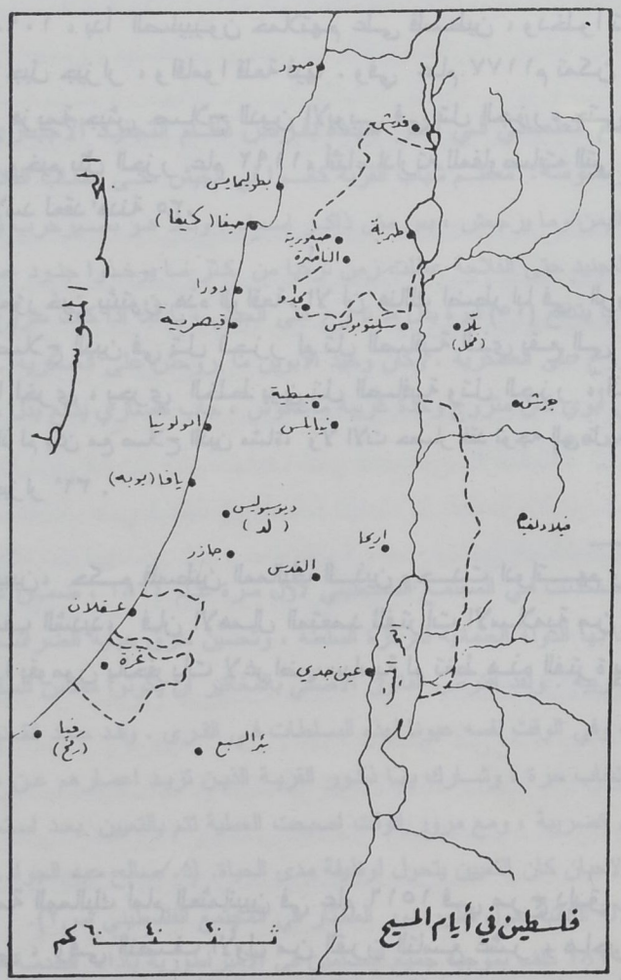

عن الموسوعة الفلسطينية، ق.٢.ج.٢. ص:١٨٠

Digitized by Birzeit University Library

الأيوبيون والمماليك:

في عام ١٠٩٨ ، بدأ الصليبيون حملاتهم على فلسطين ، ودخلوا تل الجزر – أبو شوشة – وأسموها جبل جيزار ، واقاموا قلعة فيها . وفي عام ١١٧٧م تمكن الافرنج بزعامة بولدوين الرابع من هزيمة جيش صلاح الدين الايوبي في تل الجزر، حتى عاد من مصر وانتصر من جديد، وخيم بتل الجزر عام ١١٩٢، أثناء ادارته للمفاوضات التي كانت قائمة مع ريكاردوس قلب الاسد لعقد هدنة ٣٥.

ومع ان المؤرخين يثبتون هذه الواقعة، الا ان هنالك اضطرابا في الروايات حول ما اذا كانت هزيمة صلاح الدين في تل الجزر ام تل الصافية الذي يقع إلى الجنوب من أبو شوشة، . بل احيانا اخرى ، يجري الخلط بين تل الصافية وتل الجزر ، اذ يذكر المؤلف نيكيتا اليسيف : "واذ لم يكن مع صلاح الدين مشاة، ولا الات حصار فقد توجه إلى تل الجزر (تل الصافية) ويسميه الفرنج جبل جيزار "٣٦ .

بعد الأيوبيين، حكم فلسطين المماليك الذين وجدت ادواتهم ونقودهم في تل الجزر ٣٧ . وللاسف الشديد، فان الاهمال المتعمد للفترات الاسلامية من قبل المستكشفين الاجانب الذين كانوا يقومون بالحفريات لاغراض سياسية لم تغط هذه الفترة بشكل موضوعي بعد.

العثمانيون:

وبعد هزيمة المماليك أمام العثمانيين في عام ١٥١٦ في مرج دابق ، دخلت فلسطين تحت الحكم العثماني ، وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر ، هاجر بعض الفلاحين المصريين إلى فلسطين تخلصا من نظام الضريبة القاسي الذي فرضه محمد علي . وبعد انتهاء حملة ابنه ابراهيم باشا على فلسطين (١٨٣١ – ١٨٤٠) بقي فيها جزء من العساكر للسبب نفسه ، وانتشروا في مواقع مختلفة في فلسطين منها قرية أبو شوشة . ولقد تعايش المصريون

مع سكان أبو شوشة الاصليين ، واختاروا مختارا * ثبتته الحكومة "كمختار ثان" ، فكان في نهاية العهد العثماني كل من محمود حسن كمختار أول ، ومحمد السيد كمختار ثان (من المصريين) ٣٨ .

امتاز الحكم العثماني في آخر عهده بفرض نظام التجنيد الاجباري ، فجند معظم الشباب في قرية أبو شوشة: "معظم شباب القرية كانوا في الجيش على حساب الفلاحة والزراعة ، اشي كان يروح على اليمن وما يرجعش ، بس مش ذاكر اسماء ، وللا هو بصير حرب بدون شهدا !! كل شباب البلد كانوا في التجنيد حتى الفلاحة عطلت زمن تركيا من كثر ما يوخذوا جنود عسكر . كان في خصلتين –نوعين – : يا بتدفع (٥٠) ليرة بدل ما تروح على الجيش ، يا أما اذا كنت متزوج زوجة غريبة من ثاني بلد هذه تمنعك تروح على العسكرية . وكان وحيد الأبوين ما يروحش على العسكرية . بس هذه كلها خراريف فاظية ، يعني أبوي كان متزوج وحدة غريبة ماعافوش ، جاب مصاري يدفع بدل ما رظيوش وراح خدم بطلع ٢١ سنة "٣٩ **.

---

* المختار وظيفة استحدثت في المجتمع الفلسطيني لأول مرة عام ١٨٦٤ ، ضمن عمليات الاصلاح (التنظيمات) التي قامت بها الدولة العثمانية لمركزة السلطة ، وتحسين طرق جباية الضرائب ، والحصول على معلومات وفقا للنظم الغربية . ولقد افترض القانون الاصلي بالمخاتير ان يكونوا ممثلين للسكان المعترف بهم رسميا أمام السلطات ، وفي الوقت نفسه عيونا لهذه السلطات في القرى . وقد حدد القانون الاصلي تعيين المخاتير عبر عملية انتخاب حرة ، وشارك بها ذكور القرية الذين تزيد اعمارهم عن ١٨ عاما ، والذين يدفعون مبلغا من المال كضريبة ، ومع مرور الوقت اصبحت العملية تتم بالتعيين بعد استمزاج رأي الحمائل الكبرى ، وفي اغلب الاحيان كان التعيين يتحول لوظيفة مدى الحياة. (د. صالح عبد الجواد. دراسة لم تنشر بعد ، مطبوعة على الالة الكاتبة حول تطور دور المختار في المجتمع الفلسطيني ص٢).

** صدر امر عام ١٨٦٦ كلف بموجبه جميع المسلمين في الامبراطورية باداء الخدمة العسكرية لمن بلغ سن العشرين ولمدة (٢٠) سنة ، موزعة على فترات: الأولى (٦) سنوات في السلك العسكري النظامي ، (٨) سنوات في سلك الرديف ، والسنوات الباقية في سلك المستحفظ ، وارتفعت مدة الخدمة إلى (٢٥) سنة أواخر العهد العثماني . وكان البدل العسكري بمقدار (٥٠) ليرة عثمانية من الشخص الواحد الا انها كانت تفرض على المتمتع بالاعفاء ان يخدم خدمة رمزية تصل إلى خمسة اشهر فقط.

Digitized by Birzeit University Library

ويقول الرواة ، وكما اكد المصدر في الفقرة الفائتة ان عددا من ابناء القرية شاركوا العثمانيين في حروبهم ضد الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، وقد قتل العديد من ابناء القرية فيها امثال :سليمان عثمان وعبد الدايم إبراهيم أبو العينين.

البريطانيون:

ظلت أبو شوشة تابعة سياسيا للعثمانيين حتى سقطت بيد البريطانيين في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧ ، بعد معركة حامية وقعت قرب عيون قارة ، خسر العثمانيون المعركة وانسحبوا شمالا، فدخل الانجليز أبو شوشة والرملة واللد ، وبذلك خضعت أبو شوشة للنفوذ الانجليزي والادارة العسكرية البريطانية. ٤٠

يقضي القانون الدولي بأن القاعدة التي تتبع في ادارة البلاد التي تحتلها الجيوش العسكرية هي المحافظة على الحالة الراهنة، وتجنب احداث اي تغيير جوهري في قوانين البلاد، أو في طريقة تطبيقها، مع عدم ازعاج الاهالي حتى يتسنى إقامة حكومة في تلك البلاد ، ومن المفروض ان تكون فترة الانتقال هذه قصيرة الأمد ٤١ .

ومع ذلك ، فان الجيوش البريطانية المحتلة غيرت وبدلت واستحدثت والغت، ولكنهم حافظوا على نظام العشائر والوجهاء ، بل وابقوا المخاتير في مناصبهم ، واعطوهم رواتب شهرية رمزية تقدر بجنيه ونصف . وكانت أبو شوشة ممثلة بمختارين: يوسف محمود حسن مختار حامولة دار عواد "العواودة" ، وقد ورثها من والده محمود حسن، والثاني حسين أبو العينين مختار حامولة المصاروة والذي جاء بعد محمد السيد ٤٢.

ويبدو ان الانجليز ارتاحوا لهذا الوضع فابقوا عليه، اذ ان المختار مسؤول ومنذ عام ١٨٦٤م عن ابلاغ الانظمة والقوانين المرسلة من قبل السلطات العليا إلى الاهالي، وتبليغ الدعاوى وابلاغ مسؤولية "مدير الناحية" بالمواليد والوفيات، ومساعدة الدولة في القضاء، والقبض على المطلوبين واعلام الحكومة باحوال الأراضي.

لكن الانجليز ، وبسبب برنامجهم التآمري على أرض فلسطين واهلها، والمتقاطع مع برنامج الحركة الصهيونية ، شنوا حرب تجويع ضروس على الفلاحين بما في ذلك أبو

شوشة . فمع مجيء الانتداب ، قامت الحكومة باغلاق المصرف الزراعي العثماني ، وهو البنك الوحيد من نوعه الذي كان موجودا في فلسطين . وفرضت رسوما باهظة على المنتجات التي تصدر ، واهملوا شق الطرق التي تصل القرى بالمدن . وانشأوا دائرة التسوية لغرض فرز نظام المشاع الذي يؤخر ويعطل استيلاء اليهود عليها . وسنت الحكومة قانون نزع الملكية اذا شهد المندوب السامي بأن الأرض لازمة لمشاريع انشائية واحتياجات عامة. ٤٣

ويتذكر أبناء أبو شوشة كل ذلك ، وانعكاساته على حياتهم جيدا ، فسياسة الافقار التي مارستها السلطات ضد الفلاح وضرب محصوله عن طريق منع استيراد البذار ، أو استيراد القمح حين يكون الحصاد وفيرا حتى يزهد ثمنه ويضرب الفلاح ٤٤.

إلا أن مجيء الانتداب حمل مظهرا اخر مناقضا ، الا وهو تأمين فرص العمل ، فلا بد من تغيير سكة الحديد العثمانية لانها "ضيقة - رفيعة" ٤٥، اضافة إلى فتح الشوارع ، ومد خطوط التلغراف وتطوير البريد ، والحاجة إلى تجنيد الفلسطينيين فيما يعرف بالبوليس الاضافي، حيث التحق العديد من ابناء القرية للعمل في هذه المجالات ، وهذا عرضهم لاستغلال صاحب العمل الانجليزي.

أبو شوشة وثورة ١٩٣٦

حكم العلاقة بين أبو شوشة والانجليز عاملان: إذ شكل الانجليز مصدر رزق للعرب عموما ولاهالي أبو شوشة خصوصا، مع الاستغلال الكبير الذي تعرض له الأخيرون الذين انخرطوا في حركة العمالة سواء في السكك الحديدية أو دائرة الاشغال أو غيرها وهذا هو العامل الأول . أما العامل الثاني فهو السلوك العسكري للانتداب الذي تميز بالصرامة الشديدة في ايقاع اقسى العقوبة على من يمتلك سلاحا ، وما ترتب على ذلك من مداهمات ليلية واعتقالات وازعاج ، وترويع السكان الامنين :"بس اذا الواحد معه سلاح أو فشقة كانوا يعدموه ، على فشقة يعدموه . وفي ٣٦ ، كانوا اللي يمسكوه مسلح اعدام . وبقوا يطلعوا دوريات على البلد في الليل ، اللي معاه سلاح يكبسوا عليه في الليل، زي اليهود اليوم . فيه جواسيس يقولوا فلان عنده بارودة ، يطوقوا الدار ويوخذوه " ٤٦.

Digitized by Birzeit University Library

وتجيء ثورة ٣٦ ليسمع بها القاصي والداني ، ولتقدم أبو شوشة ثلاثة فرسان في مشاركة متواضعة منها في هذا الخضم : "شارك في ثورة ال ٣٦ من ابو شوشة: عيد علي وجميل احمد ابراهيم ، وداود حسين أبو العينين. هذا داود خلص بارودة انجليزية من جندي . كان يحرس على باب بلدية الرملة ، وبعدها التحق في الثورة ، واستشهد في معركة شقبة سنة ١٩٣٦ . ظل في الثورة عيد علي وجميل احمد ، وهذول بقوا دايما مع ثوار من خارج البلد امثال خليل أبو تايه ، وسالم السقالة . وهذول مسكوهم الانجليز وحكموا على جميل بالسجن لمدة ٦ سنين وحكموا على عيد بالشنق، وشنقوه مع يوسف أبو تايه من قرية القباب وكان هذا سنة ال ٣٦ ".

وحسب السيد يوسف الحموي، فإن داود أبو العينين قد خطف البارودة من جندي انجليزي في اللد وليس في الرملة : "راح على اللد وخلص بارودة من جندي انجليزي بالموس غصب عنه . وعلى محطة اللد، هجم على الانجليزي وسحب عليه الموس وكان الانجليزي يلبس في الكفات وحاطط باروده، فقام داود ومسك البارودة فاذا بالجندي يمسكها من طرفها الاخر . وسحب عليه الموس، وصار يدق في الانجليزي واخذ البارودة منه وشرد في البيارة جانب المحطة "القطارات"، والانجليزي كان بالاصل واقف على رصيف محطة اللد – سكة الحديد – ، ونفد فيها وروح على البلد، وداود قتل في المعركة بالبارودة اللي اخذها " ومن الجدير بالذكر أن محطة القطار تقع بين مدينتي اللد والرملة وهناك من كان يسميها محطة اللد وآخرون يطلقون عليها محطة الرملة .

" أما عيد علي فلقد كان مع الثورة ، وكان يأتي إلى البلد بين فترة واخرى ، وكان يدخل مع جماعته تبعين أبو سالم ويطلبوا من الاهالي تبرعات للثورة ، وكانوا يجمعوا التبرعات بين فترة واخرى. انحكم عليه بالاعدام بعد ما انمسك في القدس".

"وعيد علي ليس اصلا من البلد ، وانما اصله من عراق المنشية ، لكن امه من عندنا ، وأبوه كان متوفي ، وعايش في بلدنا ، امن عيلته الاصلية في عراق المنشية".

"وبالنسبة إلى جميل ، فلقد خرج من السجن بعد ان قضى مدة محكوميته البالغة ست سنين ، ومات في البلد قبل ٤٨ " ٤٧.

ويبدو من حديث الرواة أنه مع استمرار اضراب ٣٦ ، وتصعيد الثورة، انخرط ، ما بين (١٠ – ١٥) مسلحا من ابناء القرية في الفعاليات والتصعيد، ومشاركة عموم الثوار في تنفيذ العمليات والمهمات.

وكانت لأبو شوشة مساهمة أخرى في الاضراب ، اذ امتنعوا – حالهم كحال بقية الفلسطينيين – عن التوجه إلى اشغالهم خاصة فيما يتعلق بالاعمال الحكومية : "انشلت حركة العمل بسبب اضراب الستة شهور، فصاروا الناس يقولوا : ليش انزل على يافا، ما هي اضراب . وصارت المقاطعة تلقائية بدون تخطيط "٤٨.

وساهمت أبو شوشة – أيضا – في دعم الثوار رغم بعض الظواهر السلبية كاجبار الناس على دفع مبالغ لا قبل لهم بها، وبدون التمييز بين غني وفقير : "مثلا كانوا يجبروا واحد بدفع ١٠ دنانير مع ان كل البلد لا تستطيع جمع هذا المبلغ " ٤٩. وكان الذي يقوم بعملية جمع وأخذ التبرعات بعض قواد الثورة الذين يعرفهم الناس جيدا امثال : محمد ذيب من بيت عنان، وخليل أبو تايه ، وسالم السقالة من بيت لقيا.

ومع هذا كله، إلا ان الأمور عادت إلى ما كانت عليه قبل احداث ال ٣٦، فما أن انتهى الاضراب، وبدأ الهدوء يسود مع النشاط السياسي المحموم، حتى عاد العمال إلى اشغالهم بشكل أوسع من قبل ، اذ كانت احداث الحرب العالمية الثانية قد خلقت فرص عمل وشواغر الامر الذي تطلب استيعاب الفلسطينيين في الكمبات والشرطة والبوليس الاضافي وغيره.

علاقة أبو شوشة باليهود:

لا نستطيع الحديث عن هذه العلاقة قبل عام ١٩٣٦، فلا تتوفر بين ايدينا المصادر التي ترشدنا إلى نوع العلاقة ونمطها في العشرينيات حتى منتصف الثلاثينيات. وعلى ما يظهر، فان اهالي القرية لم يشتركوا في الفعاليات النضالية المسلحة في هذه الفترة ، فلا يذكر الأهالي أي قصص أو احداث أو وقوع اي شهيد.

إبان ثورة ٣٦، تميزت هذه العلاقة بمقاطعة أبو شوشة العمل في المستوطنات المحاذية : خولدا والنعان وعقرون وكفار بيلو ونيس تسيونا . وعلاوة على ذلك، شملت

Digitized by Birzeit University Library

المقاطعة الاعمال التجارية التسويقية ، فتوقفوا تماما عن بيع اليهود ناتج محاصيلهم الصيفية ، وناتج ثرواتهم الحيوانية :"اهالي أبو شوشة قاطعوا اليهود ، فكان ممنوع ارسال اي غذاء ، أو بيع اي اشي من جاج وبيض وبقر وغنم، قاطعوهم ال ٦ شهور، وقريتنا - أبو شوشة - قاطعت اليهود مقاطعة نهائية لا نبيعهم ولا نشتري منهم ،حتى ولا نشتغل في مستوطناتهم " ٥٠.

على أن بضعة أشخاص من قرية القباب المجاورة ، كانوا يعملون كسماسرة : يجمعون البيض وما شابه ذلك ، لارساله إلى "محنيه يهودا " - السوق اليهودي الرئيس في القدس الغربية، فشملتهم المقاطعة بعد علم الاهالي بذلك "كانت ثورة ٣٦ ثورة كبيرة وعظيمة، حتى صار الحس الوطني يدب في كل شخص زي ما تكون الانتفاضة اليوم . لم يكن داعي ان يتخذ قرار بمقاطعة اليهود أو غير اليهود ، الامر كان يحدث تلقائيا : سمعت أنه الناس لما عرفوا ان البيض اللي كان يؤخذ يتحوش ، ويأتي واحد من القباب أو الرملة يوخذه ويرسله للمستوطنات، وقفوا بيع البيض بالجملة للاشخاص الموردين - السماسرة - " ٥١ .

بعد أحداث ال ٣٦ اللاهبة ، خفت هذه الوتيرة ، وصولا إلى عام ١٩٤٥م ، وبالتحديد في ٣/١٣ من ذلك العام ، اسست مستعمرة "جيزر" شمالي القرية ، فكانت هذه المستعمرة ، أقرب تجمع يهودي إلى أبو شوشة ، وعلى أراضيها ، وقد ادى تداخل الأراضي ، وتشابك العلاقات نتيجة لعمل بعض سكان القرية كحراس وكعمال في المستوطنة ، إلى افراز نوع من العلاقات "العادية غير العدائية"، لدرجة ان زف يوسف سعيد الحموي على فرس ناطور المستعمرة "زوري"، حتى ان هذا الاخير حضر العرس واكل من الوليمة ٥٢ .

ان نظرة اهالي أبو شوشة إلى اليهود حولهم وبالتحديد يهود "جيزر" هي نظرة "جيرة"، وكانت الخلافات تحل بناء على هذا الاساس :"كنا نتفاهم معهم مثلا اذا مسكوا بنات بحشين ، أو مسكوا بقر أو غنم برعوا في أرضهم، أو مسكوا عمال مروحين " ٥٣ .

الاثار والمقامات

فلسطين تشبه لوحا توالت عليه عمليات الكتابة والمحو، فهي حجر الرحى عبر القرون عاشت أيامها بين مد وجزر ، في حرب وسلم ، خراب وعمار ، فبعد الهدم تستنهض الهمم للبناء والترميم . فتوالت عليها الاقوام التي عايشت هذه الخصوصية وهذه الالية.

وأبو شوشة كحال فلسطين ، فهي جزء منها ، وكان قدرها موقعها المميز، وتوفر شروط الحياة دافعا باتجاه التدافع لاستيطان واستعمار الموقع . هذا التواجد الذي ترك اثارا تعكس حضارة الاقوام المتنوعة التي توالت على سكن القرية .

وتقف هذه الآثار شامخة خالدة ناطقة باصالة البقعة ، فلا يمرن التاريخ على هذه القرية مر الكرام ، فأبو شوشة التي دفعت الثمن غاليا ضريبة لموقعها، وطالما عانت لانها تفتح شهية القادمين، احتفظت لنفسها بمساحة هامة في جنبات التاريخ، الذي يزودنا باخبارها منذ فجر اقدم العصور.

وتأسيسا عليه، كان الموقع * محط انظار مدارس الآثار العالمية وعلمائها ، وهم في المجمل مدفوعون بغايات واهداف سياسية مغلفة بقالب ديني . ولتقنين هذا التوجه،

* يعتبر تل الجزر أو الجزري أو تل أبو شوشة من اكبر المواقع الاثرية في فلسطين ، حيث تبلغ مساحته حوالي ١٢٠ دونما . ويرتفع حوالي ٢٠٠ مترا عن سطح البحر ، ويشرف على الطريق الدولية المسماة الفيا ماريس القادمة من غزة جنوبا إلى القدس ، ومن ثم إلى الشمال (تقرير معهد الاثار المشار اليه).

Digitized by Birzeit University Library

وتزويده بزخم وفعاليـــة، انشىء "صندوق استكشاف فلســطين" Palestine Fund Exploration في لندن ، وكان الهدف محددا وواضحا *.

لقـــد جرت العديد من الحفريات فـي مـــوقع القرية ، وكـــــان أولها بين الاعـــوام ١٩٠٢م و ١٩٠٩ م باشراف ماكلستر R.A.S Macalister وبتمويل من ذلك الصندوق نفسه ، وقد كانت هذه من أكبر الحفريات في ذلك الوقت حيث استخدم فيها (٢٠٠) عامل من قرية أبو شوشة ، وكان الاسلوب المتبع في الحفر بمستوى علمي متدن لكون الحفرية قد جرت باشراف ماكلستر وحده ، وبدون وجود طاقم فني بالمقارنة مع المكتشفات الهائلة التي تـــم استخراجها من الأرض ، والتي نشرت في ثلاثة مجلدات ٥٤.

وفي العام ١٩٣٤م مول "صندوق استكشاف فلسطين" حفلة أخرى من الحفريات باشراف "روي" A.Rowe. ولكن اكبر الحفريات التي جرت في الموقع تمت بين الاعوام ١٩٦٤م – ١٩٧٣م) بتمويل من "Hebrew Union College"، اي المجمع العبري الموحد . ولقد تم مشروع الحفريات تحت اشراف "رايت" ، و "ديفـر" ، و"لانس" و "سيغر" . وأخيـرا جرت حفريات حديثة بين الاعوام ١٩٨٤م و ١٩٩٠م باشراف "ديفر" وحـده ** ٥٥ .

---

* "منذ بدايات البحوث الاثرية المنهجية عن فلسطين ، وهي التي بـدأت في القرن العشرين ، ورؤية التوقع التاريخي كانت محكومة بموقف ديني مسبق ، ذلك ان الوثيقة الاساسية كانت الكتاب المقدس ، وانطلاقا من هذا النص طرحت كل المسائل ، فكانت المشكلة الكبرى هي مشكلة الجانب التاريخي ، حيث حاولوا اسقاط ما ورد في الكتاب المقدس على الواقع وتحميله دلالات لا يجمعها مع الواقع شيء. فعندما انشيءُ عام ١٨٦٥ الصندوق المشار اليه سابقا في لندن كان الهدف محددا بكل وضوح ، ذلك ان ميثاق التأسيس يحدد ان مهمته ان يجري بحثا دقيقا ، ومنهجيا، واثريا، وطبوغرافيا ، وجيولوجيا، واثنولوجيا ، عن الأرض المقدسة من اجل توضيح نص الكتاب المقدس ". (جارودي ، رجا : فلسطين أرض الرسالات الالهية . ترجمة وتعليق د.عبد الصبور شاهين . القاهرة : دار التراث، ١٩٨٦ ص ٦٥).

** ومن الجدير بيانه ، ان اصحاب المدارس التوراتية في الحفريات حاولوا الربط بين المواقع الاثرية وتلك التي ورد ذكرها في التوراة ، وكثيرا ما عرفوا هذه المواقع باسماء توراتية ، دون وجود دليل واضح على تبرير هذه التسميات ، وما يترتب عليها من تفسيرات . ولم يخل الامر من المغالطات . فقد جاء في دائرة معارف اليهود في مادة جازر انها تقع شرقي نهر الاردن في جلعاد قرب حـــدود عمون، وهذا يناقض كـــل ما جاء في التوراة من اخبارعن مدينة جازر التي جاءت مؤيدة كونها غربي النهر، وكان **تابـع** ..../

أما بالنسبة للمسح الجغرافي الذي قام به كوندر Conder وكتشنر Kitchener ، في الموقع، وهما الممولان من صندوق استكشاف فلسطين ، فقد نتج عنه رسم خارطة للموقع (أرفقناها بالبحث) بينت الطرق الرئيسية ، واهم المعالم الجغرافية ، علاوة على معلومات تضاريسية حول ارتفاع قمة التل الذي تقوم عليه القرية ، اذ يرتفع ب (٢٥٠) قدما عن الوديان المحيطة ، ولقد بلغ طول السطح العلوي للتل (١٨٠٠) قدم إلى الشمال وعرضه (٢٠٠) قدم .

ولقد تم تشخيص ورصد أكثر من (٢٣) معصرة نبيذ محفورة في الصخور ، اضافة إلى اثبات وجود العديد من مقالع الحجارة "المحاجر" التي كانت تمد اهالي القرية بالحجارة اللازمة لبناء القرية في فتراتها المختلفة. واستنتج- كتشنر وكوندر – ان هذه الحجارة استخدمت في البناء أكثر من مرة ولفترات طويلة.

وكان في الموقع العديد من الكهوف والمغر والمقامات والعيون ، ثم وجد فخار منشور في جميع انحاء الموقع ٥٦.

هذا يعني أن سكان القرية – ومنذ القدم – يزرعون ويعصرون العنب والزيتون في المعاصر المنقورة في الصخور.

وتناول تقرير خاص (غير منشور) أعده الاستاذ حامد سالم عن معهد الآثار في جامعة بيرزيت نتائج هذه الحفريات باسهاب ، وفيما يلي تلخيص لاهم ما جاء فيه:

لقد دلت الحفريات الاثرية على تسلسل (٢٦) طبقة عبر خمسة الاف سنة من الزمن تقريبا ، كشف في آخر طبقة منها فوق الصخر مباشرة عن موقده وكمية من الفخار الابيض المميز للعصر الحجري الحديث (٣٤٠٠ – ٣٣٠٠ ق.م) .

.... / يسكنها الكنعانيون وليس العموريون كما ورد في دائـرة المعارف المذكورة .(سوسة، أحمد. مفصل العرب واليهود في التاريخ. العراق: وزارة الثقافة والاعلام (دار الرشيد)، ١٩٨١. ص ٨٢٢) .

Digitized by Birzeit University Library

وقد كشف عن كهوف محفورة في الصخر بغرض السكن أو التخزين وفي هذه الكهوف وجدت جرار فخارية مليئة بالحبوب وادوات حجرية ومطاحن، وهذه جميعها تميز العصر البرونزي القديم ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق.م.

كذلك كشف عن بقايا بيوت ، وساحات مبنية بشكل جيد، وعن آبار محفورة داخل الصخر ومتصل فيها قنوات لجلب المياه اليها . وكذلك مخازن محفورة بالأرض ومبنية من الداخل بحجارة وقصارة قوية وكشف عن مجموعة من الجرار الفخارية المدفون فيها اطفال . وكلها دلائل ومظاهر تعود للفترة الأولى من العصر البرونزي المتوسط (١٩٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) وفي الفترة الثانية من العصر نفسه (١٨٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) كشف عن مدينة محاطة بسور تبين من طوله حوالي (٤٠٠) متر تمثل ثلث محيطه ، أما عرضه فكان (٤) أمتار وارتفاعه (٥ر٤) متر عن الصخر ، وقد بني من حجارة كبيرة وغير متناسقة . وبني عليه حوالي (٢٥) برجا بمتوسط عرض (١٥) مترا للبرج الواحد. ودعم هذا السور بسور ترابي مائل ومنحدر (١٠) امتار مشكلا زاوية (٣٠) درجة مع السور القائم . ووجدت داخل السور بيوت وافران وجرار مدفون فيها اطفال ، وقبور . اضافة لذلك، كشف عن طبقة حرق بارتفاع متر تمثلت باثار اعمدة خشبية متفحمة وجرار مليئة بالحبوب المحروقة، وقد ارجعها المنقبون إلى نهاية الفترة حيث خضع الموقع لحكم الفرعون تحتمس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٧ ق.م) الذي ذكرت كتابات معبد الكرنك انه حرقها.

وفي العصر البرونزي الحديث (١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) ، تم الكشف عن احواض لصهر وتحضير النحاس ، وعن ادوات من زجاج مصري، وتمثال ، وعن بقايا بيوت عرض جدرانها حوالي مترين وأرضيتها مقصورة ، وعن قناة مائية حفرت في الصخر . كذلك كشف عن كمية كبيرة من الفخار المكسر ، وحجارة بيتية متناثرة تعكس تدميرا حصل ، ربطه الباحثون بدخول الفلسطينيين في نهاية هذا العصر وبداية العصر الحديدي ، الذي كشف فيه عن فخار فلسطيني مميز ، وعن مخازن حبوب عامة، وبيوت وعدة قبور، ومبخرة من الحجر الكلسي محفور عليها صورة لاله العواصف الكنعاني "بعل" . كذلك كشف عن سور بموازاة السور السابق ، وباستعمال جزء منه ، وعن بوابة ذات غرف ، تبين من التحليل انها دمرت اكثر من مرة ، واعيد بناؤها، وربط الباحثون التدمير الحاصل لها بالحملات الاشورية والبابلية. وقد كشف - أيضا - عن قبور وحفر وبقايا جدران وبقايا فخار تعود للفترة الفارسية ، كذلك وجدت قطع نقود وأوزان حديدية تعود للفترة اليونانية والهلنستيه وعثر على

C.R. Conder & H. H Kitchner The Survey of Western Palestine P. 428 عربت في مركز الابحاث عن

Digitized by Birzeit University Library

كتابات ميزت الفترة الرومانية . وفي الفترة الاسلامية كشف عن قبور وقطع عملة تعود للمماليك ٥٧ .

أما أبرز المعالم في القرية فهي المقامات* ، فلا مسجد في القرية ، أما المغر فقد تناولناها في الجانب الجغرافي.

صحيح ان اهالي القرية يذكرون جيدا ان الشخص عندما كان يمشي في شوارع أبو شوشة يشعر "كأنك ماشي على سطوح دار ، في كان صدى لصوت المشي ، اتدبدب وانت ماشي تبقى سامع صوت دبدبة ، في فراغ واثار بيوت . ربع البلد كانت مبنية فوق مغر ، مغر معروف وين ابوابها واخرى غير معروف "٥٨ .

وهذا ليس غريبا ، فالقرية تعرضت للهدم مرارا وتكرارا ، واعيد بناؤها - أيضا - مرارا وتكرارا ، ولقد كان البناء الجديد على انقاض البناء القديم مستعملين الحجارة نفسها. ومستغلين ما يمكن استغلاله من الجدران السابقة

ومع انه صحيح - أيضا - ان اهالي القرية يتذكرون وهم صغار، عندما تتساقط الامطار، الماء النازل يسحب معه ذلك التراب الناعم "الطري" ، وبشهادة اهالي القرية للتأكيد كانوا "تشوف العملة القديمة ، نلقاها ، لا نعرف قيمة هذا الشيء الذي نلقاه ، نلعب فيه ونرميه" ٥٩.

فالبلد بلد اثرية قديمة ان لم تكن من أقدم البلدان ، الا ان الاثار والمعالم الباقية تتمثل في

---

* المقامات والمشاهد جمعان ، مفرد أولهما مقام ، ومفرد ثانيهما مشهد . والمقام في اللغة هو المجلس . فيقال : مقامات الناس اي مجالسهم ، كما يقال لجماعة الناس يجتمعون في مجلس : مقامة ، والمقامة والمقام : الموضع الذي يقوم فيه مجالس الناس . وأما في المفهوم الاصطلاحي فالمقام - كما نعرفه- يطلق على قبر أو مرفق ولي من أولياء الله الصالحين ، ويكون حوله مكان يجتمع فيه الناس للزيارة . وكذا المشهد ، فهو في اللغة المجمع من الناس ومحضرهم . وأما المشهد في الاصطلاح فهو قريب من معنى المقام ، وقد يكون فيه مدفن أو لا يكون (انظر: ابن منظور، لسان العرب مادة "قام" و "شهد" وكذلك الزوايا والمقامات في خليل الرحمن ، دراسة تاريخية حضارية . الحلقة الأولى . الخليل : منشورات جامعة الخليل ، ١٩٨٧ . ص ٦١ وما بعدها) .

المقامات التي تم مسحها عن الوجود بفعل اليد اليهودية . وأما اهم تلك المقامات في القرية فهي:

١- مقام الشيخ أبو شوشة : يقع في وسط القرية ، ومع ذلك ، كانت البيوت ابعد عن المقام من الجهة الغربية عنها من الجهة الشرقية. اي هنالك فراغ ومدى بين البيوت والمقام من الجهة الغربية . أما الجهة الشمالية والجنوبية فيكادان يتساويان في قرب البيوت من المقام . ففي المنطقة الجنوبية هنالك تقريبا (١٠) م بين المساكن والمقام ، وفي المنطقة الشمالية والشرقية يتراوح بين (٦٠ - ٧٠) مترا.

طراز البناء قديم ، وهو مثل الابنية العمرية الاخرى ، قبة نصف برميلية (بيضاوية) بدون مئذنة . وكانت مساحته (٩ - ١٠م٢) . وفي الركن الجنوبي من المقام يقوم مشهد القبر "المقام" ويرتفع عن الأرض حوالي المتر . ويفضي باب المقام إلى ساحة في الجهة الشرقية خارجه تصل إلى (١٠٠) م٢ ، وتعتبر وقفا للمقام . وكانت تستغل هذه الساحة "الفضاء" للصلاة فيها أيام الصيف ، أو الايام التي يكون المصلون بكثرة كالاعياد . وكان وسط الساحة الخارجية هذه شجرة تين كبيرة. وفي الركن القبلي من المقام يقوم محراب من الجهة الجنوبية يبلغ ارتفاعه (٥ر١) متر. وهو يتسع ل (١٠٠) شخص تقريبا ، ولم يكن فيه طاقات ولا شبابيك ، وذلك لان الأرض المحيطة كانت اعلى من المقام . ينهض المقام عن الأرض بحوالي متر واحد. وكانت الطريق التي تحيط بالمقام أخفض من الجدار بمتر واحد . أما ارتفاع المقام في الداخل من الأرض وحتى السقف فيقدر بحوالي ثلاثة امتار، وسمك الجدران تراوح ما بين (٧٠ - ٨٠) سم .

يقع باب هذا المقام في الجهة الشرقية، وهو على شكل قوس، وله عتبة ارتفاعها (١٠ - ١٢) سم . ثم تنزل درجة وتصبح داخل المقام. والباب مصنوع من الخشب عرضه متر ونصف تقريبا وكان يغلق عندما لا يتواجد في المقام احد . علاوة على عدم وجود قيم له ٦٠، كما وضعت صفير الأموات - نقالة الموتى - في المقام ٦١.

لا يعرف اهل القرية من هو أبو شوشة صاحب المقام هذا، ولكن الاعتقاد السائد انه شيخ تقي صالح نسبت القرية إليه. ومن الجدير بالذكر ، ان هذا المقام احتفظ بشكله وهيكله حتى أزيل عن الوجود مع باقي بيوت القرية .

Digitized by Birzeit University Library

٢- مقام الجزري: وقع على تل الجزر نفسه، ويعتقد أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى اسم التل ، ولم يسموه باسم صاحب المقام الحقيقي والذي ترشد بعض الروايات إلى ان اسمه محمود . بل اعطوه اسم المكان الذي وجد فيه شمال أبو شوشة، ويبعد (٧٠٠ - ٨٠٠) متر عن المقام الأول أبو شوشة.

وللاسف الشديد، كان هذا المقام مهملا، مجرد اطلال، اذ كان السقف مهدوما، والضريح موارى بالتراب، بمعنى غير منظور، ولم يكن قائما منه إلا زوايا ايلة للسقوط ، تتساقط بعامل الزمن والعبث. أي أن حالته العامة سيئة ولا تقام فيه الصلوات ولا يجلس فيه ، ولم يكن ينار بالزيت، كما هو حال غالبية المقامات حيث إن أهل القرية كانوا ينظرون اليه كاثار قديمة. وتقدر مساحة هذا المقام ب (٥٠) م٢ وهو بلا سقف ويتوسط مقبرة البلد في الجهة الشمالية ٦٢.

٣- مقام الشيخ درويش : يقع في مدخل البلد من الجهة الشرقية في منطقة عين يردة ، وهو قبر فقط محاط بحجارة ، تأخذ شكل "الرجم" بدون بناء ولا فناء ، كانت تزوره النساء بقصد التبرك ، واستعمال ما حوله من حجارة صغيرة "صرار"، وربطها في "صرة" وتعليقها في عنق الشخص المريض للاستشفاء من امراض معينة.

٤- مقام موسى الطليعة: يقع خارج حدود القرية في الجهة الجنوبية الشرقية ، وهو عبارة عن قبر فقط بدون بناء . سمي بالطليعة - وكما يعتقد اهل القرية - لانه كان من المجاهدين على رأس احد الجيوش الاسلامية ، ولكنه كان طليعيا ، يستكشف الطريق للجيش ، اي يكون متقدما على الجيش بمسافة (٢-٣) كم . فاستشهد ، وتيمنا به ، وتقديرا لصلاحه وشجاعته كان ذلك المقام ٦٣ .

٥- مقام الشيخ محمد : يقع داخل مقبرة القرية، وبني في القرن التاسع عشر على قبر شيخ صالح اسمه محمد واحتفظ بشكله العام حتى عام ١٩٤٨ ٦٤ .وفي هذا الصدد ننوه ، ان هذا المقام كان يقع في الجهة الشمالية / الشرقية على بعد (٢٠ - ٣٠) م من المقبرة .

٦ - مقام الشيخ جعباص، وهو كمقام موسى الطليعة من حيث الموقع، ومهمة صاحبه، الذي استشهد وهو يستطلع لجيوش المسلمين. يبعد المقام عن قرية أبو شوشة مسافة ٥كم جنوبا .

هذا هو الواقع العام للمقامات ، فمنها ما هو بين البيوت ، أو قريب جدا منها ، ومنها ما هو بعيد، والامر المشترك بين هذه المقامات هو عدم تحديد دقيق لإقامتها، إلا أن اهل القرية يعتقدون أنها قامت منذ (٢٠٠ - ٤٠٠) سنة . من هذه المقامات ما احتفظ ببنائه وهيكله حتى عام التهجير ، ومنها ما اندثر بناؤه كليا أو جزئيا لعوامل طبيعية أو بشرية.

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

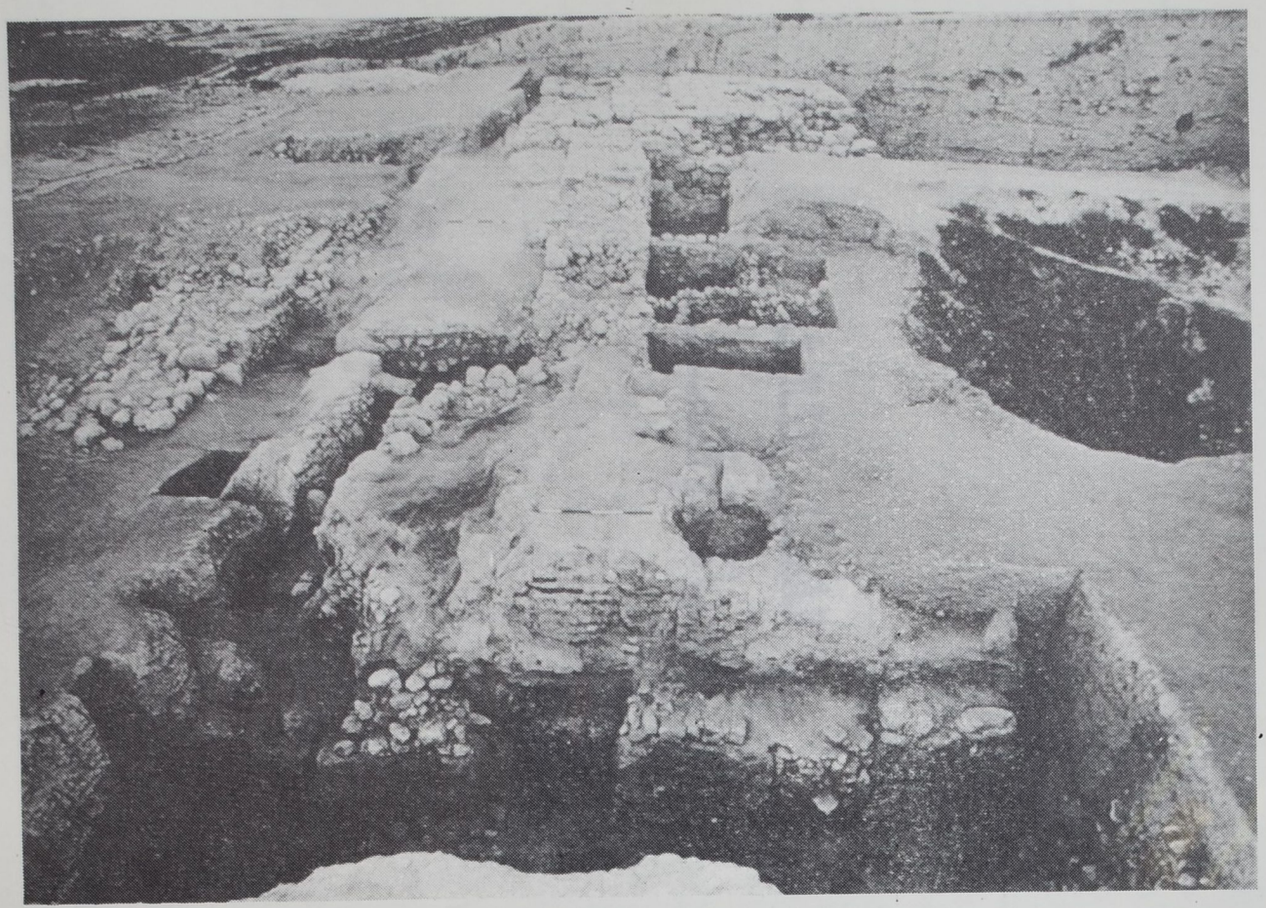

البوابة الجنوبية لتل الجزر من العصر البرونزي المتوسط .

Digitized by Birzeit University Library

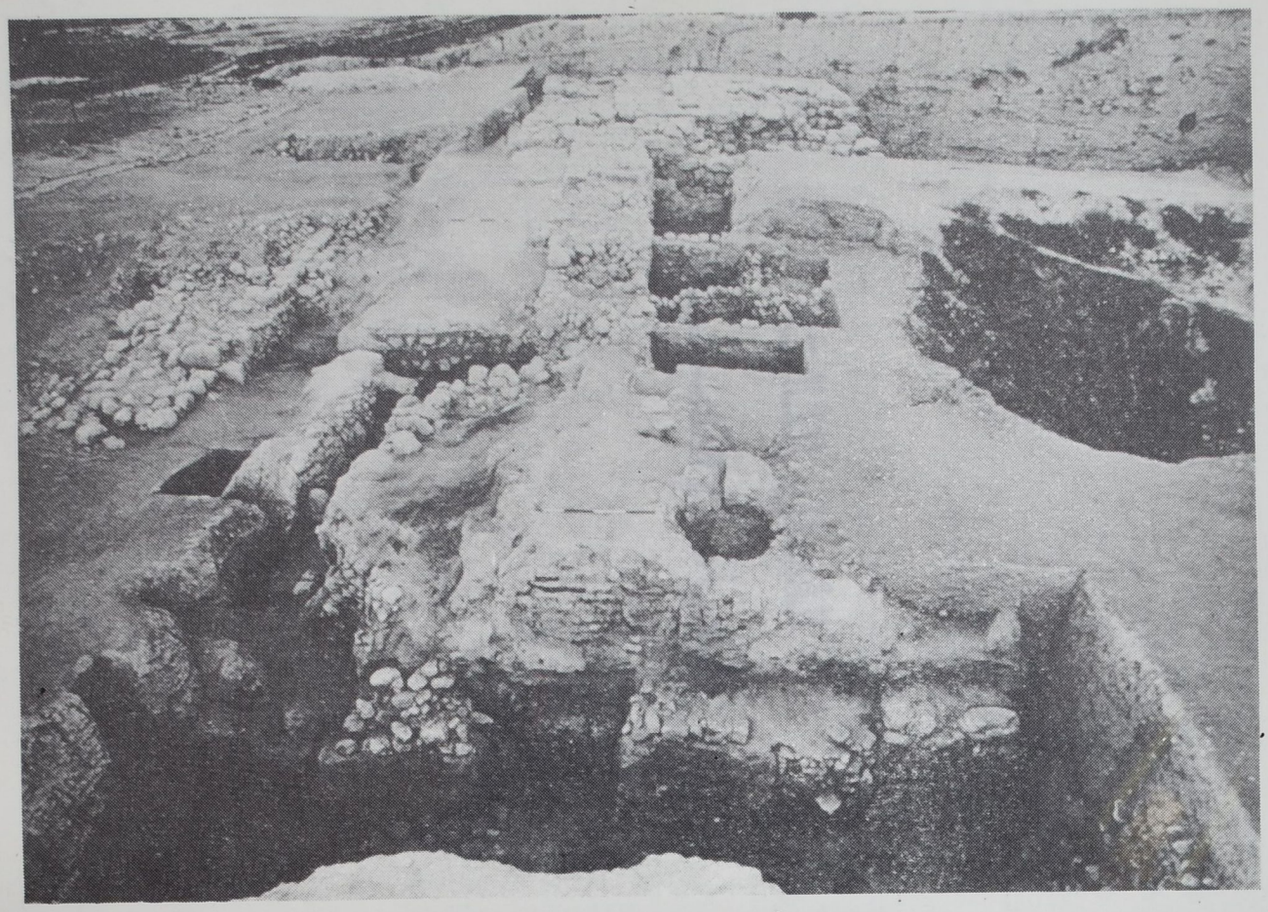

البوابة الجنوبية لتل الجزر من العصر البرونزي المتوسط .

الفصل الثالث
الحياة الإقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثالث
الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية في ابو شوشة ، والى حد بعيد ، صدى للاوضاع السائدة في الدولة العثمانية ، وكانت هذه القرية الوادعة احدى اهم تجليات المرحلة التي تمر بها الدولة الام . اننا نستطيع هنا تبين خطوط استمرار السياسة العثمانية في ظل التغلغل الاوروبي ، من حيث الدخول في السوق الرأسمالية ،ولكن ليس كشريك وند ، وانما بربط الدولة بعلاقة تبعية اقتصادية منذ تسوية لندن ١٨٤٠ / ١٨٤١ . فوقفت ابو شوشة شاهدا وضحية ، ودفعت ثمنا باهظا أثر بها نتيجة تلك التحولات الجذرية بالدولة العثمانية وفلسطين من ضمنها.

انطلاقا من كون الاقتصاد تكثيفا للسياسة ، وتعبيرا عن الظروف الذاتية والموضوعية التي تمر بها منطقة ما في حقبة زمنية معينة ، فبامكاننا القول: أنه خلال تلك الفترة في ظل السلطة العثمانية (٤٠٠) سنة بشتى ظروفها، قد تبلور شكل الملكية، والادارة للارض والريف.

ومن نافل القول، الحديث عن اهمية الارض بالنسبة للفلاح وللدولة -ايضا- وبخاصة ان الارض تشكل مصدر الدخل الاساسي للدولة، وهي المحور الذي تصاغ حوله الحياة الريفية ، ولا تقف الارض مصنفا اقتصاديا فقط، وانما تعتبر العظم الذي ينبت فوقه لحم ونسيج العلاقات الاجتماعية ، وبكلمة : الارض هي الحياة بصورها المختلفة .

لذا، وتحت "الحياة الاقتصادية" كعنوان ، يكون من اللازم الحديث عن هذه الارض وشكل ملكيتها وادارتها ، واستحقاقات ذلك كله ، بغية فحص مسلكيات السلطة العثمانية تجاه ابو شوشة ، وما ترتب عليها من نفوذ وتغلغل للرأسمال الغربي ، ولاحقا ، تدخل الاصابع الصهيونية في هذه الورشة ، ونتائجها . وبذا ، نفصح ونبين ما قصدناه في بداية حديثنا حول مصاب ابو شوشة ، الذي هو نفسه مصاب الدولة العثمانية إذ كانت دولتهم على كل حال .

شكل ملكية الارض في أبو شوشة إبان العهد العثماني:

سنحاول رسم اطار ومدخل لهذا الموضوع ، وذلك باعتماد المنهجية التي تقوم على اساس دراسة جملة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها الدولة العثمانية ،

Digitized by Birzeit University Library

من خلال تأثرها بمجموعة عوامل خارجية وداخلية ، محاولين تشكيل اساس نظرة شمولية لهذه المسألة .

لقد عمت الدولة العثمانية مشاكل اوصلتها الى حالة ركود حضاري / اقتصادي - حسب تعبير روجر اوين، فضعف مركزيتها على الاقاليم ، وتدهور مستوى جيشها ، واتساع رقعتها ، والحركات الانفصالية ، والغزو الخارجي، شكلت اهم اسباب هذا الضعف وحالة الترهل . هذه التطورات ، وغيرها ، قادت الدولة العثمانية للتوقيع على الاتفاق الانجلو - عثماني ١٨٣٨م ، وصولا الى تسوية لندن ١٨٤٠ / ١٨٤١ التي شكلت نقطة تحول في تاريخ الدولة والمنطقة بأسرها ، بحيث وضعت الاسس لدخول المنطقة في السوق العالمية ١.

وهذا الانتقال بالمنطقة الى الوضعية الجديدة ، افترض مجموعة من الامور لا بد من تحقيقها ، حتى تتمكن المنطقة من تلبية مقتضيات المرحلة الجديدة ، التي يقف على رأسها التحول الاقتصادي ، لتزويد السوق الرأسمالية بالمواد الخام . وهذا التوجه الجديد، كان لا بد وان يتناسق مع تطوير نهج اصلاحي ، شمل عدة ميادين كان من ابرزها الميدانان: الاداري والتشريعي (القانوني) ، علاوة على مجال البنية التحتية للمجتمع التي تشكل اساس التطوير الاقتصادي .

وفي هذا السياق نفسه ، وكوليد شرعي للتوجه الجديد للدولة العثمانية ، صدر في ٧ رمضان ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م قانون الاراضي الذي تضمن ١٣٢ مادة وخاتمة، فكان اول قانون يصدر بشأن الاراضي ويعتبر نقلة نوعية في تعامل السلطة العثمانية مع موضوع الاراضي وملكيتها.

وقبل هذا التاريخ ، كانت ملكية الارض للدولة ، وفي القرن التاسع عشر قامت الحكومة بادخال نظام الالتزام الذي بموجبه ، كانت ملكية الاراضي تقوم على ركائز اساسية هي : الدولة ، الاقطاعيون (المدنيون والعسكريون) ثم الفلاحون . فالدولة اعتبرت نفسها المالك الحقيقي للارض ، ولها الحق في جمع الضرائب والرسوم والاعشار . اما الفلاحون ، فكان عليهم زراعة الارض ، ورعي الماشية مقابل التزامات معينة يؤدونها لصاحب الارض ، كدفع الضرائب والاتاوات، ولقد أطلق على استغلال الفلاحين للأرض اسم "التصرف" بمعنى الحيازة وليس الملكية ٢.

وطالما ظل الفلاحون يعملون في الارض ويدفعون الضرائب ، ويقدمون الجنود ، فان حق التصرف يبقى شبه وراثي ينتقل من الأب الى الابن٣. وبطبيعة الحال ، ومع ان الفلاحين يشكلون اغلبية السكان ، ولما كانوا يعملون في الارض كمستأجرين ، تنحصر علاقتهم في الانتفاع بهذه الارض والتصرف بها ، وتحت رحمة الملتزمين والاقطاعيين ، فمن الطبيعي أن تكون احوالهم المعيشية سيئة ، وكانوا كثيرا ما يتعرضون لعمليات التعسف والاضطهاد.

وحصل تغير في هذا الاطار والنمط ، بالغاء نظام الالتزام في جباية الضرائب ، وذلك في فترة حكم ابراهيم باشا للبلاد (١٨٣٠ - ١٨٤٠) حيث أمر بجبايتها بشكل مباشر٤ .

وبعد فترة التنظيمات التي قامت بها الدولة ، سمح قانون الاراضي لعام ١٨٥٨ بالملكية الخاصة للاراضي ، ويصبح لمالكها حق التصرف فيها بيعا وشراء ، بعد حق شرائها من الدولة ، ودفع مبلغ كبير كثمن لها . اي ، ساعد هذا القانون ، على تطوير الملكية الخاصة للارض وجعلها بضائع متداولة ، ولربما قصد منه تحفيز الفلاحين على العناية بالارض، وزيادة انتاجها .

وكان ان صنفت الاراضي بموجب هذا القانون الى خمسة اقسام : المملوكة ملكية خاصة، الأميرية* التي تعود ملكيتها لبيت المال، الموقوفة، المتروكة، الموات ٥.

---

* يميز البعض بين الأراضي الأميرية والميرية. إذ أن الأراضي الأميرية اشتقت من لفظة الأمير، نسبة الى ما كان يلقب السلاطين العثمانيون به أنفسهم : أمير المؤمنين بمعنى أراضي الدولة أو الأراضي الحكومية التابعة لبيت المال. بخلاف الاراضي الميرية والتي تعني الارض المغلة، وما نسميه اليوم بالأرض المفتلح وذلك للتمييز بينها وبين الأراضي الجدبة. فكلمة " ميري " أخذت من أصلها العربي "ميرة" وتعني غلة السنة . ونحن في عملنا هذا، تبنينا أن كلمتي " أميري " و " ميري " مترادفتان فالعثمانيون الأتراك يلفظون أمير أمراء حلب مثلا بـ مير ميران حلب. والمشكلة ليست في تحديد معنى المصطلح، وانما ما يترتب عليهما من نتائج سياسية في مصادرة الاراضي (ياسين، محمود الشيخ المحامي. المستشار القضائي لبلدية طولكرم، ضمن كتاب مصادرة الاراضي في المناطق المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٨٠. إعداد واشراف إحسان نزار عطية. القدس : جمعية الدراسات العربية . ص ٧٦).

Digitized by Birzeit University Library

وبناء على ما تقدم ، كانت اراضي ابو شوشة تخضع لنظام الالتزام ، ثم صنفت أراضيهم كاراض اميرية . فالارض للدولة ، وللفلاحين حق المزارعة فيها . فلا يجوز ان يبنوا بيوتا او يزرعوا اشجارا الا باذن خاص من الدولة ، ومتى صدر مثل هذا الاذن يصبح البناء او الشجر ملكا خاصا ، بينما تبقى ملكية الارض التي يقوم عليها البناء او الشجر للدولة ٦.

كان هذا بخصوص شكل الملكية، اما فيما يتعلق بشكل الانتفاع ، وكيفية تنظيم عمليات استغلال الارض، وترتيب وتبويب عملية المزارعة ، فان نظام المشاع هو الذي يختص بهذه الامور؛ ورد في مجلة الاحكام العدلية في المادة ١٣٨ ما يلي : "المشاع ما يحتوي على حصص شائعة " ٧. وفي شرح هذه المادة يتقدم الاستاذ محمد سعيد مراد بشرحه التالي :" وسهم مشاع وشائع اي غير مقسوم . اما التخصيص والتعيين لهذا المشاع على الافراد ، او ما شابه فانه من وظائف القسمة ، وبها يرتفع الشيوع ويحل محله الافراز "او الفرز" ٨.

فليست الارض التي تملك بصورة جماعية ، وانما الاستغلال كان يتم بهذه الصورة ٩ . فتعبير "المشاع" ومع انه ليس واضحا مكان ممارسته وزمانه، ومع ان المعلومات غير كافية حتى نفهم هذا النظام كنموذج وكنمط ، ورغم عدم وضوح بداياته الاولى ، الا انه ، وحسب المعلومات الممكنة ، يمكننا رصد خصائصه المشتركة، وصيغته، فغالبا ما يكونون اهل قرية واحدة ، حيث تكون أراضي القرية جميعها تحت تصرف سكان هذه القرية ، وكل فلاح له حصة معينة في المجموع . فالحق العام يشمل جميع سكان القرية باستخدام الاراضي ، وتقسيم الاراضي المزروعة الى قطع متساوية قدر الامكان اخذين بالاعتبار نوع التربة والموقع والقرب من القرية، وتقسم هذه القطع على الافراد ، ويعاد توزيعها دوريا (عادة بالقرعة) حسب عدد الحصص التي يملكها كل فرد له حق الحيازة ١٠.

لكن يجب مراعاة انه ليست جميع اراضي القرية تخضع لهذا التقسيم كالحدائق القريبة من البيوت والاراضي المستفلحة ١١.

واجمالا لموضوع "نظام المشاع" يقرر روجر اوين: "وكل ما يمكن قوله ، بانه كان شائعا في السهول اكثر منه في الجبال في اواخر القرن التاسع عشر ، لكن من الممكن ايضا انه طبق في التلال بداية ، ثم توقف تطبيقه بعد ذلك ، بدليل ان كثيرا من القرى الجبلية استمرت تقسم اراضيها الى اجزاء عديدة حتى يتمكن سكانها من حيازة بعض قطع الارض على مسافات متفاوتة من القرية بنوعيات مختلفة . ومع ذلك،

ونظرا لان هذه الممارسة كانت في القرن التاسع عشر تتركز في السهول الواقعة في وسط فلسطين وفي جنوبها ، فانها قد تكون شائعة في التجمعات السكنية الحديثة التي اقيمت على قطع ارض محددة ، او التي لم يكن يرتبط ابناؤها برباط وثيق ".

وارى ، أن هذا الكلام ، بانزاله على قرية ابو شوشة ، يحمل جوانب الصحة اجمالا .

اما عملية اقتسام الارض الزراعية "المشاع" بين سكان القرية ، فقد وصفها الرواة ، نقلا عن ابائهم واجدادهم ، واتفق معهم في الوصف مؤرخون اجانب ١٢، ويمكن اجمالها بما يلي:

١) توزع الاراضي على سكان القرية الراغبين بفلاحتها والقادرين على استثمارها (على الشدادين) ، وليس على كل افراد القرية . والشداد هو الذي يشد العدة على حيوانات العمل ويتهيأ للفلاحة، والشداد - ابعد من ذلك - اسم يطلق على الشخص الذي يتصرف بالاراضي المشاعية وبشكل خاص الزراعية ، والذي يقوم بزراعة الارض المخصصة لمدة سنة واحدة او سنتين ويستفيد من محاصيلها فقط *.

٢) تقسم اراضي القرية الى اربعة اقسام رئيسية : شرقي ، غربي ، شمالي، جنوبي . وهذا التقسيم يتبع نوع المحصول الذي سيزرع ، وطبيعة الارض ، وقربها او بعدها من القرية ، ويستثنى من التقسيم الاراضي المشجرة والحدائق والاراضي المستصلحة حديثا باعتبارها ملكا خاصا ، وليست مجرد حيازة او تصرف .

٣) تصنف هذه الاقسام الى صنفين :

أ- اقسام شتوية لزراعة المحاصيل الشتوية من قمح وشعير وعدس وكرسنة وفول.

ب- اقسام صيفية لزراعة المحاصيل الصيفية كالسمسم والذرة والبطيخ والمقاثي بانواعها.

---

* كان يتم توزيع الحصص، إما حسب الذكور في العائلة (نظام الذكور)، وهنا يتم توزيع الحصص إما للإفراد أو الجماعات (الحمائل)، ويقوم كل شيخ حمولة بتقسيم الاراضي الى اعضاء الحمولة، وكان هذا النظام مطبقا في المناطق الجبلية والاراضي الفقيرة زراعيا. أما النظام الثاني، فيكون حسب البالغين أو الذين يملكون محاريث وحيوانات (نظام الفدان أو الشدادين) ويستند هذا النظام إلى اعطاء حصص للأشخاص القادرين على الزراعة ، وكلما كثر عدد الافراد، أو عدد الذين يملكون محاريث يزداد عدد الحصص .

Digitized by Birzeit University Library

٤) يتم حصر عـــدد المحاريث (عيـدان الحراث) التـــي ستستخدم في فلاحـة الارض ككـل، والموجودة في القرية مع معرفة اصحابها . وهنا قد يملك فلاح ما اكثر من عود حراث وقد يشترك فلاحـان فـي عود واحد ، ويرجـع ذلك لعدد الثيـــران او البغـال التـــي يملكها الفـــلاح ، ويستخدمها في الحراثة .

٥) تقسم عيدان الحراث في مجموعات ، كل مجموعة غالبا تحوي عشرة عيدان ، يكون اصحابها اقارب وبينهم مصاهرة وما شابه.

٦) كل قسم رئيسي من الارض يقسم الى عدة اقسام فرعية متقاربة في مساحتها ، ويكون التقسيم حسب عدد مجموعات عيدان الحراث في القرية، ولهذه الاقسام الفرعية مسميات اطلقت عليها اما مصادفة، او لسبب ما مثل ارض المراح ، البياضة ، حجر ابراهيم ، الجوهرية ، ظهر دغش ، حبل فتاح ، وعرة المعاصر ، الشعرية ، خلة البير ، خلة حمد ، ام الفيران وهكذا .

٧) يقوم المختار او الخطيب مع مجموعة من كبار السن بعمليـة التقسيم السابقة ، علاوة على عملية توزيع هذه الاقسام التي جرى تقسيمها على "الشدادين" وذلك من خلال اجتماع يعقد عادة في مضافة القرية ، او احدى علالي العائلات الكبيرة .

وكانت الطريقة الشائعة في التوزيع تتم "بالقرعة" العشوائية على مجموعات عيدان الحراث، حيث تكتب اسماء الحقول في كل قسم من الاقسام الاربعة على حصى صغيرة، او ما شابه ذلك ، توضع داخل كيس من الاكياس الاربعة المخصصة للاقسام الاربعة ، ثم يجلس "الشدادون" على شكل نصف حلقة يتوسطهم امام او خطيب القرية ، ثم يؤتى باطفال لا تتجاوز اعمارهم سن الخامسة ، وذلك لضمان عدم التحيز ، ويبدأ الطفل بسحب الحصى من الكيس ، ويسأله الامام لمن هذه الحصوة ، فيشير الطفل باصبعه الى احد الجالسين دونما اعتراض من احد . وهكذا تستمر العملية حتى تنتهي الاكياس الاربعة. وبكل تأكيد ، لا يمنع وجود طرق واساليب اخرى لاجراء القرعة .

ومتى عرفت كل مجموعة نصيبها من الارض ، تقوم بقسمة هذه الارض الى "موارس" يكون عددها مساويا لعدد عيدان الحراث في المجموعة التي غالبا ما كانت تكون عشرة . وكان

يستخدم المساس * او حبل لقسمة الارض الى موارس متساوية المساحة ، ويتم تحديد معالم المارس بقناطر من الحجارة . بعدها يتم توزيع الموارس على افراد المجموعة بالقرعة العشوائية ، ويعطى من له عودا حراثة مارسين ، ومن له ثلاثة عيدان يعطى ثلاثة موارس.

٨) تعاد الخطوات في النقطة السابقة على مستوى كل قسم رئيسي من الارض ، وبذلك تكون الارض المخصصة لكل شداد موزعة على الاقسام الرئيسية في القرية ، وليس في موقع واحد.

٩) يلتزم الشداد بفلاحة الارض المعطاه له ويزرعها حسب تصنيفها اما محصولا شتويا، او محصولا صيفيا ، ولا يسمح له بتأجيرها الى غريب، ولكن يجوز له ان يشترك مع اخرين يزودونه بثيران ، او ببذور شريطة ان تعلن هذه الشراكة قبل تخصيص الارض للشداد ، ويعامل هذا الشريك كواحد من الفلاحين .

١٠) ينتفع الشداد بقطعة الارض المخصصة له لمدة سنة واحدة او سنتين، وتقتصر منفعته في محاصيلها فقط، فبعد الحصاد تنتهي حقوقه بالنسبة للتصرف بالارض ويرجع المختار ، وكبار السن بتقسيم الارض من جديد وتوزيعها بالطريقة المذكورة ، باستثناء الارض التي صنفت للزراعة الصيفية فتبقى مع من فلحوها للعام التالي دون اعادة قسمة بحكم تعبهم السابق فيها اثناء فترة الكراب (حراثة الارض وتجهيزها للزراعة)، ويقومون بزراعتها

---

* عصا بطول ٢ - ٢,٥ مترا، أحد طرفيها يحوي رأسا حديديا مدببا، يستخدم لتنظيف سكة الحراث من التراب العالق، أما الطرف الآخر، فبه قطعة جلدية رفيعة لتوجيه حيوانات العمل وحثها على العمل. واحيانا كانت تقسم بواسطة حبل أو قصبة وبنفس الطول السابق (الحزماوي، ص ٢٥) .

مكتبة جامعة بير زيت

Digitized by Birzeit University Library

بالمحاصيل الشتوية ، وبذلك تتحول الاقسام التي خصصت للزراعة الصيفية الى شتوية وهكذا *.

هذا ما كان عليه شكل ملكية الارض واستخدامها في قرية ابو شوشة قبل صدور قانون الاراضي لعام ١٨٥٨، الذي بدىء بتنفيذه وتطبيقه في فلسطين عام ١٨٧٢. وهذا القانون** بدأ بتفتيت ارض المشاع، وسمح في ملكيتها شخصيا ، وتسجيلها باسم اصحابها .

وقد نص قانون الاراضي هذا ، وفي موضوع الاراضي الاميرية ، ان الدولة تقدم التسهيلات للفلاحين ، فتعرض عليهم احالة الارض عليهم ، وتقسيمها بينهم بعد تقدير ثمنها وتقسيطه على عشر سنوات تنتهي بحصولهم على سندات طابو ، فتصبح الارض ملكا لهم، ويكون من حقهم بيعها ، كما يمكن لصاحب الارض ان يبيع حق المزارعة فيها "استغلالها" ،

---

* يلاحظ دارسو التاريخ أن ممارسة توزيع الحصص أصبحت أكثر تباعدا من الناحية الزمنية وهذا جعل الفلاحين أكثر التصاقا باراضيهم وربما توقف عملية التوزيع في بعض الحالات .

** جاء هذا القانون على خلفية دمج فلسطين بالاقتصاد الرأسمالي العالمي ورغبة الدولة العثمانية في تحسين طرق الجباية بهدف تمويل عملية الاصلاحات، وغربلة النظام البيروقراطي العثماني بتأثير الضغوط الأوروبية. أدت هذه العملية في أبو شوشة كما هو الحال في كافة أرجاء فلسطين إلى تغير في علاقات الملكية الزراعية من ملكية المشاع إلى ظهور الملكية الزراعية الخاصة.

إن تقاعس صغار الفلاحين المؤطرين سابقا ضمن نظام المشاع عن تسجيل أراضيهم لأنهم لا يملكون ضريبة التسجيل، التي تعادل ٣٪ من قيمة الأرض. أو الخوف من أن يكون ذلك مقدمة لعملية التجنيد الإجباري، دفعهم إلى بيع أراضيهم،اما بإعطاء حقوق ملكيتها القانونية لملاك أو تجار، أو وهبها للأوقاف الاسلامية أو للوقف الكنسي، مقابل حق الإنتفاع الواقعي بهذه الأرض والبقاء عليها. وفي كلتا الحالتين استفاد بشكل أساسي من ذلك: أفراد عائلات نخب المدن والقائمون على الأوقاف وفئة التجار والأوروبيون أو الأشخاص المتمتعون بحمايتهم. وسنرى في الفقرات القادمة كيف استطاع احد التجار الأوروبيين من الاستيلاء على معظم أراضي أبو شوشة، غير أنه من الضروري أن نشير هنا أنه على الرغم من القوانين العثمانية فان نظام المشاع استمر حتى الإنتداب البريطاني حيث سنت قوانين قضت عليه بهدف خدمة حركة بيع الأراضي للحركة الصهيونية، التي توسعت مع الانتقال من المشاع للملكية الخاصة .

Abdel jawad Saleh. "Histoire du leadership palestinien depuis.la fin xix eme .siecle. " Cahiers Marxistes. mai, 1991 pp 47 - 67 .)

حتى لو كانت اراضي اميرية ١٣، وقد هدفت الحكومة من هذه الاجراءات الى العمل على تفتيت الارض المشاع ١٤.

الا ان قانون الاراضي ، وامثاله ، كما جاء على تلك الخلفية والارضية التي اوضحناها، والرسوم الباهظة ، والضرائب ، وعدم قدرة الفلاحين على الوفاء بها ، وتخوف السكان الدائم من استغلال ذلك لجباية الضرائب ، او الخدمة العسكرية الالزامية، ومع المشاكل التي ازمت وضع الدولة العثمانية ، انتهاء باستدانتها من بيوتات المال الخارجية ، قد يسر النفوذ الغربي ، وشكل مداخل للرأسمال الاجنبي محولة الدولة العثمانية الى مزرعة ، ومستعمرة للمستثمرين الاجانب.

لقد وجد هذا الامر ترجمته بسن قانون عام ١٨٦٩ ، الذي اباح تملك الاراضي في الدولة العثمانية ما عدا الحجاز ، للاجانب ، سواء اكانوا افرادا ام مؤسسات ام شركات . وكان هذا القانون قد استصدر كنتيجة لمديونية الدولة العثمانية وازمتها المالية المتفاقمة التي وصلت الى الافلاس في خريف عام ١٨٧٥ ولضغوط الدول الاوروبية ١٥.

قصة استيلاء بيرغهايم على ارض في ابو شوشة :

وفي هذا الخضم ، كانت قرية ابو شوشة – ايضا – تعاني ازمة مالية خانقة ، فضرائب الدولة السنوية مقابل تصرفهم بالارض ، الذي كان المختار وكبار السن يقومون بجمعها من الفلاحين بنسبة ما لهم من "افدنة ارض" او بنسبة ناتجها الزراعي ، ولو حصل ولم تفلح الارض وتركت بورا لسبب من الاسباب ، فان الضريبة تجبى من جميع البالغين الذكور في القرية بالتساوي. ولهذا عجزت ابو شوشة من الحصول على سندات طابو، وتملك الارض، كما عجزت عن سداد ما هو متراكم عليها لفترة عشر سنوات . ومع ضغط جامعي الضرائب المبعوثين من قبل الدولة ، احتار الاهالي في كيفية معالجة الامر ، وتعددت الاراء : فرأي يقول باستجداء الحكومة على امل الاعفاء من هذه الضرائب المتراكمة ، واخر يقضي بضرورة البحث عن دائن ١٦.

تبرع اثنان من القرية بالذهاب مشيا الى استانبول اواخر عقد الستينات من القرن الفائت لمقابلة السلطان واسترحامه، واخذا معهما مضابط باسماء اهل القرية، وتواقيعهم للبرهنة

Digitized by Birzeit University Library

على انهما فعلا وحقيقة يمثلان وينطقان باسم القرية . وشد حسن حبيب ومحمد ظاهر الرحال إلى الاستانة الى قصر يلدز.

وصلا السلطان ، وقدما له الاسترحامات ، فوافق على اعفائهم من الضرائب، وقفل المبعوثان راجعين الى القرية مسرورين، الا انهما وجدا اهل القرية قد نفذوا الاقتراح الثاني، وهو البحث عن دائن ، ويبدو، ان ابناء القرية قد استطالوا المبعوثين ، تحت ضغط جباة الضرائب ، فاتصل اصحاب الرأي الثاني ، بالتاجر اليافي توفيق بك ، الذي اوصلهم بدوره الى رجل يهودي، الماني الجنسية، يدعى برغهايم* ، كان على علاقة بالقنصلية الالمانية في القدس ، وذا رغبة في استثمار اراض زراعية. وتم الاتفاق معه على ان يدفع قيمة الضريبة المتراكمة على القرية مقابل اخذ ثلث ناتج القرية ككل لمدة ثلاث سنوات ١٧.

ان برغهايم هذا هو الابن الشرعي، والتعبير الحقيقي عن المرحلة التي مرت بها الدولة العثمانية والتي ما فتئت في تثبيتها ورصدها؛ فهو يمثل النفوذ الرأسمالي الغربي، المستغل لازمة الدولة العثمانية التي كان احد مظاهرها "في نهاية الستينات وبداية السبعينات اجراء مزادات لبيع الاراضي ، التي لا تزرع باستمرار ... وكانت تقع في الاكثر على طريق القدس – الرملة – يافا ١٨ . فكان من الطبيعي ان يتمخض الوضع البائس للفلاحين الى وقوعهم في براثن المقرضين، حيث كانت حالة – قرية أبو شوشة وبرغهايم – من الحالات البارزة في هذا المضمار. وبيرغهايم ، هو المصرفي اليهودي ، والتاجر ، وصاحب المعامل , والملاك الكبير، والمتمتع بالحماية الالمانية ، وكانت القدس مركز نشاطه ، اذ كانت مؤسسة بيرغهايم تمارس

* ميليفل بيتر بيرغهايم يهودي الأصل تحول إلى الديانة المسيحية، هاجر إلى بريطانيا سنة ١٨٣٤، ووصل إلى القدس بواسطة جواز سفر بريطاني. واستطاع أن يعيش بأمان نتيجة للتشجيع لمن يعتنق الديانة المسيحية من أوساط اليهود. وفي القدس انخرط بشكل فاعل مع بعثة المستشفى الانجليزي المحلية . وعندما تم افتتاح القنصلية البروسية في القدس وضع بيرغهايم نفسه تحت حمايتها. وفي سنة ١٨٥٠ تزوج من ابنة القنصل الالماني في القدس البارون فون منشهاوزن. وفي سنة ١٨٥١ قام بيرغهايم بتأسيس بنك خاص له في القدس. وفي كتاب دليل الرحالة لمؤلفه موريار (طبعة ١٨٥٨، ١٨٦٨، ١٨٧٥) هناك إشارة إلى نشاطات بيرغهايم في القدس كرجل مصرفي، وكذلك فان بيدكر (١٨٧٥) يذكر البنك الذي أسسه بيرغهايم في القدس لقوله ان بيرغهايم تعامل مع الكمبيالات وحسابات الاعتماد (يهوشع ص ٣٨٠) .

عمل البنك الحقيقي الوحيد في البلاد ، ومثلت البنك العثماني ، وبعض البنوك اللندنية ، وامتلكت فضلا عن ذلك اراضي حتى نهاية الاربعينات قرب يافا ، وفي المقام الاول قرب القدس، وكانت تمتلك ايضا معملا للصابون في الرملة . وفي سنة ١٨٧٧م قدر القنصل الالماني راس مال المؤسسة ب (٤٠٠,٠٠٠) مارك استثمر نصفها في "ضيعة" أبو شوشة الى الجنوب الشرقي من الرملة ١٩.

وكانت البداية ، قيام "ميلفل بيتر بيرغهايم" ، بدفع مبلغ (٤٦,٠٠٠) قرش للحكومة كان يمثل مجموع الضرائب المتأخرة التي ترتبت على حوالي (٤٠٠) شخص من اهالي قرية ابو شوشة. وبلغ عدد الفلاحين ذوو العلاقة بالمعاملة ٥١ شخصا، ويبدو ان هذا الحدث وقع، وتم الاتفاق عليه بين اهالي القرية وعائلة بيرغهايم بين الاعوام ١٨٦٩-١٨٧٢ م، حيث قضى باخذ ثلث الناتج من المحصول والانتاج الزراعي للقرية على مدار ثلاثة اعوام ٢٠.

وفي هذه الاثناء ، كانت العلاقة السائدة بين الطرفين (ابو شوشة وبيرغهايم) يكتنفها الغموض، وليست على وتيرة واحدة ، فتارة سلبية : "كان يحطلنا نواطير، حتى ظمة فريكة ما نعرف نوخذها" ٢١ ، وتارة أخرى ايجابية، بناء على نية مبيتة ومقصودة ؛ اذ لبت عائلة بيرغهايم احتياجات وطلبات الفلاحين للحصول على دعم مالي او قروض ، واعطاء بعض الفلاحين محاصيل على ان يقوموا بسدادها بعد انتهاء الموسم ، وجني المحصول وبيعه ٢٢. وبهذا الشكل وطدت هذه العائلة اركانها في القرية عبر تلك العمليات المقصودة من العلاقة الودية ومساعدة أهل القرية .

انقضت السنوات الثلاث ، فقام بيرغهايم باعلام القرية باستيفاء حقه ، وانه يرمي مغادرة القرية، وهنا، هب بعض ابناء القرية "الضعفاء والموجهنين ، والمتعشمين بلقمة طرية ، واللي اصبحوا مربوطين بهذا الشخص ، قالوا له: انت خواجتنا، والله ما بندشرك، لازم تظل عندنا " ٢٣.

فطلب من اهل القرية ، امام هذا الاصرار ، ان يبني لنفسه بيتا ، وكان له ان يختار اي موقع شاء . فاختار منطقة هي الاجمل ، وبقعة هي الاعلى ، وبانعزال قليلا عن القرية . وعلى التل نفسه الذي يشرف على البلد ، وكأنه مختارها ، فشرع يبني ، ثم كان ان طلب فلاحة جزء من الارض لحسابه الخاص (أنظر خارطة أبو شوشة – عام ١٨٧٤ المرفقة).

Digitized by Birzeit University Library

ان عائلة بيرغهايم لم تكن ساذجة ، فهم مستثمرون ، وتطلعاتهم "حتى العظم" اقتصادية ، علاوة على ان اهل القرية لم يدركوا انه يهودي ، وانما عرفوه كالماني . فقامت العائلة ، وعبر مخطط مدروس باحتواء القرية ، وربط اهلها بها بشكل لا يستطيع ابناؤها ان ينفكوا عنهم .

وكانت النتيجة ان امتلكت عائلة بيرغهايم (١٥٣) سند ملكية ، انتقلت اليها هذه السندات من ايدي ابناء ابو شوشة ٢٤. وفي هذا السياق ، كان الفلاحون وربما وهم لا يدرون - مستأجرين للارض - ومنذ اللحظات الاولى . صحيح انهم تمسكوا بارضهم ، وبزراعتها وبتوزيعها حسب نظام المشاع ، كما كانوا يفعلون من قبل ، اي دون تقسيمها الى قطع منفردة ، ودون تملكها اصلا ، اذ لم يسر قانون الاراضي لعام ١٨٥٨ حتى بدايات السبعينات - كما اسلفنا - ، ولكن قوانين الدولة مكنت العائلة ذات المصرف من الامتلاك ، وتجذير حقوقها في ابو شوشة، وهذا ربما يقف خلف اطلاق الكزاندر شولش اسم "ضيعة ابو شوشة" ، فكان الامر طبقا لنظرة عائلة بيرغهايم لابو شوشة على انها ضيعتهم ، واولوها عناية خاصة حتى استثمر ما يقارب نصف مال الشركة فيها .

ان هذا "الفخ" انطلى على الكثيرين من اهالي ابو شوشة ولكن ليس الجميع ، فما ان بوشر في بناء البيت المختار ، وفي المكان المختار ايضا وسط تل الجزر المرتفع ، حتى قام احد قاطني القرية ، من عراق المنشية اصلا ، وهو حسن يعقوب الذي كان محبوبا في البلد ، وعلى درجة من الثقافة يشار اليها بالبنان ، وكان مع ذلك فقيرا ، لا يتعدى اثاث بيته "لحافا قديما وحصيرة " ، توجه هذا الشخص الى بيرغهايم وهو يشرف على عملية البناء ، ووجه كلامه اليه قائلا :"غريب ييجي على البلد ويبني في احسن محل ، وبمساحة اكثر من دونمين ! انت ممنوع تبني هون - وكان العمال يبحثوا في الاساسات ، والجمال تناقل حجار للبناء"، واضاف حسن يعقوب :"البلد مش بلد ابوك ".

وكان رد بيرغهايم يتناسب مع دهائه وخبثه وخبرته حيث اوقف المعلمين والعمال عن البناء - كان من ضمنهم اناس من القرية نفسها - ، وراح الى ختيارية البلد وقال لهم معاتبا بدبلوماسية فائقة "انتم سمحتوا لي أبني ، وخسرتوني كل هالمخسر ليش؟! كان من الاول قلتوا لي ما تبني" . ردوا عليه باندهاش :"شو صار ؟ شو القصة ؟! اجابهم : اجاني حسن يعقوب ، وصار هيك وهيك ، ووقف العمال عن الشغل " ردوا عليه مناصرين : "هذا مش من البلد ، ما بطلعله ".

وفي اليوم التالي، بدأت عملية البناء من جديد ، فهرع حسن يعقوب بنفسه، ليتصدى لهم، وليوقف العمل كما فعل بالامس. الا انه - على ما يظهر - لم يعرف بما حصل في اليوم المنصرم السابق، حيث حصل بيرغهايم على دعم وجهاء القرية ، علاوة على الاذن بتأديبه ان عاد وكرر فعلته ، وفعلا كان، فأمر بيرغهايم "شلته وحراسه " فمسكوا حسن يعقوب ، وشدوا وثاقه ، وشرعوا بضربه ، وكانت عملية الضرب "بالكرباج" ، قام بها برغهايم شخصيا ٢٥*.

ان هذه الحادثة ، تلفت النظر الى اسلوب بيرغهايم الذي امسك بخيوط البلد بيديه ، والى سذاجة الفلاحين وبساطتهم ، والى ذلك الوعي الذي كان مقتصرا على شخص واحد لم يجد له معينا ولا نصيرا .

لقد تكشفت اطماع بيرغهايم هذا عند بنائه البيت، فظهر مخططه التوسعي لابتلاع القرية، وبانت اهدافه ومراميه ، ولكن للاسف ، ليس لاهل البلد انذاك، فسميت الدار "دار الخواجا" وكانت دارا كبيرة وواسعة . وكان بناؤها في أواسط السبعينات من القرن التاسع عشر .

قال ابناء القرية في وصفها: "بأنها دار مستطيلة ، لها باب من الغرب ، من طابق واحد ، وبها درج يقود الى العلية . احتوت على غرف للعمال والحراثين وغرف للجمال والبقر ولخزن التبن والغلة من قمح وشعير وذرة اطلق على هذه الغرف اسم "البوايك" ، وبلغة اهل القرية "البوايتش" . ومفردها "بايكة" او "بايتشة" وهي غرفة واسعة ٨م X ٩م .وكل غرفة مثل اسطبل تحوي التصنيفات السابقة . وليس هذا فحسب ، بل احتوت - ايضا- على ابار محفورة في الارض لخزن القمح والذرة والشعير ، حينما تكون زيادة وفائض في الانتاج ، وضم البيت بين جنباته (١٥ - ١٦) بايكة " ٢٦ .

---

* بعد أن أشبع حسن يعقوب ضربا، اتخذ موقفا سلبيا جدا من اهل القرية، فلاذ إلى قرية عنابة مستجيرا، فقامت قرية عنابة بارسال رسولين وحملوا متاع الرجل وأثاث بيته وعائلته وقاموا باحضارهم إلى القرية . وأصبح له بيت في عنابة، وقام بعملية تدريس الأطفال، وكان بمثابة المرجعية لاهل القرية في الاعمال الكتابية كالرجعة والكوشان وتسجيل المولودين حديثا، وعندما قسم اهل عنابة الارض، أفردوا له حصة مثله مثل أفضل شخص كدار الفصجي . (الحموي والبلبيسي مقابلة ١/١٠/٩٤) .

Digitized by Birzeit University Library

وبذلك، زرع برغهايم تواجده في القرية، واستأجر الفلاحين منها ومن خارجها للعمل في الارض التي اختارها، حتى أصبح عنده اكثر من (٣٠) شدادا، واستأجر بعض النساء للقيام بالاعمال البيتية ، وربى حيوانات العمل من جمال وثيران وبقر وحمير وبغال ، حتى صار يفلح اكثر من ثلثي ارض ابو شوشة ، واستمر في دفع ما استحق عليها من ضرائب، وتتوج هذا كله بأن اصبح بمثابة الحاكم الفعلي للقرية ، فجعل ابنه "بيتر" مشرفا وناظرا فعليا ومسؤولا عن كل املاكه .

ومن بداهة الامور، في مثل هذه الحالات ، ان يستغل "بيتر" ، امكاناته وسلطته ووجاهته المدعومة بقوته الاقتصادية ، وملاطفة ومسايرة اهالي القرية له ، لانه الذي يمنع ويمنح ، وهو "الباشا" محاولين التقرب اليه للحصول على "اللقمة الطرية" ، فصار يلعب دور القاضي والمصلح الاجتماعي "وحلال المشاكل" في القرية ، والجميع يتوجهون اليه.

اصبحت عائلة بيرغهايم تستغل "ضيعتهم" بل "بستانهم وحديقتهم" ابو شوشة ، بصورة مباشرة ومحكمة ، فبالاضافة الى المباني الجديدة التي اقامتها ، والارض التي اصبحت بحوزتها ، والمكانة الاجتماعية التي اخذت تلعبها ، فانها ركبت فيها مضخة ماء ، واقتنت حصادتين انجليزيتين ، حتى عرض عليها شراء ثالثة اميركية ، وحاولت تطبيق وسائل محسنة في الزراعة ٢٧ . حتى قال الكزاندر شولش في تقييم هذا المشروع :"ووصف لنا المشروع بأنه كان ناجحا ورابحا على نحو فائق".

الا ان ذلك النجاح – ان تم فعلا – فانه لم يدم طويلا ، فبدأت المشاكل تطل برأسها ، وتفرض نفسها على عائلة بيرغهايم ومشروعهم بقوة ٢٨. وكانت هنالك أربعة مصادر لهذه المشاكل والعقبات : اولها فلاحو القرية ، وثانيها الفئة العليا المحلية ، وثالثها ، الدولة العثمانية نفسها ٢٩ ، بالاضافة الى تعرض بنك برغهايم الى مشاكل مالية.

بدأ تذمر الاهالي من سياسة "بيتر" الداخلية على المستويات : الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية، اذ ادرك الاهالي – متأخرين – بان بيرغهايم يبتلع كل شيء ، وان مصيرهم كفلاحين لن يكون افضل من مصير الفلاحين تحت "سلطة" اي ملاك او مستثمر اوروبي . ولربما ، جاء هذا الوعي ليتناسب مع الموجة العامة التي بدأت تفرض منطقها على فلاحي فلسطين بشكل عام بشواهد العقل والحس معا، فالخصومة ضد الاستعمار الاوروبي الذي ظهر

للعيان ، والتغلغل الاوروبي الصارخ في جسم الدولة ، افرز حالة الاحتجاجات ، خاصة وان الاستيطان اليهودي اخذت اخباره تصم الاذان .

اما الجبهة الثانية، فقد فتحها موظفو الطابو من الفئة العليا في المجتمع، وكان محور هذا الخلاف مع بيرغهايم الزامه بدفع اكرامية "اتاوة بخشيش" لتسجيلهم العقارات باسمه، الا ان بيرغهايم رفض ذلك ، حيث بدأت سلسلة من الخصومات القضائية الطويلة .

اما اخر الاشكاليات، فكانت بفعل القوانين التي اصدرتها السلطة العثمانية بفرضها قوانين تحرم بيع الاراضي لليهود " واذ لم يكن افراد عائلة بيرغهايم من الرعايا المحليين او العثمانيين ، فقد كان عليهم ان يدافعوا عن املاكهم الجديدة باستمرار من الوجهتين الاجتماعية السياسية والقانونية " ٣٠ . قاد هذا كله ، الى وقوع عائلة برغهايم ومشاريعهم * في مستنقع المشاكل المالية ، في بدايات الثمانينات من القرن التاسع عشر، حيث وصلت حد التأزم التام عام ١٨٩١ ، فافلس البنك في العام التالي ١٨٩٢ ، وتم وضع اليد على مقدراته ٣١ .

فهذه الامور مجتمعة، تشابكت وانعكست على تصرفات "بيتر" الذي راح يتخبط باحثا عن مجير ومنقذ، حيث وجد في الحركة الصهيونية المنقذ من هذا المأزق (علما بان بيرغهايم هذا يهودي الأصل).

لم تكن عائلة بيرغهايم لتنظر الى الارض بوصفها موضوعا للمضاربة ، فهي بمثابة استثمارات منتجة ، ولكن ببروز المشاكل والعراقيل فلا بد من العمل على تصفية المشروع المشروع ، الا ان الامور لم تسر بشكل طبيعي ، بل جاء تفاقم الامور ليفجر الموقف وليسارع في تأزيم وضع العائلة، وقد نضح الوعاء ، واثقل صدور ابناء القرية بتصرفات "بيتر" ففي عام ، ففي عام ١٨٨٤ ، قامت مجموعة من ابناء ابو شوشة بقتل "بيتر" هذا ، اثناء عودته من يافا الى قرية ابو شوشة٣٢ ويقول يوسف الحموي في وصفه حادثة القتل هذه: " كان شخص من القرية بيتر يتنقل من بلد الى بلد بواسطة عربة يجرها جوز خيل ويقودها عبد المعطي بالاجر ، وكان في شاب اسمه علي حماد وشاب ثاني اسمه شحادة محمود اخذوا على عاتقهم عملية القتل ، فاتفقوا مع عبدالمعطي ان يتعاون

---

* لم تكن مشاريع بيرغهايم مقتصرة على أبو شوشة وإنما تعدتها إلى "الطالبية " وإلى مناطق اخرى على طريق يافا وغيرها .

Digitized by Birzeit University Library

معهم ، فوافق على المبدأ . هان طلبوا منه ان يعطيهم موعد اول سفرة للخواجا بيتر الى خارج القرية ، وفعلا اعطاهم وقال لهم في اليوم الفلاني ناوي يذهب الى يافا للتبضع ، واتفقوا معه على ان يعمل على تأخير العودة من يافا الى ابو شوشة حتى يصلوا مداخل القرية في الليل ، وعلى ان يأتي طريق الواد بدلا من الطريق الرئيسية المعتادة . وهناك على الطريق ، وفي موقع معين سيكون الكمين ، وفعلا نفذ اتفاقه معهم وعمل اللازم من معوقات في يافا حتى جاء به ليلا من طريق الواد ، واصطدمت العربة بالكمين المعد من قبل علي حماد وشحادة محمود ، وقام علي حماد بقتله بمسدس ، وكان هذا طبعا في زمان الاتراك ، وجاءت بعدها الحكومة ، وحققت في عملية القتل، واتهمت الثلاثة المذكورين اعلاه وحكمت على علي حماد بالسجن الفعلي لمدة ١٥ سنة وانسجن في القدس والبقية انحكموا سنوات اقل بين اربعة الى عشرة سنين " . وقد اخذت المحكمة بعين الاعتبار الاسباب الاخلاقية التي دفعت برجال من القرية لعملية القتل.

اثر مقتل "بيتر بيرغهايم" ، وقع الطلاق الحقيقي بين عائلة برغهايم وابناء القرية ، وحان الوقت لتفتيت ارض المشاع وتوزيعها كارض ملك ، وليظهر لاهل القرية حجم المصيبة : قال بيرغهايم لما انقتل "ابنه" : "انا مليش اقعاد في هالبلد ، اجوا يقسموا ، اجا وقال : انا الي نصف الارض . قالوا له : ما بطلعلك . قال : بطلعلي . انا اللي بدفع عن الارض ضريبتها طول السنين (١٨٦٧ - ١٨٨٤) . فاختلفوا ".

" قال : انا بوخذ لطريق النعاني . احتجوا ، وقالوا له : بتوخذ لطريق الرملة ."

"في عنا مختارمن المصاروة اسمه عليان ابو يوسف قال لهم : بدي احكي كلمة". قال له بيرغهايم : "احكي يا ابو يوسف . قال : انت بتوخذ لواد المالح ، يعني النص بين النعاني وطريق الرملة ، قال له : وجهك عليها ، فوافق الالماني " .

"تبع جماعة الفلاحين قال لمختار المصاروة : انت شو الك " وتلاسنوا حتى وصل الامر الى درجة التهديد بالترحيل من البلد" ٣٣ . وفي هذا الاطار ، استغل بيرغهايم عدة مداخل في اثبات ان له الحق في الارض منها .امتلاكه لسندات الطابو ، و "الكوشان" ، والرجعة ، وحق دفعه للضريبة عبر اكثر من عشرة سنين . وفي النهاية راح بيرغهايم وباع الارض لليهود *.

---

* يعتقد أن الأرض تسربت عبر المؤسسات اليهودية. وكانت المؤسسات التي تقوم بهذا العمل " مكفيه اسرائيل " أي أمل اسرائيل، وكانت من أبرز من عملت في شراء الأراضي ونقل ملكيتها إلى اليهود خاصة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. والدليل الابرز على نشاطها قرية يازور جنوب شرقي يافا تابع .. /

الخلاصة من هذا ، ان اراضي ابو شوشة التي آلت الى عائلة بيرغهايم، والتي استغلت القوانين العثمانية لتدعيم ملكيتها للارض ** ، بيعت للحركة الصهيونية. وتبلغ مساحة الارض المبيعة ، وكما اوردها الهداوي (٦٣٣٧) دونما من اصل (٩٤٢٥) دونما، فلم يبق لابناء القرية سوى (٢٨٩٦) دونما ، والقسم الاخير (١٩٢) دونما اراض عامة ٣٤.

ان تسرب الاراضي لليهود جرى ومنذ عام ١٨٨٤ وحتى الحرب الاولى، ولربما حدث هذا عبر مراحل والى جهات وليس الى جهة واحدة ، الا انها جميعا صهيونية ، حتى اذا ما جاءت الحرب الاولى كانت كل الاراضي بيد الحركة الصهيونية سواء "القبابين" ، او "الكيرن كايميت" او "مكفيه يسرائيل" ، اذ يورد الكزاندر شولش ، ان عائلة بيرغهايم استمرت في "الدفاع عن اراضيها" حتى الحرب العالمية الاولى.

وفي الختام ، من الجدير ملاحظته ان المؤرخ الشهير ، الكزاندرشولش ، والخبير بتاريخ الدولة العثمانية في القرن (١٩) ، والذي يملك التسهيلات والقدرات للاطلاع وفحص الوثائق الالمانية من مصادرها الاصلية ، يقرر ان مساحة الضيعة بلغت (٥٠٠٠) مورجن اي ما يعادل (١٢٧٥) هكتارا ٣٥. ونعتقد ان الزيادة تعود الى املاك بيرغهايم التي امتدت خارج ابو شوشة.

... / عام ١٨٧٠. أما الكيرن كايميت وهو الصندوق الدائم لاسرائيل، أو الصندوق القومي اليهودي، فقد اقترح انشاءه عالم الرياضيات هيرمان شابيرا عام ١٨٨٤، وعرض الاقتراح على المؤتمر الصهيوني الاول ١٨٩٧، إلا أن الموافقة عليه لم تتم إلا في المؤتمر الصهيوني السادس ١٩٠٣م. والذي نص قرار انشائه على حصر استخدام امواله في استملاك الأراضي أو أية حقوق فيها في المنطقة التي تضم سوريا وفلسطين وأية اجزاء أخرى من تركيا الاسيوية وشبه جزيرة سيناء بهدف توطين اليهود فيها بحيث تعتبر هذه الاراضي ملكا أبديا لليهود يجوز بيعها أو التصرف فيها عن غير طريق تأجيرها .

** إضافة لما سقناه حول حق المزارعة، ودفع الضرائب، يقول زهير ماردينى وعلى لسان الحاج أمين الحسيني " ... وبذلك كانوا يحصلون على التفويض باستصلاح الارض وامتلاكها بعد فترة عشر سنوات، وكان بوسعهم بعد هذه الفترة تسجيل تلك الاراضي بأسمائهم فيحلون محل الدولة في ملكيتها " .(الحزماوي ص ٤٥) .

Digitized by Birzeit University Library

تفتيت ارض المشاع :

بعد هذه الخسارة التي منيت بها القرية ، وضياع ما نسبته ٦٧٪ من اراضيها ، ثار موضوع تقسيم الارض المتبقية ، ولاجل هذه الغاية ، وفي النصف الثاني من عقد ثمانينيات القرن التاسع عشر ، تم اختيار لجنة مكونة من سبعة اشخاص للقيام بفرز وتقسيم الاراضي المتبقية (٣٠٨٨) دونما، واساس اختيار العضوية لهذه اللجنة كان بالدرجة الاساسية التمثيل العائلي / الحمائلي ، والوجاهة الاجتماعية . اما اعضاء هذه اللجنة فكانوا :

١. محمود حسن/ عواد / مختار
٢. عليان فودة / مصاروة / مختار.
٣. نمر الصالح /عواد/.
٤. حسن محمد ابو الطبول / مصاروة/.
٥. حسن عواد /عواد/.
٦. محمد السيد /مصاروة/.
٧. احمد رداد من سكان ابو شوشة ، واصلا من النبي صموئيل ، وقد مثل العائلات الفرعية ٣٦.

حددت اللجنة "الاراضي العامة" من اجران "بيادر" ، وطرق ووديان ومغر ومراع ، مثل ارض الجائحة والمقدرة مساحتها بـ (٥٠٠) دونم، ثم قامت اللجنة بتقسيم المتبقي من الارض الى حوالي (٧٠) قطعة ، اطلق على القطعة الواحدة اسم "سهم" . وكانت مساحة السهم الواحد تتراوح ما بين (٣٥ – ٥٠) دونما حسب موقع السهم في ارض جبلية وعرة ، او ارض سهلية ، ثم تم حصر اسماء الاسر في القرية ، " كل سبع ، ثماني اسر "عيل" لها وكيل يتحدث باسمها"٣٧ وذلك لتقنين سير الاموروسهولتها . ثم بدأت اللجنة بتحديد نصيب كل اسرة ، منها ما حدد له سهم ونصف، ومنها نصف سهم او ربع سهم او ثمن . وكان الاستناد في ذلك كله على اعتبارات تتعلق بحجم الاسرة ، واستعدادها للفلاحة ، ودورها الاجتماعي، وقربها او بعدها من بعض اعضاء اللجنة واصلها (فلاحين او مصاروة) وغيرها من المعايير غير الاساسية.

"كان الجشع والمحسوبية في ذلك الوقت متوفر، هذا فلان عند الجماعة منيح ، او من غايتهم يعطوه ، وكانت قسمة لا يتصورها العقل، وتقريبا اكثرية الاراضي طلعت لطرف، احنا اكثر عدد وطلعوا هم اكثر حصة في الارض " . اما عن سبب ما جرى في القسمة مع ان اللجنة مختلطة وممثلة يكمل السيد

يوسف سعيد الحموي حديثه :" لانه الذي يسمي ويسجل الاراضي ويعين الاسهم . منهم ، يقول : اكتب لفلان كذا ، وهو يكتب".

اما لماذا لم يكن هنالك اي نوع من الاحتجاج على هذا المسلك يردف الراوي : "كل هالبلد تكون جامعة وانت كتبوالك ربع تقول لأ بديش ؟!" ولاكمال الصورة يستمر يوسف الحموي في عصر ذاكرته :" فلان بحبوه : اكتبوا له فدانين ، ثم جابوا واحد اسمه توفيق انطون قالوا : هذا ينفعنا في المحكمة (بمعنى واسطة) لذلك يريدون ارضاءه واشباعه ليخدمهم ، واخذ تقريبا (١٢) فدان. طيب ليش توخذ (١٢) فدان انت ابن البلد ؟؟ انت من القدس ليش تأخذ (١٢) فدان؟".

"وتوفيق انطون هذا ، موالي لدار ابو غوش، حصل له (٢٤) فدانا، لانه معاه شوية مصاري لما بطلع لواحد ربع سهم ، بدي ابيعه هالربع ، قديش كان الربع ، ربع السهم ثمنه ١٥ ليرة ، خذ هي ١٥ ليرة ، ويسجلوا باسمه توفيق انطون . وبعدين كتبوا له (٤) فدادين، وكتب لكل من حسين إبطيبط من الرملة ويهودي إسمه عينتيبا فدانان. واذا كان في ناس شهمين او متشوقين (مستعدين لعمل مشكلة) يعطوهم اكثر شوية . اما اذا كانوا فقراء ربع سهم ، حتى ان الوكيل عن (١٠) اشخاص او ثمانية ما يحصلوش فدانين".

ومعنى هذا ان عملية القسمة ، جرت بمرحلتين : الاولى، في ساحة البلد ، وهي التي وصفناها تفصيليا ، والثانية بعد ذلك مباشرة بعد يوم او يومين في يافا في دائرة الطابو. هناك كان بانتظارهم توفيق انطون ايضا ، وكان الذهاب الى يافا الى دائرة الطابو هاما لتسجيل الارض باسماء أصحابها وفقا للتقسيم الجديد الذي جرى في ساحة البلد ، وبكلمة للحصول على "كوشان" الارض ، اذ "الكوشان" عبارة عن سجل الطابو وهو ورقة اثبات الملكية ، وكان تحصيل ذلك من دائرة الاراضي في مدينة يافا .

الا ان الحصول على "الكوشان" ، يقتضي دفع ما قد ترتب على الشخص من ديون، فكان توفيق انطون جاهزا هناك لشراء حصص، واسهم اهالي القرية الشحيحة التي يفضل اصحابها بيعها لقلتها ، او شراء اسهم غير القادرين على دفع ديونهم او دفع الرسوم لتلك العملية.

ومن الطبيعي ان اهالي القرية لم يذهبوا كلهم الى يافا ، بل الوكلاء ،حيث يمثل كل وكيل منهم اسهم (٧ – ١٠) عائلات، اذ يعرف كل وكيل حصته ومقدار نصيبه من الاسهم بموجب القسمة التي سبقت الذهاب الى يافا للحصول على "الكوشان" "تطويب الارض" .

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا خرج الفلاحون ومعهم اغلب الاراضي ، اما المصاروة ، فخرجوا الاقل حظا – في امتلاك الاراضي – وهذا افرز (٦-٧) اشخاص اخذوا ما يعادل فدانا ونصف الفدان، والبقية حصلت على ارقام عشرية .

وكنتيجة لذلك، كان على المصاروة البحث عن مصدر رزق اخر، ولقد طرقوا لاحقا ابواب المؤسسات الرسمية الحكومية التي منها سكة الحديد ، ودائرة الاشغال والبريد والهواتف مما سنعود الى بحثه بالتفصيل .

ملكية اراضي ابو شوشة في العهد البريطاني:

عمل هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني الاول ، على تغيير القوانين العثمانية، واصدار قوانين جديدة لتسهيل انتقال الاراضي لليهود، وقد حذا المندوبون السامون التالون حذوه . وكان من القوانين في هذا الحقل: قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي، حيث ان معظم اراضي فلسطين في اواخر العهد العثماني كان يسودها نظام المشاع ، وحتى عام ١٩١٨ كانت ٧٠٪ من اراضي الفلسطينيين اراضي مشاع ، ثم اخذت هذه النسبة بالتقلص تدريجيا لتصل الي ٥٦٪ من مجموع مساحة الاراضي الفلسطينية عام ١٩٢٣م ثم الى ٤٦٪ عام ١٩٢٩م ، ووصلت الى ٤٠٪ عام ١٩٤٠ ٣٨. ولما كان هذا النظام يشكل عائقا امام اليهود في شراء الاراضي ، نظرا لعدم افرازها وتسجيلها باسماء اصحابها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، وفي حالة رغبة اليهود في شراء الاراضي المشاع ، كانت عملية البيع تتطلب موافقة جميع الاشخاص المشتركين بالارض ، وهذا ما كان يصعب تحقيقه ، بل يستحيل في بعض الاحيان . لهذا كله ، اصدرت الحكومة في ٣٠ ايار ١٩٢٨ قانون التسوية المشار اليه . ومع ان الحكومة ادعت بأن القانون يهدف الى تنظيم سجل مضبوط تسجل فيه حقوق جميع ملاك الاراضي الزراعية، والتثبت من حقوقهم، وانتزاع ما لا تثبت ملكيته عليها ، الا ان الهدف الاساسي كان واضحا : تفتيت الاراضي المشاع للحد من هذا النمط ، ومن ثم تسهيل انتقال الاراضي الى اليهود ٣٩.

ومن جملة ما نص عليه القانون، ان يشكل في كل قرية ، "لجنة التسوية في القرية " ، ويختار حاكم اللواء اعضاء هذه اللجنة من بين الاشخاص الذي يرشحهم سكان القرية المالكون المعروفون فيها ، وتمثل هذه اللجنة جميع الشؤون العامة في القرية ، ويحق لها

ان ترافع وان تدافع باسمها .

وكان افراز الاراضي المشاع يتم باحدى طريقين : الاولى من خلال الترخيص بالاتفاق بين اصحاب الارض ، وتنظيم صك بالافراز الذي يجرونه ، اما الطريقة الثانية فتتم بواسطة المحاكم، ففي الحالة الاولى يجب ان يتفق جميع الشركاء ، وهذا افضل ، اذ تسهل المعاملة ، وتقل التكاليف ، بخلاف الطريقة الثانية ٤٠.

وانطلاقا من هذا ، قامت حكومة الانتداب بعد هذا التاريخ ، ١٩٢٨م ، بوضع حدود لاراضي كل قرية في فلسطين بوساطة لجان الفتها لهذا الغرض ، واعتمدت في تخطيط الحدود بين القرية والاخرى "مقالب المياه " اي خطوط تقسيم المياه ، او قرارات الاودية في المنخفضات او الطرق الرومانية. وعلى الرغم من ان الحدود بين القرى كانت معروفة ، الا انه لم يكن لتلك الحدود الصفة الرسمية القانونية، ففي الثلاثينات ، وضعت حكومة الانتداب انطلاقا من روح القانون ، خرائط بين عليها مخطط كل قرية، وكانت "القطعة" * هي الوحدة الثابتة للمساحة والتسجيل، وهذا النهج لم يقتصر على القرى والمدن ، بل تعداها الى اراضي البدو في قضاء الخليل والسبع وغيرها ٤١.

هذا الموضوع هو الذي اثار قضية جبل الجائحة (٥٠٠) دونم ، اما بقية الاراضي التابعة لقرية ابو شوشة ، فلم يطرأ عليها تغيير. لانها اما مفروزة ومقسمة، وإما اصبحت في ايدي اليهود.

فعندما مسحت الاراضي ، كان على ابناء القرية تحويلها من اراض عامة الى ارض خاصة وذلك بتوزيعها عليهم، وهنا انقسمت القرية الى رأيين متعارضين ، تعود جذورهما الى تقسيم اراضي القرية السابق ايام بيرغهايم .

---

* "القطعة" "بلوك"، وتعني جزءا من أراضي القرية يحتوي على قسيمة واحدة من الأراضي أو أكثر، والقسيمة هي وحدة متصلة من الأرض واقعة ضمن قطعة من الارض يملكها شخص واحد، أو مجموعة من الناس، وتشمل الارض على كل حقوق ناجمة عن الارض والابنية، والاشياء الثابتة في الارض بصورة دائمة (الحزماوي، ص ٩٢ - ٩٤).

Digitized by Birzeit University Library

ثار الاشكال في الظاهر على الشكل الفني للتوزيع ،ولكنه في الواقع كان محاولة من حمولة "الفلاحين" لاخذ اكبر مساحة ممكنة من الاراضي، فالرأي الاول ، طالب بتوزيع الارض حسب ما يملك كل واحد من اسهم في الارض ، ومن لا يملك لا يحق له ان يملك في ارض الجائحة. اما الرأي الثاني ، والمعارض للرأي الاول ، فينادي اصحابه بتوزيع اراضي الجبل حسب عدد الذكور، سواء اكانوا مقيمين في القرية ام مغتربين عنها ، وبغض النظر عن ملكيتهم السابقة وحجمها ٤٢ ، يقول السيد يوسف الحموي:

"في الزمن الماضي ، طلعت علينا مساحة انجليزية (بعد قانون التسوية) وقبل ما تصير المشاكل على ارض جبل الجايحة ، كنا احنا المصاروة اكثر من الجماعة "الشراقة" الفلاحين . ووطياتنا "اراضينا" قلال . وكان عندنا مختار "دقير" ، ولما اجوا للقسمة ، قالوا له : بدنا نقسم على الاسهم ، اللي اله سهمين بيوخذ سهمين في وعر الجايحة . اجاب المختار : لأ ، لا يمكن ، وقال لهم : اسماعيل ابو عابد ابن ابو شوشة واللي ساكن في القبيبة لازم يوخذ ارض زي اي واحد فيكم ، والقسمة بالتساوي على "الذكر" . يا حج ، يا حج ، ما بصير. اجابهم : هذا اللي بصير . في عندنا (٢٠ - ٣٠) واحد ما الهمش ارض ، هذول انحرموا من الارض الاولى ما بصيرش ينحرموا من هذه الارض ".

ادى تصلب ، كل من اصحاب الرأيين ، واصرار كل منهما على موقفه ، الى ان تتعطل عملية الفرز . وفي هذه الاثناء ، "اتى مدير المساحة ، حط نقطة عليها (على ارض جبل الجائحة) وقال اختلاف على الارض " مما يعني انه لن تجري عملية تقسيمه الا بعد ان تسوى المشاكل ، ويحل الخلاف .

وفي هذه اللحظات قفز الى مسرح الاحداث شخص اخر ، ولكن هذه المرة ليس توفيق انطون، وانما شخص اكثر وجاهة وبأسا ونفوذا ، الا وهو سعيد ابو غوش * "استغل هذا الخلاف

* كانت قوة سعيد أبو غوش كبيرة، فعلاوة أن طريقة أخذه لجبل الجائحة، وتطويبه باسمه في دائرة الاراضي في يافا. فلقد كان هذا الشخص شيخ منطقته، فكانت عائلة أبو غوش تتحكم في معظم أراضي منطقة القدس، وكانت تتحكم بالاراضي الممتدة من البيرة حتى بيت لحم، لتصل غربا حتى السهل الساحلي ما بين الرملة وباب الواد، كما تحكمت هذه العائلة في بداية القرن التاسع عشر بالطريق الممتد ما بين يافا والقدس. حتى أن كنائس القدس كانت تدفع مبلغا من المال سنويا إلى أبو غوش، حتى تسمح للحجاج المسيحيين المرور من الاراضي التي تسيطر عليها .تابع ... /

ملاك كبير من خارج قرية ابو شوشة يدعى سعيد ابو غوش ، كان يملك ارضا محاذية لارض الجايحة ، اسمها خربة دير ذاكر ، وقال ان جبل الجايحة ملك له ، واستطاع ان يثبت ذلك امام المحاكم والدوائر الرسمية وبالتالي تملك الجبل والارض المحيطة به ، وقد ساعده في ذلك بعض الشهود من اهل القرية ".

وهؤلاء الشهود الذين وقفوا مع عائلة ابو غوش، على ما يبدو ، طمعوا في ان يكون لهم حظوة عنده ، بحيث يصبحون من الاصفياء والموالين ، اذ كانت عائلة ابو غوش هي التي لها الكلمة في منطقة نفوذها ، وتتربع على رئاسة (الحزب اليمني) ان جاز التعبير، ولو ان ابناء قرية ابو شوشة، تأنوا قليلا ، وتكاتفوا ، ولم يقفوا مع خصمهم في محكمة يافا ، لتملكوا الجبل بدون قيد او شرط.

"اصحاب الرأي والمشورة في قرية ابو شوشة ، لم يهدأ بالهم ، ولم تذق عيونهم طعم الراحة ، اذ كان جبل الجايحة مسكر على البلد وطابق عليها طبق" وابعد من ذلك ، فان مرعى حيواناتهم اصبح في عداد النسيان وفقدوا مأوى حلالهم، مغارة الجائحة، فعز عليهم ، وسادت حركة نشطة من الاتصالات بين العقلاء في القرية، وانتهت مداولاتهم باقتراح الذهاب الى ابن سعيد ابو غوش، الدكتور يعقوب*، ومقابلته . وفعلا كان لهم ذلك، واقنعوه بفكرة بيع الجبل لهم ليستردوا حقهم فيه، فوافق.

... / لقد كان هناك تقليد، وعادة، وفي حقيقتها "آتاوه"، إذ كان يتم تخصيص يوم عمل تطوعي "عونه" من قبل الفلاحين المجاورين، ومنهم أهالي أبو شوشة، للذهاب إلى أراضي سعيد أبو غوش، ويقضوا بها نهارهم، فيحرثون ويقومون بغير ذلك من الاعمال. ولقد كان أبناء أبو شوشة وغيرهم، يتركون حراثة حقولهم، ويذهبون لمد يد العون "الاجبارية" وذلك لاثبات وجودهم، كي يعلموه أنهم حضروا ولم يتخلفوا. وان حصل، ولم يحضر مزارع أو فلاح، كان سعيد يعامله بقسوة، فان دخلت حيوانات ذلك الفلاح في ارض سعيد كان يصادرها، أو يجعل صاحبها يدفع ثمنا باهظا مقابل استردادها . واحيانا كان سعيد يتعمد انزال حيواناته في اراضي غيره، وان صارت لذلك الفلاح المتخلف عن العمل قضية في المحكمة أو ما شابه ذلك، فان سعيد لا يقف بجانبه بل يستثمر علاقاته الطيبة مع الحكومة، ونفوذه ليدفع ذلك الفلاح ثمن عدم حضوره .

Reilly,James: The Peasantry of Late Ottoman Palestine, Palestine Studies, Vol, X, No.4, 04, 1981, P92.

* يعقوب أبو غوش، طبيب معروف في المنطقة، عمل في الجيش الأردني، ويعيش الآن في الأردن.

Digitized by Birzeit University Library

اشترى اهل القرية الجبل بتلك الطريقة ، وحسب ذلك السيناريو، وكانوا قد اتفقوا على طريقة القسمة ، فلم تكن بحسب الاقتراح الاول ولا الثاني الذي تفجر الخلاف على اثره، وانما عاد المفاوضون ليعقوب ابو غوش ، وكتبوا اسماء الذكور في القرية . وحددوا "المعدود" اي نصيب الفرد بعشرة جنيهات . و "المعدود" هو الفرد الذي يجب ان يدفع المبلغ المعين (١٠ جنيهات) للحصول على حصة . وكان بالامكان ان يتنازل شخص عن نصيبه ، او بيعه الى اخيه او صديقه او حتى جاره ، وكان بامكان الشخص ان يدفع عن اخرين. وكان من نتائج ذلك الاتفاق، ان بعض الاشخاص اخذوا مثلا (١٠) "معاديد"، بمعنى انهم دفعوا ما يقارب المئة جنيه فلسطيني ، مما يعني تملكهم ارضا اكثر.

جمعت الاموال – بطبيعة الحال – من ابناء القرية ، واعطي المبلغ المجموع الى يعقوب ابو غوش ، ثم تلا ذلك عملية امتلاك الاراضي وفقا لسجلات الدفع، وكانت الحصص بالتالي متفاوتة حسب امكانات كل فرد وما دفع، ووجد هنالك اناس حرموا من التملك بسبب الفقر .

تم زراعة هذه الارض بالشجر، والتين والعنب والخوخ وغيره من الاشجار المثمرة . وكان الشجر والزرع عام ١٩٤٨ صغيرا ، ولكنه قوي ، والغرسات تمد بجذورها عميقا في الارض، وبشهادة ابناء القرية ، فان زراعة جبل الجائحة هذا كانت قد بدأت في الاربعينيات من القرن المنصرم .

الزراعة وتربية المواشي:

كانت الزراعة تشكل الانتاج الرئيسي في قرية ابو شوشة، وهي في ذلك لا تختلف عن شقيقاتها من القرى الاخرى. وكان نظام المشاع ينظم العلاقة بين الفلاحين حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر بشكل عام .

ولاجل اعطاء فكرة عن طبيعة الانتاج الزراعي وتطوره في ابو شوشة ، نعود لكتاب "الجغرافيا التاريخية لفلسطين وشرق الاردن وجنوب سوريا في نهاية القرن السادس عشر " ،

لنجد ان مجموع ما تم تحصيله من ضرائب من القرية وصل الى (٤٥١٠) اقجة * عام ١٥٩٦م ، وان هذا المجمل يعادل ٢٥٪ من قيمة مجمل الانتاج الزراعي وان اهم المحاصيل في هذا المجال ، كانت القمح والشعير، فيما كانت الكروم والمحاصيل الصيفية والماعز منتجات للاستهلاك المحلي بالاساس ، وللتبادل مع الفائض من الانتاج وهو قليل .

وقد وزعت الضرائب المجنية من ابو شوشة عام ١٥٩٦ م بالاقجة كما يلي :

١. (٢٠٠٠) على القمح
٢. (١٣٠٠) على الكروم والمحاصيل الصيفية (ذرة ، خضروات ، بطيخ)
٣. (٨١٠) على الشعير
٤. (٢٠٠) على الماعز والنحل.
٥. (٢٠٠) رسوم اضافية (غرامات ، رسوم زواج).

وعند مقارنة ما تم تحصيله من قرية ابو شوشة من ضرائب في نهاية القرن السادس عشر ، بما تم تحصيله من قرى اخرى في ناحية الرملة ، نجد ان مجمل الانتاج الزراعي في هذه القرية كان متواضعا بالنسبة لقرى اخرى مجاورة كان حجم انتاجها الزراعي اكثر ، وبالتالي حجم ما تدفعه من ضرائب اكبر . فمن بين (٧١) قرية ، كانت في ذلك الحين ، تابعة لناحية الرملة ، كانت هنالك قرابة (٤٠) قرية تدفع ضرائب سنوية تزيد على (٥٥٠٠) اقجة ، و (٢٠) قرية كانت تدفع اقل من (٤٠٠٠) اقجة في السنة ٤٣.

---

* الأقجة، عملة عثمانية متداولة منذ عهد السلطان أورخان (٧٢٦هـ - ٧٦١ هـ، ١٣٢٦ - ١٣٦٠م) وأول من سكها علاء الدين باشا، أخو السلطان أورخان، كان وزنها لا يزيد على ربع مثقال من الفضة الخالصة بنسبة ٩٠٪. ولكن قيمتها تدهورت بعد ذلك حتى عهد السلطان سليم الاول ١٥١٢م حيث لم تزد كثيرا عن نصف قيمتها، وزادت انخفاضا في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥). وقد استمرت الأقجة تمثل العملة المتداولة في الحسابات حتى نهاية القرن السابع عشر. (عوض، عبد العزيز محمد: الادارة العثمانية في ولاية سوريا، ١٨٦٤ - ١٩١٤. القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، ص ١٨١) .

Digitized by Birzeit University Library

أشكال استثمار الأرض في أبو شوشة:

كما اوردنا سابقا ، في قسم ملكية الارض في ابو شوشة ، وبعد تفتيت اراضي المشاع ، رأينا ان اهالي القرية انقسموا الى قسمين: جزء يمتلك غالبية الارض وهم الفلاحون ، واخر يمتلك اقل وهم المصاروة ، مما دفع جزءا منهم للتوجه للعمل في الارض وفق انظمة المحاصصة الزراعية التي كانت سائدة في فلسطين حينها . أما أشكال الإستثمار فكانت كما يلي :-

١) استثمار الفلاح لارضه:

كان النمط الاول في استثمار الارض هو قيام الفلاح بزراعة واستثمار ارضه التي يملكها باذلا جهده ، قائما بالعمل كله (بذار ، حراثة ، دراسة ، تعشيب .. الخ) ، متحملا التكاليف كافة، والخسائر ان وجدت : فهو يزرع ما يملك ، وما عليه سوى دفع الضرائب على ذلك الانتاج ، وللفلاح في هذا الاطار ، الحق المطلق في التصرف بارضه ، وكذا الحال بالنسبة لغالبية اهالي ابو شوشة من الفلاحين الذين فازوا بالارض نتيجة عمليات القسمة .

٢) المحاصصة او اساليب مشاركة المحصول :

كان اي اسلوب في مشاركة المحصول يبدو كاساس لتشغيل واستثمار الملكيات الكبرى ، وبكلمات ادق، هو اسلوب استخدم لمساعدة اولئك الذين يمتلكون ارضا وغير قادرين على استثمارها بانفسهم، الامر الذي يدفعهم الى "استئجار" فلاحين لمساعدتهم ، وفي حالات اخرى ، نظرا لان مالك الارض لا يريد ان يعمل بارضه بنفسه ، فيقوم "باستئجار" من يُستثمرونها . وفي الجانب المقابل ، نجد فلاحين معدمين، ارضهم غير كافية لاعالتهم مما يضطرهم لبيع قوة عملهم من خلال الاشتغال في اراضي غيرهم او لدى سلطات الانتداب.

وانطلاقا من هذا الواقع ، ساد نظام "المحاصصة" او "المحاصة" ، وهو ما يعرف "باساليب مشاركة المحصول" . وهذا النظام ، الذي يضبط العلاقة بين الفلاح ومالك الارض، كان من الصعب تنميطه او اكتشاف الاسباب التي ادت الى تبدل الانماط فيه على مرور السنين . ومع ذلك ، فبالامكان رصد صيغه الاكثر شيوعا واسقاط تلك الصيغ على القرية – قيد الدراسة – لمعرفة ما سادها من صيغ واشكال.

وتعلمنا الموسوعة الفلسطينية ، وباقتباس من "ياكوف فيرستون" "Yaukov Firestone" حدد فيه ثلاثة انواع وطرق لاقتسام المحصول ٤٤. فهنالك اولا: طريقة اقتسام المحصول الاعتيادية ، حيث يقوم المالك بتوفير الارض ورأس المال (بذور ، حيوانات ، معدات) ، في حين يقدم المزارع قوة عمله في الموسم لقاء خمس المحصول محسوما منه الضرائب، بالاضافة الى حصة اضافية فيما لو وفر – الفلاح – اليد العاملة لاقتلاع الحشائش .

اما النوع الثاني فهو ما يعرف باسم "الفلاحة المشتركة"، وفيه يعين المالك احد المزارعين، (عادة من اهل القرية) لكي يستغل ارضه ، ثم يقدم اليه بعض المعدات الزراعية ، والحيوانات ويسجل قيمتها عليه ، ثم يتم توزيع المحصول على اساس متفق عليه بحيث يحصل المزارع بالمشاركة على ثلث المحصول لقاء اتعابه، ويحصل- ايضا – على جزء اخر يقدر لقاء مساهمته الاسمية في رأس المال المشترك (بعد دفع النفقات).

واما النمط الثالث فهو "المشاركة بالايجار" ، وبموجب هذه الصيغة يقدم المالك الارض فقط ويقدم المستأجر كل ما تبقى ، وبهذا يتفرغ لاموره ، بعد ان يكون قد عهد بارضه لشخص يثق به ، وتقل مراقبة الشخص لارضه ليتفرغ الى شؤونه خارج نطاق الارض.

وفي هذا المضمار يقول ابناء ابو شوشة: "فاللي كان في اله ارض كان يزرعها، واللي ما فيش اله ارض، وبدو يفلح، او ارضه مش مكفيته، كان يستأجر من هذول الناس " الملاكين" ٤٥.

اما صيغة المحاصصة في ابو شوشة فكانت الفلاحة المشتركة بحيث "كان الفلاح يوخذ ثلثي المحصول. ثلث الحب ، ثلث التبن ، البذار بحطه الفلاح. صاحب الارض يأخذ الثلث ، والفلاح الثلثين مقابل البذار والحراث والدراس والحصيدة والعشابة" ٤٦.

ان نسبة الثلثين للفلاح انما اتت من كونه يقدم البذار والحراث والدراسة ..الخ ، علاوة على كل ذلك ، فان مسألة "المحاصصة" انما تخضع للاتفاق اولا واخيرا، وحسب الاتفاق بين صاحب الارض والفلاحين تكون حصة كل منهما . وهذا الذي يعزز صعوبة تنميط اسلوب "المحاصصة".

وقد انتظم هذه الصيغة العديد من ابناء قرية ابو شوشة وعلى وجه التحديد من لم يحصلوا

Digitized by Birzeit University Library

على ارض كافية لاعالتهم . ومما تجدر ملاحظته، خاصة في ثلاثينيات واربعينيات هذا القرن ، ان صيغة "المحاصصة" في القرية، عند بعض الملاكين الكبار، خاصة من حملة "المصاروة" ، الذين امتلكوا الارض بعد ان توجهوا لطرق باب الرزق في دوائر الحكومة (الاشغال ، السكة ، التلغراف ..) فاشتروا الاراضي في القرية ، كانت الصيغة المناسبة لهم هي اسلوب "المشاركة بالايجار": فهم يقدمون الارض فقط، وهذا يتواءم مع تفرغهم للعمل خارج الارض ، وليس بامكانهم قضاء يومهم وهم يراقبون ويشرفون على العمل ، وذلك ليكون لهم مجال واسع لكي ينصرفوا لامور اخرى، وكمثال على هؤلاء نذكر عبدالله حسن ابو الطبول .

٣) كان هذا كله بالنسبة للاراضي التي كانت ملكا لابناء القرية ، اما الاراضي التي آلت الى اليهود عن طريق بيرغهايم والمقدرة بـ ٦٧٪ من الاراضي التابعة للقرية، وكما اسلفنا ، فانها تسربت الى اليهود حتى الحرب العالمية الاولى بشكل قانوني، ولكن اليهود في تلك الاثناء لم يملكوا الطاقات البشرية القادرة على استغلالها ، او على ملء الشواغر حيث وصل عددهم عام ١٩٢٠ قرابة (٥٦،٠٠٠) ٤٧ كانوا يملكون ما مجموعه (٦٥٠،٠٠٠) دونم من اراضي فلسطين ٤٨.

ازتأى اليهود ، لذلك ، ان يجعلوا اهالي ابو شوشة ، يقومون باعمال الزراعة والفلاحة (في الاجزاء التي اصبحوا يمتلكونها) وقام ابناء ابو شوشة ، بتقسيم الارض فيما بينهم ، وفي نهاية العام الزراعي، عند الحصاد ، يقوم الفلاحون باقتطاع جزء من المحصول والناتج ، وبعد ذلك ، كان هنالك اشخاص من اهل البلد ومن القباب تم تعيينهم بمثابة مراقبين ومسؤولين "تواطير" على الارض والمزارعين ، كانوا يجمعون المحصول والناتج بعد "القسمة" ؛ واخذ كل فلاح حقه في المزارعة ، ليسلموا مجموع الناتج الى شخص في يافا يسمى "شكري بيك" ، ليقوم بتسليمه الى اليهود٤٩.

فكان هذا بمثابة نمط جديد من "المحاصصة" ، وكان لابناء القرية حق "المزارعة" وعلى ما يبدو، فانهم كانوا يأخذون ثلث الناتج مقابل عهدة الارض اليهم ، وعلى ما يبدو – ايضا – ، كانت كتابة عقد بين الطرفين تتم بهذا الخصوص.

استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٣٣م تقريبا ، عندما الغى اليهود العقود ، وصاروا يفلحون

الارض بانفسهم والياتهم ، بعد ان تركوها بورا مدة سنتين ، الا ان احدا من ابناء القرية لم يدخلها بعد ذلك ، خاصة وانه تم "تسويرها" ٥٠.

إن الامر الملفت للنظر في هذا الشأن ، هو كيف تم لليهود ذلك وقد عمل اهالي ابو شوشة في الارض مدة تتراوح ما بين (٢٠ – ٣٠) سنة ؟ الامر الذي يعطيهم حقا في الارض المفلوحة ، اذ ان العرف كان يقضي لكل شخص عمل في ارض لمدة تزيد على عشر سنوات نصيبا في هذه الارض عندما يريد صاحب الارض اخراجه منها ، وتحدد هذه الحصة بالاتفاق السابق في حق المزارعة والمحاصصة : مثالثة ، مرابعة ، مخامسة ، علما بأن نظام المثالثة هو الذي كان سائدا في ابو شوشة . والاهم من هذا كله ، هو تلك السابقة التاريخية التي وضع "بيرغهايم" بموجبها يده على ارض ابو شوشة ١٨٨٤ ، حيث اعتمد "بيرغهايم" على الحق الذي اعطته اياه "المزارعة" في تملك ذلك الجزء من اراضي القرية والذي سجل باسمه في الطابو .

وامام هذه المعطيات، فكر اليهود في الطريقة المناسبة لاخلاء الارض ، وطرد من يعمل من ابناء القرية فيها وانهاء مزارعتهم .فما كان من اليهود لتحقيق هذا الغرض ، إلا أن عرضوا على الفلاحين مبلغ (٧٠ – ٧٥) قرشا كتعويض للمزارعين عن كل دونم كانوا يزرعونه ، مع العلم ان ثمن الدونم الواحد كان وقتها يساوي ٣ جنيهات فلسطينية ، وحتى يكون انهاء "المزارعة والطرد" قانونيا ، كان لا بد ان تكون عملية "الترضية" هذه بحضور احد المسؤولين الانجليز ، اضافة الى قائمقام الرملة انذاك وهو موسى ناصر٥١، ابن بيرزيت المعروف .

وللاسف الشديد ، لم يستخدم المستأجرون من ابو شوشة ، حقوقهم في "المزارعة"، وعندما حضر القائمقام المذكو اعلاه عملية دفع التعويضات ، لاحظ الاجحاف الواقع بحق المزارعين ، فما كان منه الا ان خطب فيهم لافتا الانتباه الى حقهم في تملك جزء من الارض ، مشيرا الى ان خروجهم من الارض يعد بمثابة انتحار.

ومن جديد ، لم يجد الصوت الصادق صدى لدى المستأجرين ، وعلى الرغم من تنبيه الضابط الانجليزي لموسى ناصر بالكف عن هذا الحديث ، الا انه استمر في حديثه السابق ، ومما يذكره بعض شهود هذه الواقعة وعلى لسان موسى ناصر قوله :"يا اهالي قرية ابو شوشة ، انتم تعبتم في الارض ، والارض هذه ارضكم بالاصل ، ولكم حق المزارعة فيها ، ولذلك طالبوا بالارض ،

Digitized by Birzeit University Library

يروح يشتري حبله ويشنق حاله فيها افضل له " . ويردف يوسف الحموي قائلا :"هذا الحكي بالحرف الواحد ، قاله موسى ناصر".

والسبب على ما يبدو وراء عزوف ابناء القرية عن تلبية تلك الدعوة ، هو حالة الفقر والمعاناة الشديدة التي عاشها هؤلاء السكان مفوتين فرصة وبمبلغ ال (٤٢٠٠) جنيه فلسطيني التي وزعت عليهم ، استعادة ما يقارب (١٤٠٠) دونم من ارضهم التي وضع "بيرغهايم " يده عليها في حينه بالاصل.

ان الجهل تردي الوعي حينذاك قد لعبا دورا خطيرا ، ومع ان الانجليز ، قاموا بمحاسبة موسى ناصر بعد ذلك مرة اخرى ، الا ان وجهة نظر بعض ابناء القرية ، - التي انساق وراءها البقية المتبقية - تمثلت في مخاطبتهم لموسى ناصر : "انت جاي توفق وللا تحرض ، احنا بدنا المصاري " ٥٢.

ان هذه الصورة البائسة تزداد كابة، حين نعلم أن اهالي القرية حين أخذوا النقود، ووقعوا على ما يثبت انهم يتنازلون عن حقهم في المزارعة وانهم اخذوا الاموال، قاموا بصرفها على شراء الملابس، وتفصيل "العبي" و "التشبوره" وتزوجوا .. ٥٣.

فلاحة الارض، والمحاصيل الرئيسية:

امتازت الاراضي الزراعية في ابو شوشة بعدم وعورتها ، وتنوع وخصوبة تربتها: "كانت الارض تغل ، يعني اتجيب ، وتجيب اشي بوفرة "٥٤. وكانت الاراضي بشكل عام مزروعة باستثناء (١٣٠٣) دونمات ، اي ، ان نسبة الارض الزراعية وصلت إلى (٢ر٨٦)٪. ومن بين الاراضي غير المزروعة ، كان هنالك (٣٤٣) دونما تعود ملكيتها للعرب و (٧٦٨) دونما تعود ملكيتها لليهود و (١٩٢) دونما اراض عامة ٥٥.

واراضي ابو شوشة بالاساس "بعل" ، ومع تأكيد احد الرواة بأن الارض كلها بعلية ، ولا توجد ارض مروية "مسقية"، الا ان الهداوي يشير إلى ان مساحة المزارع والاراضي المروية كانت عام ١٩٤٥م (٥٤) دونما اي ما نسبته (١,٧)٪ من الاراضي التي يمتلكها العرب، ولربما كان لضحالة حجم هذه الاراضي المروية ، سبب في انها لم تكن ذات بال عند السكان

لدرجة عدم تذكرها .

كان الانتاج الرئيس للقرية عام ١٩٤٥م الحبوب (القمح ، والشعير ، والذرة البيضاء) حيث وصلت المساحة المزروعة بها من ارض العرب ، ومن ارض اليهود (٥٥٦٩) دونما ٥٧ اي بنسبة (٨٨)٪ من اراضي اليهود ، ونسبة (٨٠,١)٪ من اراضي العرب في القرية.

وكانت ابو شوشة مشهورة بالعدس ، فعدسها مشهور في كل منطقة الساحل وفي سوق الرملة نفسه : "كان الناس في القرية يبيعوا كل محصولهم من العدس ، والناس تطلب عدس ابو شوشة، لأن الارض عالية "وجدرية" ، وكانت ريحة العدس تشمها من الشارع، ويصير لونه اصفر مثل الليمون ، يعني من كثر ما هو منيح "٥٨.

وفي ايام الصيف، كانت تزرع الخضروات كالبندورة والكوسا والفاصولياء والبامية ، ومقاثي الخيار والفقوس ، وعين الشمس ، والبطيخ والشمام ، علاوة على البساتين المشجرة بالتين واللوزيات والمشمش. اشتهرت ابو شوشة - ايضا - بجودة البصل الذي تزرعه ، وبكثرة الصبر المنتشر في كل انحائها.

كان من عادة الناس في القرية ، رزم اللوبيا في اكياس من القماش "فل" التي كانت تستخدم لنقل الاسمنت "الشميمتو" ، فلم تكن بعد ، اكياس الاسمنت من الورق ، فكانت النسوة : - كما تروى احداهن - "تقرط اللوبيا ، قرون قرون ، نقرطه ونشفه ، نفرده على وجه الحيط ، نسوي كيس ، ونخيطه خياطة بالابرة ، كيس مفرم ناشف ، وكيس بزر " ٥٩.

لقد كان تل الجزر الذي صارت رقبته بايدي اليهود ، يزرع كله، ولا يوجد فيه شجر، وانما استثماره مقتصر على زراعته ، ففيه البطيخ ايام الصيف ، وفي اطرافه ، كان يزرع شتاء القمح والشعير والسمسم والقطانيات ، الا ان الماء كان فيه قليلا .

وهذا يقودنا الى الحديث عن المشاكل التي كانت تواجه الفلاح ، تلك التي يلخصها لنا احمد صالح البلبيسي قائلا :"اولا : كان الناتج يعتمد على هطول الامطار بالدرجة الاولى، . وثانيا : الافات و "الدودة" التي كانت في المزروعات ، وثالثا: الضرائب التي كانت تفرض على الارض والمزروعات".

Digitized by Birzeit University Library

نعم ، لقد عانى الفلاح في ابو شوشة – كغيره – من الضرائب التي كانت تفرض عليه ، والتي كان يقوم بتقدير قيمتها مخمن حكومي ، وليس هذا فحسب ، بل ، تعرض الفلاح للافقار المبرمج بفعل السياسة الجائرة للانتداب "كانت القرية تنتج قمحا كثيرا ، ولكن لما كان الفلاح يبيع قمحه دائما يكون السعر رخيصا ، لان حكومة الانجليز كانت تستورد قمحا وطحينا من استراليا وغيرها ، وتطرحه في السوق في الموسم بسعر رخيص ، فتضرب سعر الفلاح، فالفلاح كان دائما فقيرا " ٦٠.

الأدوات الزراعية:

كان الفلاح بالاصل يحرث الارض ، ويسمدها "يزبلها" ، ويبذر ويزرع ، ويحصد ويدرس ، ويعشب ، وينقل المحصول من مكان لاخر ، هذه هي اوجه النشاط الفلاحي . فالذي يلزم : اداة الحرث التي يسميها الفلاح "عود الحراث" ، ومشهورة "بعود البقر" . وهي السكة التي يحرث بها. حيث يقوم بجرها زوج من الثيران ، او ثور وحمار معا ، وفي هذه الحالة، يكون "النير" مركبا على كلا الدابتين . اما في حالة وجود دابة منفردة، فإنها تسحب السكة بواسطة الحبال المربوطة ، ويكون الفلاح هو الذي يمسك السكة في الحالتين مع سوط للتوجيه.

غالبا ما كانت تحرث الارض مرتين في السنة : الاولى اوائل فصل الشتاء ، وتسمى "الكراب" ، وخلالها يرمون البذار للزراعة الشتوية ، لتتهيأ التربة لاستقبال الامطار ، والثانية في اوائل فصل الربيع وتسمى "الثناية" ، والغرض منها ازالة الاعشاب والتهوية، خاصة في الاراضي المشجرة ، والإستعداد للزراعة الصيفية .

وفي الحصاد كان يستخدم المنجل ، اما في "الدراس" ، فكان يستخدم لطحن الزرع لوح حديد مثقب تجره الدواب يعمل كحصادة ، ولتصفية الحب من التبن وتنقيته من الحجارة الصغيرة كانت تستخدم المذراة والغربال .

ظل فلاح ابو شوشة يستخدم هذه الادوات الزراعية حتى عام ١٩٤٥م ، حيث بدأ باستخدام الجرار الزراعي (التراكتور) في الحراثة الذي كان اهالي ابو شوشة في البداية يستأجرونه من اهل العباسية ، اذ كانت اجرة الدونم الواحد ربع جنيه، وكانت تجري هذه العملية بانتظام ، فكان يتم تسجيل اسم كل شخص وعدد الدونمات التي هي بحاجة للحراثة ، واجرتها سلفا.

وفي النهاية ، استطاع اثنان من اهل القرية شراء تراكتورات ، كان ابو نوح اول من اشترى ، تراكتورا ، وكان بطبيعة الحال مستعملا ، فكانت هنالك صعوبات في تشغيله ، وظل موجودا في البلد حتى الرحيل .

تربية المواشي:

عنى اهالي ابو شوشة بتربية المواشي لاستخدامها في الفلاحة والعمل والمواصلات ، ولتكون معينا اقتصاديا من خلال لحومها والبانها واصوافها ، فأهمية اقتناء الحيوانات عندهم لا تقل عن اهمية امتلاك الارض ، فربوا الجمال والحمير التي اعتمدوا عليها في نقل الزرع من الارض الى الجرن (البيدر) ، ونقل الزبل الى الارض ، ونقل الحجارة لبناء البيوت ، وربوا البغال لجر العربات ، وحراثة الارض والمواصلات ، وكذا الابقار للحراثة وللاستفادة من البانها ولحومها ، وكذلك الاغنام والطيور ، من دجاج وحمام . وقد لقب اصحاب قطعان الغنم الكبيرة "بالغنامة" وكان من اشهرهم دار سالم الذين ملكوا قطيعا يقدر ب (٥٠٠) نعجة، اما باقي البلد، فهذا يملك خمسين، وذاك مائة، وكان المرعى متوفرا ، "الجائحة" ، علاوة على الارض الرحبة الواسعة ، والماء الوفير ، والمغائر المنتشرة لمبيت الغنم.

كان حجم ما يملكه الفلاح من مواشٍ مقياسا لتحديد مكانته وهيبته في القرية ، وكان في هذا الصدد للجمال مكان ودور خاص في القرية :"الجمل بقا يحرث وينقل ، ويدرس ، على هوا الحاجة ، انا مثلا ما عنديش الا هالجمل بدي احرث وانقل وازبل واخطر وادرس على هالجمل والسعيد اللي كان عنده جمل" ٦١.

وقد انتشرت في ابو شوشة ظاهرة "الجمالة"، ولعب هؤلاء دور شركة مواصلات ، فكانوا يقومون بتأجير جمالهم للوصول الى الرملة او اللد ، عاقر او النعاني ..الخ ، ونقل حاجات الافراد، ومن الجمالة دار ابو الطبول ، وحسن بشير . وعند تحسن الحالة الاقتصادية ، اخذ كل واحد يشتري وسيلة مواصلاته وتنقلاته ، سواء اكان جملا ام حمارا ام بغلا ام ثورا ٦٢.

وكذلك عرفت ابو شوشة ظاهرة الحراثين المستأجرين ، الذين كان يدفع لهم بالتمايز عن القرى الاخرى ، فلم يتلقوا اجرهم مثالثة او مرابعة ..الخ ، وانما كان الحراث له " ستة احمال:

Digitized by Birzeit University Library

حملا ذرة، وحملا شعير، وحملا قمح ". والحمل يعادل " ٢٠ مسحة "* ٦٣.

وكان الحراث ، وعلاوة على اجرته " (١٢٠) مسحة " ، يأكل ويشرب وينام مجانا في بيت مستأجريه "اصحاب الارض التي يعمل فيها " ، ولم يكن يتلقى اجره الا بعد الحصاد والدراس، وجمع الغلة، حيث يتقدم الحراث ليأخذ حصته ونصيبه المعروف ، سواء اكانت "الغلة" جيدة ام لا ، مع ملاحظة ان اولئك الحراثين لم يكونوا يعملون الا مع اصحاب الفلائح الكبيرة ، وبالتالي ، يحصلون على اجرتهم تلك بسهولة حتى لو ضرب المحصول .

وتميزت ابو شوشة - ايضا - بما يمكن ان نسميه "الانتاج الزراعي بالسبيل" : فالعرف العام ، يجعل اصحاب المقاثي والكروم والصبر ، يتركونها "سبيلا" ليأكل منها من يشاء ، حتى لم يخطر ببال احد من ابناء القرية ان يبيع الفائض من هذه الاصناف في سوق الرملة مثلما باعوا قمحهم وعدسهم وذرتهم وغيرها . "ما كانش واحد عنده كرم او مقثاية يطيح على الرملة يبيع ، اللي ما عندش يوكل من الجيران . الصبر هذا للفقراء يلقطوا ويوكلوا ، يعني ، بقا النا نسيب ، اله في البلد "مارس" عشرة دونمات . يزرعه مقثاية ، ولا يبيع منه بشلن . الناس يوكلوه كله . الناس فقراء وبحبوا بعض . يعني لما جاري ما عندش شجرات، وانا عندي ، اشوف بحقي مش منيحة ، انا واولادي يوكلوا وهو لأ ؟! اقول له "تعال لقط ، تين صبر او اللي هو . العنب بقا قليل والزيتون اقل " ٦٤.

وتؤكد السيدة شريفة الزغموري على هذا بقولها : "لو تلقط كل يوم عرباية مش مهم . احنا ما انبعش ، كله نفرقه على الناس ، اللي ما عندهمش ، كل يوم نودي لناس .. البطيخ ، الشمام، الفقوس ، البندورة ، القرع لمين بقا يبقا ؟ - ما تواخذنيش - نفرقه لكل الناس طبخة طبخة".

هذا هو التعبير الحقيقي لروح القرية ، الاندماج الاجتماعي ، اما سائر الاشكاليات ، فهي سحابة صيف سرعان ما تمر ، وسرعان ما تعود الحياة الى مجاريها . ولقد زودنا يوسف الحموي ، واحمد البلبليسي بتفسير لهذه العادة وتجذرها ومنشئها : " لم تجر العادة على بيع الثمار ، لان زراعة هذه الانواع لم تكن بكميات كبيرة يرجى منها تحقيق الربح او البيع ، وانما القصد كان للاستهلاك

---

* المسحة هي الكيل الذي يستخدم في أبو شوشة، وهي تعادل خمسة ارطال قمح أو (٣) أرطال شعير، لأن الشعير أخف من القمح، أو (٤) أرطال ذرة. ووجدت المسحة في البلد بعد "الصاع" وهي عبارة عن وعاء مثل "التنكة" من خشب " كالفرمايكا"، دائرية الشكل، ولها حول عنقها إطار حديدي.

المحلي . وكانت الارض تزرع بانواع محددة من المقاثي ، فمثلا خلة بير البلد والجايحة للمقاثي ، ولكن هناك مشكلة تواجه من يريد زراعتها ، فحيث انها بعيدة ، فلا يتوقع منها شيء ومردود لبعدها ، "فالرعيان" الذين يسرحون ويمرحون فيها ، وحاجتها الى ناطور لمنع العابثين من ان يعبثوا في المقثاة وتلقيطها ، كل ذلك جعل هذه الانواع "كسبيل".

فكانت الزراعة بهذا الشأن على المستوى العائلي، في مساحات صغيرة، جاءت بعد تقسيم الاراضي الزراعية الى موارس ،اذ يزرع كل واحد مارسه، ويعين للموارس كلها "ناطور" * واحد .

وفي الاحايين الاخرى ، كانت هنالك عملية "الضمان او التضمين" ، شخص لديه فائض في التين او الصبر ، واخر لا يوجد لديه ، فيأتي الاخير "ويتضمن" تينة او تينتين او كرما بمبلغ زهيد (ليرة ، ليرتين ونصف) اما بالنسبة الى الصبر، فكانت عملية الضمان تتم "بالفحجات" ، كل (١٠ - ١٥) "فحجة" صبر ب (٢٠ - ٣٠) قرشا. والنتيجة ، كل الناس تأكل ٦٥.

وهذا كله عمق الشعور بالمسؤولية تجاه الاخرين ، وحسن الجيرة والشعور الانساني تجاه بعضهم البعض .

حجم ملكية الارض:

لم تعرف ابو شوشة بحكم سيطرة بيرغهايم واليهود من بعده على ٦٧٪ من مجموع اراضي القرية، الملكيات الكبيرة ، فكانت الحيازات الزراعية متقاربة في مساحتها بشكل عام، والملكيات الكبيرة معدودة على الاصابع ، فلا يوجد "كبار ملاك" بكل ما تحمله الكلمة من مضمون ومعنى . اما الملكية ذاتها ، فقد حدث منذ التقسيم الاول لها ، وتمركز معظم الملكيات حينها في ايدي حمولة الفلاحين الاصليين ، تغير كبير عليها في العقدين الاخيرين من النصف الاول من القرن العشرين ، حيث تساوى "المصاروة مع الفلاحين "الاصليين" بالملكية تقريبا ، بل اصبح اكبر الملاكين من "المصاروة".

---

* سمي ناطور الارض بالأخظر نسبة الى الزرع، وكان هنالك ناطور للمضافة وناطور للجرن ونواطير للقرية فيما بعد.

Digitized by Birzeit University Library

"ومع ان الجماعة الشراقة " الفلاحين" هم الاصليون في البلد ، فقد كان اكبر ملاكهم نمر صالح وله (٩٠ - ١٠٠) دونم ، ومحمد الحاج (٧٠) دونما . اما المصاروة اللي ما بقوش يملكوا اشي ، صار اكبرهم ملكا للاراضي هو عبدالله حسن ابو الطبول له ما يزيد عن (٢٠٠) دونم ، وكان يؤجرها للناس لفلاحتها ، وعلي جابر وله ٩٠ دونما وهو موجود لليوم ختيار . واسماعيل حسين بشير - ابو حلمي - له (١٦٠) دونما . اما عيسى سليمان فله (٣٠ - ٤٠) دونما ، ونمر الحاج (٤٠) دونما "٦٦.

ويعود سبب امتلاك المصاروة لمساحات اكبر من الارض الى كونهم توجهوا الى الوظائف والعمل المأجور ، مما كان يوفر لهم فائضا من المال ، وجهوه لشراء الارض من "الفلاحين" الذين لجأوا لبيع الاراضي لتسيير امور حياتهم وتسهيلها .

ان عملية التحول هذه ، تلقي الضوء على "تراتبية" المجتمع في القرية ، حيث يأتي أولا المالكون ذوو الدخل الاكبر ، بينما المزارعون الذين يملكون ارضا ويفلحونها ، اقل درجة . وفي اسفل الهرم ، المستأجرون الذين يدخلون تحت تصنيف "المحاصصة" . مع ان ذلك لم يكن جامدا ، فالحراك الاجتماعي كان يتم بوتائر متصاعدة وسريعة ، الامر الذي ادى الى عدم امكانية الفصل "بالسكين" بين "فئات" او "طبقات" في مجتمع قرية ابو شوشة .

الطرق والمواصلات:

ككل قرية ، فان ابو شوشة ترتبط بحاضرتها الرملة ، والمدن والقرى الاخرى عبر مجموعة من الطرق الخارجية ، علاوة على مجموعة الطرق الداخلية التي تصل بدورها البيوت بعضها ببعض ، وتربط البيوت بالجرن - البيدر - وبالمقبرة ، وبمراكز المياه والحضر وهي في جلها طرق رجلية "صيفية" وهي التي نسميها الطرق الداخلية .

ان كل الطرق الداخلية تتراوح في عرضها من (٢-٤) امتار ، اي ، طريق تسمح لحمارين محملين ان يمرا بدون احتكاك ، وهي طرق غير معبدة ولا مرصوفة ، وهذه الطرق تشكل شبكة كاملة تصل بين مركز القرية واطرافها ، وهذه الطرق التي تتفرع من مركز القرية الى الجرن او الاراضي الزراعية لاءمت نفسها للطوبوغرافيا ، فالتوت في الجبل ، واستقامت في السهل .ان هذه الطرق تكون على اسوأ حال في فصل الشتاء ، حيث يكون الوحل، وبرك الماء مناظر مألوفة ، وعقبات طبيعية حقيقية.

اما الطرق الخارجية ، فهي مفروضة موضوعيا ، نظرا لحاجة القرية للاتصال بالخارج للبيع والشراء ، وللخدمات والبحث عن الاعمال، وتوضح المناطق الطبيعية والمواصلات المرفقة الطرق الخارجية الهامة التالية:

١) طريق ابو شوشة - الرملة : وهي طريق تربط القرية مع مدينة الرملة ، وهي بذلك منفذ القرية الرئيس ، وهي طريق ترابية ، قليلة التعرج ، وغير وعره عرضها حوالي (٥) م ، لا تحفها جدران حجرية او شجرية .

٢) طريق ابو شوشة - القباب: تسير باتجاه الشرق ، طولها (٥ر٤) كم ، وهي طريق مرصوفة قليلة التعرج ، عرضها حوالي ٦م وبدون جدران حجرية او شجرية .

٣) طريق ابو شوشة - النعاني: طريق ترابية تسير باتجاه الغرب عرضها حوالي (٣) م.

٤) طريق ابو شوشة - البرية : تربط القرية مع قرية البرية وتسير باتجاه الشمال ، عرضها حوالي (٣)م والجزء الاول منها وعر.

٥) طرق أبوشوشة - صيدون: طريق متعرجة ترابية وعرة ، تسير باتجاه الجنوب عرضها حوالي (٢)م.

ومن الجدير ذكره انتشار الصبر وشجرالسرو على جانبي الطرق الرئيسة والفرعية، ومرور الطرق بمحاذاة السلاسل الحجرية -السناسل- الفاصلة بين الأراضي الزراعية - الموارس-.

كما قلنا سابقا: كانت وسيلة النقل هي الجمال أو الحمير أوالبغال، فلم يكن في البلد سيارات، ولم يحدث أن اشترى أحدهم سيارة، ولم تكن السيارات تأتي إلى أبو شوشة إلا نادرا، وذلك في حالات المرض أو ما شابه ذلك.

إلا أن وسيلة مواصلات جديدة، لنقل الناس والبضائع أو حتى حجارة البناء قد غزت أبوشوشة في الثلاثينيات من القرن العشرين، وهذه الوسيلة هي العربات التي تجرها الخيل، وأول من أدخلها إلى القرية أبو عامر واسماعيل بشير ومحمد الحج، وبعد ذلك أصبحت هذه العربة "العرباية بلغة أهل القرية" متوفرة عند الجميع تقريبا، "ما على الفلاح سوى شراء جوز خيل يحط عليه عرباية" ٦٧. وكان كل من إبراهيم المصرية، ومحمد الجوهري وخليل جابر يستخدمون

Digitized by Birzeit University Library

هذه الوسيلة للفلاحة وللأجرة – يؤجرونها، أو ينقلون حصاد أوغلة أحد الفلاحين إلى أي مكان مقابل مبلغ من المال .. "أنا بدي شوية حجار، أنا عزت خشبات من اللد، أنا عزت قنطارين قمح، استأجر هالعربايا أروح اجيبهن" ٦٨.

ومما يلفت النظر أن كبار الملاكين، كانوا هم أنفسهم الجمالـه، وكانوا أصحاب العربات، وهم أول من إستخدم التراكتور .

ومن نافل القول: "ان الخط الاسفلت بقاش يطلع علينا ، الاسفلت عند البريـة والقباب ، وسكة الحديد عند النعاني منا وغربا ، اما البلد ، مافش اسفلت ، كلها طريق برية " ٦٩.

كما وظهرت في ايام الانتداب وسيلة نقل جديدة في ابو شوشة ، وهي "البسكليت" اي الدراجة الهوائية ، فقد كان بين ايديهم اكثر من ١٥٠ دراجة هوائية ، وكانت هذه وسيلة المواصلات للعمال و "الشغيلة" في "الكمبات" ودائرة الاشغال وسكة الحديد وغيرها، فهي قريبة نوعا ما من القرية. وشاعت هذه الظاهرة في القرية منذ العشرينات من هذا القرن ٧٠.

التجـــارة:

تحكم حجم وعدد سكان قرية ابو شوشة في تحديد حجم ونوع تجارتها ، ومن الطبيعي ان يكون محصول القمح هو الانتاج الرئيس في تجارة القرية ، حيث كان يباع في "بازار" خاص بالرملة لهذا الشأن ، وكان المحصول ينقل الى هناك على ظهر الجمال والحمير والعرُبات.

اما بعض المحاصيل الاخرى كالسمسم مثلا ، فغالبا ما كان يتم بيع الفائض منه على الجرن "البيدر" ، ولقد وجد من يبيع جزءا من الناتج الحيواني كالزبدة ، وكذلك بعض ناتج الخضروات والبساتين ، ولكن بشكل ضيق ومحصور ، اذ الفائض منها غالبا ما كان يوزع مجانا على الاقارب والجيران والمحتاجين وغير المزارعين ، كما اشرنا سابقا.

ومن هؤلاء القلائل كان والد شريفة الزغموري كما تقول: "يظمن البطيخ ، ثم ييجي الشرا يقدر قديش عدد البطيخ ، يقطعه ابوي ، ويساويه كوم ، حتى ييجي المتظمن ويوخذه".

اما فيما يختص بزيت الزيتون و"الرصيص" ، فكان اهل القرية يعتمدون فيه على قرى قضاء رام الله "والله الزيتون ما بنعرف كيف ، هو يبقى الحب على امه ، وكيف بتلقط ؟ الا تتطلعنا هان على رام الله ، تاصرنا نعرف .." ٧١.

وللحصول على الزيت ، والزيتون ، كثيرا ما كانت تصل الجمال والبغال الى قرية ابو شوشة محملة بزيت الزيتون ، وخاصة زيتون قرى رام الله واللواء الشمالي ، وتفرغ حمولتها في القرية ، لتستبدلها بالذرة والسمسم والقمح والحمص .

ان هذه العملية لم تكن لتتم بشكل فوضوي، فكان سكان قرية ابو شوشة "يوصي" كل واحد على حاجته ، وعدد تنكات الزيت التي يستهلكها اضافة لعدد تنكات الزيتون. وكانت عين عريك وكفر نعمة تحتلان المركز الاول في تزويد ابو شوشة في هذا المجال، وبحلول موسم قطف الزيتون ، يأتي هؤلاء المزودون الى القرية حسب التوصيات والطلبيات السابقة ، . ولم يكن الثمن نقدا وانما مبادلة ومقايضة ، فيحمل اولئك المزودون جمالهم وبغالهم .. بالقمح والحب والسمسم وهكذا . وما يزال ثمن تنكة الزيت محفوظا في ذاكرة الاهالي ، ويقابله (٢٠) رطل قمح بما يعادل (٥٠ – ٦٠) قرشا ٧٢.

اما شراء وبيع الحلال و "الطرش" فكان يتم ذلك – غالبا – في سوق حلال مدينة اللد الذي كان ينعقد كل يوم اثنين ، او في مكان خاص في الرملة "بازار" ، او في بئر السبع، الذي كان يفتح ابوابه يوم الاربعاء ٧٣.

كان في القرية قبل تهجير اهلها عدد محدود من البقالات الصغيرة (دكاكين) توفر قسما بسيطا من احتياجات اهل القرية المعيشية . هذه الدكاكين تمثلت في :

أ) دكان الحاج محمد حسن المصرية ، وشريكه زيدان سالم ، وهي اكبر دكان.
ب) دكان ابراهيم المغربي.
ج) دكان مصطفى الجوهري .
د) دكان ابو عمر السيد.
و) دكان ام عثمان (امنة الكي).

Digitized by Birzeit University Library

اضافة لهذه الدكاكين ، كان في القرية ملحمتان: الاولى لنمر محمد الحاج علي ، والأخرى لمحمود حسن حبيب .

اما النقد المتداول في ابو شوشة فكان الجنيه الفلسطيني ، اذ ان الجنيه الذهب كان يساوي ٨٠ جنيها ورقيا وكان الجنيه يسمى بين العامة بالليرة اسوة بالليرة العثملي .

وفي الواقع ، اعتمد الامر كله -على الفلحة والحصاد، " فمثلا يكون ناتج الفلحة (٧ - ٨) قناطير ، (٣٠) مسحة سمسم ، تبيع القناطير الثمانية ، والثلاثين مسحة سمسم ، لان هذا فائض عن حاجتك لسنة اتية . هنا يصبح بحوزتك بعض النقود تنزل على الرملة تشتري حاجتك من الملابس والادوات الهامة وغيرها ، تكون بحاجة الى اداة نقل ، تشتري جملا ، او بغلا او ما شابه ذلك ، وربما اذا كانت تسبق ذلك عملية توفير ، تقوم بشراء ارض اضافية . واذا اردت ان تستأجر حراثا او مساعدا فالاجرة عند الغلة". وهذه هي الحالة ، فجوهر الحياة هي الغلة ، ومصير كل شيء يعتمد عليها .

العمل المأجور والحركة النقابية:

ادى تواضع ملكية حمولة المصاروة للارض في البداية (١٨٨٤ - ١٩٣٠) الى توجه معظم القادرين على العمل منهم الى العمل المأجور نتيجة لتوفير هذه الفرص لهم من قبل الانتداب البريطاني ، وكان هذا - بالاساس - في مصلحة "المصاروة"؛ الذين ينطبق عليهم وصف "العمال المهرة" ، كما تذكرهم المصادر ، وتشيد بمهارتهم ، فقد وصفوا في سنة ١٩٠٤ "لقد كان العمال المصريون ماهرين في بناء الطرق " ٧٤ . وفي الحقيقة ، شملت عمليات بناء الطرق ، الرصف ، التعبيد ، سياقة المداحل ، والحفر ..الخ . وكأني بحركة التاريخ تصوب مسارهم فتعيدهم الى اعمالهم الاولى التي يتقنونها وتسري في دمائهم .

كما وساهم ايضا ، في انتشار ظاهرة العمل المأجور ، الملكية الصغيرة للارض ، التي لا تكاد ترد على صاحبها نصف جهده ، هذا ، فضلا عن عدم امكانية اعالة اسرة :"ناس تملك (١٠ - ١٢) دونم ، وناس (١٥) دونما وناس من (٢٠ - ٣٠) دونما . وناس اكثر ، وناس مالهاش بالمرة ارض " ٧٥.

واذا علمنا ان هوب سمبسون ، قد حدد في تقريره الصادر عام ١٩٣٠م مساحة قطعة

الارض اللازمة لإعالة عائلة حجمها خمسة افراد (١٠٠ - ١٣٠) دونما اضافة الى المواشي ، او (١٥) دونما مزروعة اشجارا مثمرة ، تتضح لنا الصورة اكثر ٧٦.

ان صغر حجم الحيازة الزراعية ، او عدم تملكها ، وتوقف اليهود عن تأجير الارض لاهل ابو شوشة منذ عام ١٩٣٣ تقريبا ، وتوفر فرص العمل عند الحكومة الانتدابية الانجليزية ، دفع بابناء ابو شوشة - وخاصة المصاروة - للعمل المأجور ، وكانت هذه فرصتهم التي استغلوها ايما استغلال، فلقد بدأ اهل ابو شوشة بالعمل في سكة الحديد مع بداية الاحتلال الانجليزي تقريبا ، اي منذ عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ، وكان اول عمل اشتغل فيه "الشوشيون" هو العمل في بناء خطوط جديدة لسكة الحديد ، عندما استبدل الانجليز سكة الحديد العثمانية باخرى اكثر عرضا ، واستقطب هذا الخط عمالا من القرى المحيطة بمساره .

وانطلق هذا الخط من القدس - بتير - واد اسماعيل - واد عرتوف - واد الصرار، التي يطلق عليها "محطة المربعة " - فالنعاني - الرملة - اللد ، وهذه الاخيرة هي عقدة المواصلات، ومكان تجمعها وتفرعها؛ اذ تتفرع منها الخطوط الى غزة وحيفا ويافا ٧٧.

اما فيما يتعلق بماهية العمل في السكة ، فكان يطلق على العامل في خط سكة الحديد "الادريسة" .حيث كان يحمل عدته وادوات عمله معه والمكونة من : "كريك" ، فأس "قزمة" ، "كفه" ، "عتله" . وكانت كل مجموعة من اولئك العمال تشكل "طقما" ، وكل "طقم" يكون موجودا في محطة ، وربما يكون في محطة واحدة اكثر من "طقم" ، حسب الحاجة.

اما حول جوهر العمل وطبيعته ، فهو تمهيد الارض ، وجعلها مستوية لوضع السكة عليها . وكان على اولئك العمال تفريغ بعض القاطرات او السيارات من حمولتها التي هي عبارة عن حجارة صغيرة مثل "الحصمة" وتسمى "البلص" ، وذلك بمثابة الارضية التي تعتمد عليها السكة ، ويقومون "بفرد" الحمولة وتسويتها وطمر المناطق المنخفضة ، وفتح طرق في الجبال او تسوية واد صغير.

كانت الاجرة اليومية لهذا العامل تتراوح بين (١٠ - ١٢) قرشا ، اي في حدود الثلاثة جنيهات شهريا ، فكان لا بد من ان تترادف جهود هذا العامل مع عمل شخص اخر سواء يعمل في الارض ام خارجها بغية تلبية حاجات ومتطلبات العائلة الواحدة ٧٨.

Digitized by Birzeit University Library

ويقدر الرواة عدد العاملين في سكة الحديد من ابو شوشة ب (١٣٠) شخصا، واتسم عملهم مع مصلحة السكك الحديدية بطابع الثبات ، وقد اطلق اهالي ابو شوشة عليهم اسم "مرسمين" ، اي مصنفين ومثبتين ، حتى انهم حصلوا على مكافآتهم مع نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين .

وكان هؤلاء العمال عمال "ادريسة" على الاغلب ، الا ان فئة قليلة لا تزيد على (٥) اشخاص يسمون "جنزرجية" مع المهندسين ورسامي الخرائط ، وينصب شغلهم على سحب "جنزير" ، اي سلسلة من حديد بغرض اخذ القياسات والابعاد في السكة ، واعتبر الواحد منهم بمثابة "مساعد مهندس" ٧٩.

ويخبرنا يوسف سعيد الحموي عن نفسه ومعايشته لهذا الواقع :"كان معظم الذين يعملون في سكة الحديد مرسمين ، لهم ارقام "تمر رسمية" ، انا في الاخر لحق رقمي ٢٨٠٠٠ ، وهذا الرقم المتسلسل ، وانا اشتغلت قبل ١٩٤٥ في واد الصرار ، كانوا يوسعوا بكامب واد الصرار، ويعملوا فيه مستودعات "جباخانة "*، اي مخازن للمعدات الحربية والاسلحة".

ومن بين الذين كانوا يعملون في السكك الحديدية : علي جابر، علي الجوهري، خليل جابر ، رفعت حسين ، جميل الحايك ، احمد حسن الحاج علي ، سليمان الحايك ، علي الحايك ، محمود الصوالحي ، خليل المصري ، داود حسين، محمد حسن . عمل اهالي ابو شوشة –ايضا– في سلك الشرطة والبوليس الاضافي الانجليزي، ومعسكرات "كمبات" الجيش . واشهر العاملين في هذا الحقل : محمد ابو ندى ، ادريس محمد الحاج ، ويقدر مجموع من عمل في هذا المجال (١٠– ١٥) شخصا .

* حيث جرت العادة لدى الانجليز ببناء مخازن تحت الارض امام رصيف سكة الحديد ليأتي القطار محملا بالذخيرة والاسلحة، وكان لكل عربة رقم معين، وكذلك الحال بالنسبة للمخازن. وهكذا، كان يتم تفريغ كل عربة بالمخزن الذي يحمل الرقم نفسه. وكانت الحمولة صناديق من الخشب تحوي رصاص "برنات"، رصاص "مسدسات" او متفجرات، وكانت مهمة العامل تنحصر في " العتالة "، التحميل والتفريغ، وكان وادي الصرار من اشهر الامثلة على ذلك واستمر العمل فيه على هذا المنوال مدة ثلاث سنوات. وبالنسبة لمصير هذه المخازن "الجباخانات" فيقول " يوسف الحموي " "كلها استولى عليها اليهود " .

واما بخصوص العمل في "كامبات " الجيش الانجليزي ، فقد انتشرت هذه الظاهرة في بداية الاربعينات ، وتوزع العمل على معسكرات صرفند ، بير نبالا، الرملة . ومن بين الذين عملوا في "كامب" صرفند محمد عبد القادر، عبد الله السقعان، سليمان صوالحي ، يوسف سعيد الحموي – الراوي الاساسي – وقد التحق هذا الاخير في هذا العمل بعد ١٩٤٥ وكانت الاجرة اليومية تصل الى ثلاثين قرشا .

وعلاوة على هذه الكمبات الثلاثة ، وجد اخر في عمواس ، الا ان القليلين انتظموا في سلك العمل به ، وكان "كامب صرفند" هو "الكامب" المفضل لدى ابناء ابو شوشة ، والسبب في ذلك يعود الى عدم وجود من ينافسهم بشأن العمل فيه . ويفصح يوسف الحموي عن السبب " فش حدا بنافس ابن ابو شوشة في كامب صرفند ، او يطرده زي ما كان يصير في بيت نبالا ، يقولوا لك : ارجع ، روح ، انت من ابو شوشة ، ويطردوك . وكان اهالي بيت نبالا يطردون ايضا اهل دير طريف ورنتيس والقباب ".

اما اجرة الخدمة في البوليس، او على حد تعبير اهل القرية "من يلبس في الجيش " ، فكانت تصل الى (١١) جنيها ناقصة (٧) قروش ، ثم بعد ذلك تحسنت الاجرة حتى صار العزب يتقاضى (٥ر١٩) جنيها ، في حين ان راتب المتزوج وصل الى (٢٢) جنيها .

وكان المصدر الاخر للعمل، مع دائرة الاشغال العامة ، واول العاملين فيها : عبد السلام هنية ابو موسى ، علي عوض ، سعيد حسن العالم ، عبد المجيد هنية ، صبحي ابو محمد ، يعقوب حسين ، عبد الرحمن حسن ، عبدالله ابو الطبول ، حسين محمد ، وكان الاخيران يعملان كسائقي مدحلة "مدحلجية".

وقدر عدد العاملين في هذا الحقل بين (٣٠ – ٤٠) شخصا ، ومعدل الاجرة اليومي في اول عهد الانتداب تراوح ما بين (٢٥ – ٣٥) قرشا ٨٠.

ومما يلفت النظر ، ذلك التواصل التاريخي ، فيذكر الاهالي بأن اول "مدحلجي" – سائق مدحلة – في البلد كان عبدالله حسن ابو الطبول ، ثم جاء بعده نمر بشير ، وكان هذان الاثنان

Digitized by Birzeit University Library

من اوائل من ساقوا المداحل في فلسطين عندما فتحت السلطات الانتدابية ابوابها لتستوعب ابناء البلاد في هذه المهنة .

ولم يقتصر الامر حتى عام ١٩٤٨م ، فبعد التهجير والرحيل ، فان الخبرة المتواصلة ، اهلت هؤلاء القوم من ابو شوشة للعمل في الاشغال الاردنية ، وظلوا كذلك حتى انتهاء الحكم الاردني، الا انهم استمروا في لعب دور "المتعهدين" وتشطيب الورشات" ، حتى انتهى بهم المطاف الىالعمل في المحاجر والكسارات وإلى يومنا هذا .

ساهمت ظاهرة العمل المأجور في قرية ابو شوشة ، وارتفاع دخل البعض منهم ، في توفير السيولة لديهم ، فوظفوها بشراء الارض ، حيث كان دونم الارض يتراوح في هذه الفترة بين ٣-٤ جنيهات فلسطينية . ومن بين اسطع الامثلة على هذه الظاهرة سائق المدحلة عبدالله ابو الطبول ، الذي وصل راتبه عام ١٩٤٥ الى (١٢) جنيها في الشهر ، الامر الذي جعله يصبح اكبر ملاك في القرية حيث تقدر مساحة ارضه بـ (٢٠٠) دونم . وقاد هذا الى توسيع عمليات شراء الاراضي خارج القرية ، حيث تم شراء اراض من قرية صيدون المجاورة . وكان الحال بالنسبة لابناء القرية بشكل عام ، التقليل من الاعتماد على الارض للاعالة والتوجه الى طرق ابواب رزق جديدة او اضافية في دائرة الاشغال او الكمبات او البوليس ..الخ . فجرى بيع قسم من الاراضي بسبب الفقر وسوء الحالة الاقتصادية لأولئك الذين بحوزتهم سيولة نقدية من أبناء القرية .

واخيرا ، تجدر الاشارة الى ان هنالك موظفا عمل بدائرة المساحة وهو محمد سلامة عثمان

لقد كانت في ابو شوشة حركة عمالة ممتازة ، تعود في جذورها لما اوضحناه سابقا : فهنالك (١٣٠ - ١٤٠) عاملا في سكة الحديد ، علاوة على الذين يعملون في دائرة الاشغال(٣٠-٤٠) عاملا ايضا، وفي البوليس الاضافي حيث يصل العدد الى (٢٠) شخصا، ولا ننسى الذين يعملون بالهاتف والبريد (نصب الاعمدة)، واولئك الذين يعملون في مستودعات العتاد الحربي "الجباخانات" .

وفقا للمعطيات، فبامكاننا تقدير عدد العمال من ابو شوشة ب (٢٠٠ - ٢٥٠) شخصا .

اي ما نسبته ٢٥٪ من سكان القرية ، وهذه نسبة مرتفعة . ويشكل عمال ابو شوشة جزءا من حركة عمالية قوية ، لها سلطتها ، وقيادتها الكرزماتية، وهنالك في المحصلة النهائية انجازات لهذه الحركة النقابية التي اعتنت بشؤون العمال ، وخاصة اولئك العاملين في السكك الحديدية .

وطبقا لما يرد في تذكرات الاستاذ طلعت حرب ، فإنه " نتيجة وجود القوات البريطانية المنتشرة في المعسكرات في جميع انحاء البلاد ، انبثقت "طبقة" من العمال ، اضافة الى الفئات العديدة التي كانت تعمل في السكك الحديدية والموانيء والورش الصناعية ، فاصبح للطبقة كيان ووجود على ارض الواقع ، وانتظم العمال في مؤسستين عماليتين : الاولى "جمعية العمال العربية الفلسطينية " ومقرها حيفا ، وكان يرأسها سامي طه . والثانية "مؤتمر العمال العرب " ، ومقرها الرئيسي مدينة يافا ورأسها بولص فرح " .

ومع اننا لا نقصد هنا الدخول في ورشة فكرية حول المقولات في النص السابق (الطبقة والمجتمع) ، الا انها تظهر نفوذ العمال في البلاد ، واثبات وجودها من خلال نضالها النقابي ، واستعمال سلاحها الامضى"الاضراب" ، كطريقة للاحتجاج واظهار روح الامتعاض على الظلم والتعسف الواقع بها .

ويروي يوسف الحموي حدثا يعبر عن كل ذلك :"في عام ١٩٤٥ ، كان واحد في حيفا رئيس نقابة العمال (يعني سامي طه) ، عمل الاضراب في سكة الحديد ودائرة الاشغال وعمال الكنوبة "الكامبات" وهدف الاضراب الى رفع الاجور ".

حاول الانجليز الالتفاف على الاضراب عن طريق ضرب العمال الفلسطينيين باستقدام عمال جدد لتسيير حركة القطارات ، اذ كان اختيار توقيت الاضراب ناجحا ، واصاب مقتلا للانجليز ، بسبب خوضهم الحرب العالمية الثانية ، الا ان العمال الجدد لم يفلحوا في تنظيم حركة القطارات ، او العمل في السكك او الكمبات ، فاتصل المسؤول الانجليزي بالمشرفين على العمل قائلا :"انا مش عارف ، انا بدي احط روس ورا الطاولات ؟! انا بدي الخط يمشي . اجابوه : اذا بدك الخط يمشي رجع اولاد العرب ".

رضخ المسؤولون الانجليز اخيرا ، وكان لا بد من التفاهم مع منظم حركة الاضراب وقائدها ، والمدهش ان القرار بالاضراب كان كافيا لعموم العمال بوقف العمل وشل حركته .

Digitized by Birzeit University Library

واثناء التفاوض مع سامي طه ، الذي قدم اليهم المطالب العمالية والمتمثلة برفع الاجرة بنسبة ١٥٠٪ ، وافق الانجليز على ذلك مضطرين .

"ارتفعت الاجرة ، صار الاعزب يوصل (١٩,٥) بينما المتزوج (٢٢) جنيه . انا معاشي كان (٦) جنيهات ، اضافوا له غلاء معيشة ، وغيرها من الامتيازات فقفز الراتب إلى (١٥) جنيه " .

الحرف والاعمال اليدوية:

مارس بعض ابناء قرية ابو شوشة عددا من الحرف والأعمال اليدوية ، التي أفرزتها الحاجة ، أو كانت استمرارا في عادة متبعة، أولا حرفة تصنيع وتصليح عود الحراث البلدي المصنوع من الخشب . وكان محمد الحاج هنية ممن مارس هذه المهنة بأجر زهيد، إلا أن شراء اهل القرية وتصليح محاريثهم في مدينة الرملة ، ودخول "التراكتور" (الجرار) الى البلد قلص من هذه المهنة وجعلها محدودة.

وتجد هنالك مهنة قص الشعر ، حيث كان حلاق البلد عبد المجيد عبد الرحمن شاهين ابو زكريا، وكان يتقاضى بالمقابل مقدارا من القمح "مسحة" تدفع له سنويا في موسم الحصاد .

ووجدت في القرية مهنة اقتلاع الحجارة ودقها بحيث تصبح جاهزة للبناء ، ومن بين من مارسوا هذه الاعمال كل من ابراهيم محمود الصوالحي ورضوان محيسن وابراهيم حسين ابو العينين ومحمود نمر الحاج.

أما التطريز فكان من المهن البارزة في القرية ، تقوم به معظم نسائها ، فكن يجهزن ثيابهن بانفسهن ، ويطرزنها بالحرير وباشكال مختلفة ، وحسب نوع القماش وكمية الحرير يتم تحديد اسم الثوب : فالمندوب ، ونصف المندوب ومحمد السامي ، كلها مسميات لافضل الثياب انذاك . ولقد كانت بعض النساء مختصات بالتطريز ، فكانت الواحدة تعطي ثوبها الى تلك المختصة ، فتقوم الاخيرة بخياطة الثوب او جزء منه مقابل مبلغ زهيد من المال .

اما تبييض البيوت ، وهي عملية بديلة عن الطراشة والدهان في ايامنا هذه ، فقد كانت تقوم بها النساء ويستخدمن لذلك التربة الطينية البيضاء مخلوطة بالتبن الناعم والقش المعروف

باسم "القصول" ، ومن هذه الخلطة الطينية ، كن يعملن الرفوف والطواقي والخوابي داخل البيت . واشهر من كانت تمارس هذه الحرفة كل من : صبحة حبيب ، وحلوة السقعان ، وحسنة ابو السعود ، وحليمة المصرية ، وحليمة الحايك ، وسارة عبد الحميد ، ولبيبة نمر صالح ، وصبحة الحاج هنية ، وحلوه الحايك والحاجة صبيحة .

وكانت النساء تعمل مواقد النار والطوابين – ايضا– من الطين والتبن (والقصول) كخلطة لزجة تجف بعد حين . وصنعن كذلك صواني القش والسلال .

اضافة لما سبق ، كان هناك من يخيط على "ماكنة الخياطة" مثل احمد يوسف الحاج علي ، وعبد القادر الدرباس ، والسيدة علياء محمد حسن ، وعائشة محمد حسن ، وعائشة حسين ابو الطبول ، وعائشة علي قنديل ، وذيبة المغربي ، وكانت الاجرة تصل إلى (٢٠) قرشا على الثوب.

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الرابع
الحياة الإجتماعية

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية

أبو شوشة "كقرية" تمثل المستودع الضخم الامين لتلك الصور النابضة بالحياة والدفء، التي ترتسم وتنطبع في وجداننا وعقولنا منذ الوهلة الاولى لبدء التفكير في عالم الامس، عالم القرية التي كانت كائنة، تتهمر المعلومات بسرعة والتصورات بغزارة : فمن شكل القرية ومساكنها وبيوتها القديمة وازقتها ، إلى مرافق البيت من طابون وخم وحوش إلى الأراضي والبيادر ، فالمرأة الفلاحية العتيدة، إلى مجموعة القيم والأنماط الحياتية الفلاحية . وتندفع تداعيات وذكريات جديدة تختلط بالاولى، المبنى الحمائلي والعائلي للقرية ، الى المضافات والمجالس ، مرورا بالعادات والاعراس والاتراح ، فالكتاتيب ، وختاما التطبيب. كل هذا يمر وبسرعة البرق كشريط ، مفرداته قطع جميلة تتجمع في الذهن لتشكل تلك اللوحة الفسيفسائية النادرة للقرية العربية الاصيلة.

بشكل عام لا تختلف قرية عن أخرى، إلا أن لكل خصائصها وتفاصيلها وطابعها وبصمتها الخاصة ، ومع اننا لم نتشرف بالعيش حقيقة باجسامنا لحظة واحدة في قرانا التي دمرت ، لا متجولين ولا مزارعين ولا رعاة ، الا انه لعلنا عبر اعادة رسم صورة الحياة التي كانت في أبو شوشة ونسيجها الاجتماعي نشفي غل الصدور ، ونعوض بعض الشوق اليها .

وصف عام للقرية، هيكليتها وتنظيمها:

تتموضع القرية بين الجبل – التلة – وبين السهل متسلقة سفح تل الجزر . وإذا أردت دخول البلد من الجهتين الجنوبية والغربية فعليك ان "تسند سنود" ، اما من الجهة الشمالية "بتسند سنود خفيف" . ومن الجهة الاخيرة الشرقية "فالارض سهلية تقريبا "١.

يرى الناظر الى البلد ان السهول تحيط بالقرية من الغرب والجنوب والشمال ، بخلاف المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية اذ يعاين هناك هضابا يطلق عليها اهل القرية اسم "العروض" ، التي تعني الارض المرتفعة والهضاب .

التصقت البيوت بعضها ببعض – كحال القرى القديمة بصورة عامة – ، وفي نظر السيد عبد السلام ، فإن سبب ذلك يعود الى أمور هامة تتعلق بالظروف انذاك ، ويقف على

Digitized by Birzeit University Library

جاري بقوله له : اذا بتسمح بدي ابني ، بيقولي ابني ، فنبني ثلاثة ما هو الحيط الرابع خالص بس بسطح عليه" . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لعب توفر اللصوص "والحرامية" في ذلك الوقت دورا هاما في تراص البيوت ، وفي تعليل ذلك يقول السيد عبد السلام :"لما بدك تبني وتبعد عن جارك عشر او عشرين مترا ، الحرامي مستعد ييجي زي ما بده ويسرق ، اما تلاصق البيوت ، فانه يحفظ الناس ويبعد الحرامي . فلما تحس بالحرامي بتدق على الحيط بفزعلك جارك ، فالحرامي لا يستطيع ان يدخل داخل البلد ويسرق الا الدار المطرفة – البعيدة – ، وورد في الحديث النبوي الشريف – والكلام للراوي – "لا يأكل الذئب الا من الغنم القاصية ".

فالناظر من على رأس التلة التي تقع القرية على منحدرها ، يرى كتلة من البيوت المتراصة والملتصق بعضها ببعض ، ولقد عبر عن هذا افضل تعبير السيد خميس أبو لبن بقوله :"الكلب – بعيد عنك – كان يفر على حيطان البلد كلها ، يطلع من هان ، يلف ، يلف ، يعني كلها حيط واحد ، الدور ملزقات في بعض ".

وعلى الرغم من ان القرية مقسومة الى حمولتين – كما سيأتي – ، الا انه لم يكن هنالك انفصال بينهما ، حتى ان تداخل المباني وتمازجها وتشابكها جعل "الشخص البراني – الغريب – ما يعرفش ان البلد حمولتين ، او ما يعرفش وين هذول ووين هذول – الحمولتين" ٢.

تخلل قرية أبو شوشة شبكة طرق ترابية غير مرصوفة ولا "مزفتة" ، ولا حتى مبلطة بقطع من الحجارة الملساء ، وربطت هذه المسالك البيوت بالاماكن الرئيسية (الاراضي الزراعية ، الجرن ، الماء والعيون ، المقبرة ، المضافة ، حتى القرى المحيطة والمدن) ، ولم تكن هذه المسالك والطرق واحدة في طولها او عرضها ، ولكن الغالب عليها انها لا تزيد على ثلاثة امتار عرض وقد قطعت هذه الطرق القرية الى مجموعات صغيرة المساحة .

كان في القرية في عهد العثمانيين ديوان واحد لعموم اهالي القرية ، الا انه مع ازدياد حجم القرية ، وعدد سكانها ، وبسبب المنافسة بين الحمولتين ، اصبح في القرية ديوانان: ديوان المصاروة ، ويقع في الحارة الغربية ، وهو عبارة عن بناء من طابق واحد ، بني في العشرينيات ومساحة مسطحه حوالي (٥٠) مترا مربعا ، جدرانه من الحجارة ، وعقده من الاسمنت والباطون مع اعمدة حديد ، يطلق عليها اهل القرية اسم "دوامر"، كانت تجلب من سكة الحديد، لتستعمل بدلا من الخشب ، ويتخللها قرميد او اي شيء اخر .

وكان هذا الديوان يستعمل عادة في المناسبات الاجتماعية والدينية ، وكانت تقام فيه الصلاة ، ويستقبل فيه الضيوف ، وفي ساعات المساء، كان يغص بالشباب ، ويتجاذب كبار السن اطراف الحديث ، وبعد مغادرة كبار السن، كان الشباب يتسلون في كنفات هذا "الديوان" او "المضافة" او "الساحة".

وفي الحارة المقابلة ، الشرقية ، وعلى مقربة من الجرن الشرقي ، يقع ديوان دار عواد "العواودة" ، وهو بناء من طابقين : الاول جدرانه من الحجارة وعقده "قوس" ، من الحجارة ايضا وقد بني في العشرينات . اما الطابق الثاني ، فالعقد من اسمنت "باطون" مع شبكة حديد ، الا ان هذا الطابق بني في الاربعينات ، وتبلغ مساحة مسطحه (٤٠) مترا مربعا . ويستخدم للاغراض المذكورة نفسها .

ولا يجوز ان ننسى تلك الساحة في الجهة الجنوبية لمقام أبو شوشة ، ومع انها صغيرة نسبيا ، الا انها كانت تغص بالمصلين وعلى وجه التحديد صلاة العيدين ، اذ لم يكن هنالك مسجد في القرية.

ويتمركز مقام الشيخ أبو شوشة في منتصف البلد تماما وبين البيوت ، حتى ان قبة المقام تظهر للعيان متوسطة البيوت، وفي طرف القرية الشمالي توجد اطلال قبة ومقام الجزري، وعلى بعد (٧٠٠ – ٨٠٠) متر من مقام أبو شوشة توجد المقبرة والتي تقدر مساحتها باربعة دونمات ، والمقبرة فوق التل – تل الجزر –، حيث القبور المفردة ، كل قبر يبعد عن الاخر من متر الى مترين . نبت على ارضها القريص ، الخرفيش ، المرار ، والجلثون . وهذا الاخير "الناس بيوكلوه وبسوي قرون" ٣ . وتنبت كذلك السعيسعة والبريرة . علاوة على ذلك كانت المقبرة بمثابة المنبت لعشبة اخرى تسمى "الخلة" . ثم هنالك الاقحوان الاصفر . ولم تكن المقبرة مسورة ، ومع ذلك فانها كانت في منأى عن عبث الصبيان بسبب بعدها النسبي عن مركز القرية ، اضافة لتقدير الناس واجلالهم لها " الناس كانوا يفهموا انه حرام تخبط على القبور او عمل اي شيء اخر. "٤ ولم يكن في المقبرة شجر.

لم تكن القبور في مقبرة أبو شوشة مبنية ولا "مشهورة" ؛ فلا ترتفع عن الارض ما خلا قبرين او ثلاثة ، وجل ما كان يقوم به الناس ، وضع "المصيبة" ، وتعني حجرين ، يوضع

Digitized by Birzeit University Library

الاول من جهة رأس المتوفى ، والاخر من جهة القدمين كي يفهم ان هذا قبر ، اما اشهار القبر ، والبناء عليه فلم تجر العادة على ذلك ولم يكن ساريا .

توجد بالقرب من المقبرة على مرتفع الجزر ، الدار الضخمة التي اختار موقعها ابن عائلة "برغهايم" ، والتي اسميت بدار الخواجا كتعبير عن القوة والجبروت الاقتصادي ، والسياسي ، والاجتماعي" ، وهي تشكل معلما بارزا من معالم القرية .

اما في الاطراف الشرقية والغربية ، فيرى ساحتان كبيرتان ، استخدمهما اهل القرية لدراسة محاصيلهم الحقلية "البيادر" .وقد اطلق عليهما الجرن * الشرقي والجرن الغربي . كان الجرن الشرقي عبارة عن ساحة مربعة الشكل ، ارضها ترابية صلبة ، وتبلغ مساحتها قرابة (١٥) دونما . وتقع شرقي البلد ، وتستعمل في ايام الحصاد "لدراسة" المحاصيل الحقلية ، وهي مشتركة لمعظم فلاحي القرية . اما الجرن الغربي ، فانه يشترك مع الشرقي بارضه الترابية الصلبة ، الا ان مساحته اصغر من الجرن الشرقي فيصل الى (٧-١٠) دونمات . وكان استخدامه مقصورا على كبار فلاحي المصاروة ٥ .

هذه هي قرية أبو شوشة بمخططها الهيكلي بشكله العام ، واماكنها العامة ، وتنظيمها . اما الاراضي الزراعية، فلقد قمنا بوصفها في الفصل الاول / القسم الجغرافي . ويطيب ان نضيف ، وعلى لسان الذين نشأوا وترعرعوا في أبو شوشة، وصفا للقرية في فصل الربيع : اذ تكتسي القرية بحلة صفراء وخضراء . اما اللون الاخضر فيرجع الى ما يضفيه الربيع على القرى بشكل عام، واللون الاصفر يرجع الى نبتة "البابونج" "تنظر الى البلد تجد الدور كلها اصفر واخظر. "البابونج" كان يطلع على الحيطان ، من الارض وعلى السقف ومن جميع الجهات، في اول الامر بيكون لونه اخظر حتى ينور ، بعدين ، تاينور بصير اصفر ، احلى منظر كان عندما كانت البلد تلبس لباسها الاخظر والاصفر." ٦

وعلاوة على هذا ، فمن الواجب تأكيد تواجد رمز القرية الفلسطينية : شجر الصبر – على

* الجرن: ورد في المنجد الجرن .. الطريق الممحو اثره ، الدارس . وجرن الحب اي طحنه واجرن الحب اي جمعه في الجرين، والجرن البيدر: موضع تجفيف التمر ونحوه . ص٨٨ . وورد فيه كذلك ص ٥٦ ما يلي: بيدر الحنطة اي كومها ، البيدر الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس.

حد تعبير د.شريف كناعنة – ، فلقد احاطت اشجاره بالقرية وبيوتها بكثرة ، ثم هنالك شجر التين ، واشجار السدر الضخمة العالية ، والقليل من اشجار العنب .

كانت المعيشة في القرية تعني الحياة والنشاط ، تجد الكل متحركا : الفلاحون في ارضهم ، والرعاة يقودون ويسوسون الحلال والطرش ، والنساء ذاهبات الى بئر البلد ، الطوابين مستعرة واعمدة الدخان تتصاعد منها ، الاولاد في الكتاب ، والاطفال يلعبون في الطرقات . انها حركة دائمة دائبة تتوقف في الصيف قليلا عند ساعات الظهر ، وذلك لتفادي اشعة الشمس الحارقة ، ولنيل قسط من الراحة ، ثم تعود الحركة الدائبة الى القرية عند العصر الى ما بعد العشاء.

السكان:

أول الارقام المتوفرة لدينا عن عدد السكان في أبو شوشة في العصر الحديث ، نجدها لعام ١٥٩٦م ، حيث يشير دفتر الضرائب الخاص بلواء اللجون ، ناحية الرملة ، ان عدد من قطن أبو شوشة في ذلك الوقت وصل الى (١٦) عائلة وهو ما يعني (٩٠) نسمة تقريبا ٧. وقدر عددهم عام ١٨٧١ بـ ١٠٠ عائلة / ٥٠٠ شخص * .
وبلغ تعداد سكان القرية حسب ما ورد في الاحصاء العام للنفوس الذي اجري عام ١٩٢٢ نحو (٦٠٣) نسمة ، (٣١٠) ذكور و (٢٩٣) أنثى . وفي التعداد الثاني والذي جرى عام ١٩٣١ وصل الى (٦٢٧) نسمة ، منهم (٣١٨) ذكرا ، و (٣٠٩) إناث ٨، وفي عام ١٩٤٥م وصل الرقم الى (٨٧٠) نسمة ، وكلهم مسلمون ٩ .

أما الإختلاف في نسبة الزيادة السكانية الكلية في الفترة (١٩٢٢ – ١٩٣١) مقارنة بالفترة (١٩٣١ – ١٩٤٥) فانه – برأينا – يعود الى خلل في الاحصاء سببه عدم الوعي بأهمية الاحصاءات ، علاوة على عدم الثقة بالسلطة الانجليزية ، مما دفع العديد من السكان الى التقليل من الارقام المعطاة خوفا من السلطة الجديدة – الانجليزية – التي تشابهت في ذهن اهل البلاد مع السلطة السابقة العثمانية التي كانت تستغل الاحصاءات للتجنيد الاجباري او الضرائب.
ووفقا لاجتهادنا ، اخذين بعين الاعتبار أن نسبة الزيادة السكانية في حدها الاقصى بلغت

* Survey of Western palestine. Vol. 2. P. 407

Digitized by Birzeit University Library

٣٪ ، فان تعداد سكان أبو شوشة عام ١٩٤٨ قارب (٩٥٠) نسمة . أما العدد الحالي لأهالي أبو شوشة فيقدر، وفق معدلات نمو الشعب الفلسطيني بـ ٤٢٠٠ شخصا .

برز في قرية أبو شوشة حمولتان رئيسيتان انضوى معظم سكان القرية تحت لوائيهما : الاولى حمولة دار عواد ، او "العواودة" ومختارها كان يوسف حسن ، والاخرى : حمولة المصاروة ومختارها حسين أبو العينين . سكنت كل حمولة منهما في حارة ، فكان هنالك حارتان: الشرقية ، وتحوي معظم بيوت دار عواد ، والغربية التي بدورها تضم معظم بيوت المصاروة . وكما اسلفنا ، فلم يكن هنالك فاصل بين الحارتين ، فالبيوت متلاصقة ، والقرية شكلت كتلة عمرانية واحدة .

قطن القرية بالاضافة الى الحمولتين عائلات اخرى قليلة جاءت من مناطق ومواقع فلسطينية قريبة . قطنت أبو شوشة اولا من قبل حمولة "العواودة" . وكانت حمولة عواد "العواودة" تلقب : "بالفلاحين" وهذا اللقب لم يطلق عليهم بسبب اشتغالهم بالزراعة فحسب ، كما قد يتبادر الى الذهن ، وانما لان هذه الحمولة "اساس البلد ، فهم كانوا موجودين في البلد حينما اتى المصاروة - الحمولة الثانية - الى القرية من مصر ، من بره ، من البلاد الثانية ، فاجوا عليهم . هذولاك الفلاحين "حمولة عواد" ، كانوا في البلد من زمن ، فكانوا هم الفلاحين من الاساس ، يعني الفلاحين ، مش لانهم بشتغلوا في الزراعة وبس ، لأ ، بدك تقول ، يعني هم الاسبقية في البلد ، يعني الاساس . زي ما تقول واحد محلي وواحد ضيف ، الفلاحين اساس سكان البلد ، والمصاروة اجو عليهم ، اشي من مصر ، وهم الاغلبية ، واشي اجا من السعودية ، من الجزيرة ومن هان وهان ." ١٠

يتأثر النمو السكاني في منطقة ما ، بالأحداث التاريخية والسياسية والكوارث الطبيعية، وقد شهدت منطقة الرملة في هذا الصدد احداثا كبيرة أدت إلى تذبذب عدد السكان فيها عبر العصور، فمن اضطرار صلاح الدين الايوبي عام ١١٩١م إلى تدمير القلاع فيها، وتكرار الأمر من قبل الصليبيين بعد ذلك عام ١٢٠٤م، مرورا بالخلافات بين مدينة الرملة والعثمانيين، اثر اتهام الاخيرين لسكانها بقتل مجموعة من الاتراك ابان التوسع العثماني ،وانتهاء بالمناوشات بين سكان المنطقة والمستوطنين اليهود فقد اعيد رسم الخارطة السكانية الحديثة لمنطقة الرملة ولأبو شوشة عدة مرات، اذ كانت مسرحا هاما للحروب - بسبب موقعها الذي جر عليها الويلات، وما تلا ذلك من ترحيل وتهجير ، وتوطين واعمار وترميم وغير ذلك .

ثم تأتي العوامل الطبيعية لتلعب دورها، فهزة أرضية عام ١٠٣١م ، وثانية عام ١٠٧٠م ، وثالثة في ١٢٩٣ * ، ثم وباء الطاعون في منتصف القرن الرابع عشر الذي أدى إلى فناء مدن باكملها كالرملة واللد وجنين، فالقحط والجفاف العام عام ١٤٢١م الذي اصاب مناطق الرملة والقدس وصفد ، وزد على ذلك هجمات التتار ، وما سببته من هجرة وقتل للسكان ، وتحطيم وتخريب المدن ١١ .

كان كل ذلك يترك فراغا في تلك البقاع التي قتل أهلها أو هجروا ونفوا، أو هربوا حفاظا على أرواحهم واموالهم، وخوفا من الاضطهاد والقتل، مما جعل للفاتح والمنتصر فرصة - ان لم يكن واجبا - تعبئة هذا الفراغ باسكان القطاعات العريضة من الناس، وعلى وجه التحديد ، في المناطق الاستراتيجية ، واذا لم تكن أبو شوشة فمن تكون ؟!

إن لدينا ما يدعم هذا الرأي من شواهد التاريخ ، حيث ان الصليبيين بنوا في أبو شوشة قلعة وحصنا لهم ، وبعد انتصارات صلاح الدين وتدميرها ، كان عليه إعمارها بالسكان . واذا غضضنا الطرف عن قول الهمذاني في كتابه "صفة جزيرة العرب" الذي يقرر فيه ان معظم سكان الرملة وما حولها إلى نابلس هم من بني لخم وبني كنانة ١٢، وقول اليعقوبي بأن اهلها خليط من العرب والعجم ١٣ ، فاننا نقول - وبثقة - إن التواجد العربي كان متماشيا مع اهمية الموقع ومركزية المدينة ، والطرق التجارية وغير التجارية ، ولهذا ، كان الاهتمام كبيرا باغناء المنطقة ، ومنها أبو شوشة ، بالسكان دوما، واحلال الكم الملائم فيها.

* يذكر يوسف سعيد الحموي أيضا ان هزة ارضية حدثت في سنة ١٩٢٧ .

Digitized by Birzeit University Library

الحمائل والعائلات :

بداية ، وبوجود ثلاث قرى في فلسطين تحمل الاسم نفسه "أبو شوشة" فنحن نعتقد أن أبو شوشة / الرملة هي القرية الأم بالنسبة لهذه القرى، والدليل على ذلك ما يتلخص مما سبق ذكره في أن هذه – أبو شوشة / الرملة – من الناحية التاريخية هي الاقدم ، وانتقل السكان منها لسبب أو لآخر . ولدى سؤالنا الأهالي حول هذه النقطة ، تلقينا اجابة من السيد مصطفى علي شاهين :"الدليل يا سيدي بالنسبة للمقامات والاثار اللي موجودة في أبو شوشة ، فالمقامات هي التي تدل على ان هذه هي الام ، اما القرى الثانية فش عندهم دليل او اثار ، يعني اللي يقدر يقول لك هذه أبو شوشة ، روح على أبو شوشة طبريا ، او أبو شوشة حيفا ، فلا تجد عندهم الاثبات زي ما في أبو شوشة الرملة فهذا هو الدليل ".

فالذين هاجروا من أبو شوشة / الرملة ، واستقروا في بعض المناطق من فلسطين : طبريا وحيفا :"يسألوهم الناس : إنتو من وين؟ إحنا من أبو شوشة . وطبعا لكونهم متواجدين في منطقة ، مين هذول ؟ هذول تباعين أبو شوشة ، هذول أهل أبو شوشة، ومع المدة اتسموا أبو شوشة ".
اذن، القرى المسماة أبو شوشة ، نزحت عن أبو شوشة الأصلية والأم ، سواء بسبب طلب الرزق، او بسبب مناوشة تمخض عنها عملية قتل "اندموا" ...الخ . ويبدو ان هذا التحليل قريب من الصحة ، اذ ان مصطفى الدباغ ، وهو يعالج قرية المغير وتعداد سكانها يقول " وفي سنة ١٩٤٥ قدروا ب (٢٢٠) شخصا يعودون باصلهم الى دير جرير من أعمال رام الله ، وأبو شوشة من اعمال حيفا" ١٤ ويورد ايضا :"أبو شوشة / حيفا ، في اراضيها تقيم عشيرتا السعايدة من عرب الجنوب والشقيرات .".١٥ فهذا يعزز الطرح المستند الى دوام التنقل من قرية لاخرى طلبا للرزق او غيره من الأسباب، وزد على ذلك أن عرب الجنوب المشار اليهم كانوا متنقلين بوجه عام *.

---

* أبو شوشة / طبريا ، تقع في الشمال الغربي من مدينة طبريا ، نشأت في غور أبو شوشة الذي ينخفض (١٧٥) مترا عن سطح البحر، بلغ سكانها سنة ١٩٤٥م (١٢٤٠) نسمة ، وبعد اخراجهم منها سنة ١٩٤٨م اقام اليهود عليها مستعمرة "جينو سار" على الشاطيء الغربي من بحيرة طبرية ، امام القرية . اما أبو شوشة / حيفا تبعد ٢٥كم جنوب شرق حيفا . انشئت على السفح الشمالي لجبل الكرمل . وتطل على مرج ابن عامر ، ترتفع (١٢٥) مترا عن سطح البحر ، ويمر نهر المقطع من شمالها على بعد ٤كم . تشتهر القرية بكثرة ينابيعها . بلغ عدد سكانها عام ٤٥م (٧٢٠) نسمة شرد اهاليها عام ٤٨م ، ودمرت قريتهم واصبحت اراضيها تابعة لمستعمرة "مشمار هعيمق" (معجم بلدان فلسطين ص ٩٦/٩٧).

وفيما يتعلق بالحمائل والعائلات ، فاننا نعتقد أن "العواودة" – الفلاحين – أتوا إلى أبو شوشة في حقبة صلاح الدين الأيوبي ، فسكنوا أو أسكنوا في القرية بعد القضاء على الصليبيين في تلك النواحي . والاعتقاد السائد لدى أهل القرية من العواودة انفسهم، انهم قدموا من شرق الاردن، من الشوبك وغيرها .

وبخصوص الحمولة الاخرى : المصاروة ، فان لها قصتها الخاصة، إذ لعبت ظاهرة التنقل، وحركة الهجرة بين أطراف الدولة العثمانية ، وخصوصا في بلاد الشام دورا هاما وقف وراء "استيطان" قطاعات من الناس في قرى وأماكن جديدة .

إلا أن التغيير الأهم في المنطقة، بخصوص ظاهرة التنقل والهجرة ، كان حملة ابراهيم باشا وحكمه سوريا وفلسطين (١٨٣١ – ١٨٤٠) ؛ اذ دفع حكم ابراهيم باشا، ووالده من قبله، كثيرا من المصريين إلى الهجرة من حيث فرض الضرائب ، وفرض القانون والنظام بصرامة وقمع العصاة والمتمردين لهذا السبب او ذاك . وكان للتناقض القائم بين محمد علي وحاكم عكا المعين من قبل السلطة العثمانية الذي ترجم عبر المساجلات التاريخية بين محمد علي والسلطان العثماني، حول فرار المصريين، وتأمين حاكم عكا – عبدالله – الملجأ المريح للفارين، كان لذلك اثر في الدفع باتجاه حركة الهجرة ، كما لعبت سياسة محمد علي، في السياق نفسه ، بارساله مستوطنين جددا لتعزيز حكمه ، دورا في انتشار المستوطنين المصريين في عدة نقاط ريفية ومدنية ، حيث شغلوا مساحات واسعة من الاراضي وأضافوا تنوعا وكما الى السكان الموجودين ١٦ .

وقد ذكر ي . شمعوني : "إن مناطق الاستيطان المصري الاولى تقع في المنطقة الساحلية بين طولكرم وغزة "١٧ وهذا أفضل تعبير حول ما تمخض عن كل تلك التفاعلات منتهيا "بظاهرة" التوطن المصري، فقضية هذا التوطن اصبحت مسألة مبرمجة لبقاء العديد من المصريين بعد انتهاء حملة ابراهيم باشا والانسحاب من فلسطين ، رغبة في الاستقرار ، والاخرون فرارا من الحروب والخدمة العسكرية .

في هذه الفترة ، استقر "المصاروة" في أبو شوشة ، وهم بالواقع ، النتاج الطبيعي والمولود الشرعي لهذا الخضم . قدموا إلى أبو شوشة ، فوجدوا فيها سكانا – الفلاحين "العواودة" – مما حدا بالقادمين الجدد والسكان الأصليين للانخراط بعضهم مع بعض في عملية

Digitized by Birzeit University Library

اندماج تفرضها المعطيات المعيشية ، مع عدم خلو الأمر من مضايقات ومشاحنات ومشاكل كان يتم تجاوزها.

وحسب نظام المشاع، الذي لا يوفر أي حصة من الأرض للغرباء إلا في حالات معينة ، امتلك هؤلاء المصريون حق الانتفاع بالارض ، وجرت لهم القسمة ، وراحوا يزرعون ويفلحون ويعمرون، وهذا التناغم والانسجام والاندماج، لم تعكر صفوه الخلافات بين الاولاد والانتصار لهم ، ولا الاشكاليات الاكبر المتمثلة في قسمة ارض المشاع بعد مقتل ابن عائلة برغهايم "بيتر"، او بتقسيم جبل الجائحة، أو الخلاف على نوعية القرار الواجب اتخاذه عندما اراد اليهود اخراج أبناء أبو شوشة من الأراضي في بداية الثلاثينيات من هذا القرن . ولدى اثارة هذه الموضوعات والمحطات عقب احد ابناء القرية عليها بقوله: "الأخوة بصير بينهم مرات حزازات" ١٨ إلا أن أبو شوشة صهرت في جنباتها اهل القرية جميعهم .

وفي اواخر العهد العثماني ، كان للحمولتين مضافة او ديوان واحد ، يقع في وسط القرية بجانب مقام الولي أبو شوشة ، وكان الديوان ، بطبيعة الحال ، مكانا لمناقشة امور القرية العامة ، والتقرير فيها وعلى رأسها الاراضي وتقسيمها ، حيث كان عموم ابناء القرية يتجمعون في هذا الديوان في أفراحهم وأتراحهم ، ناهيك عن استضافة الغرباء وقضاء اوقات الفراغ ..الخ . ومع مرور الزمن ، وتكاثر اهل القرية وتمدد الحمولتين ، بدأ الشعور بالحاجة الى ديوان مستقل لكل حمولة ، الذي دفع باتجاهه، الشعور بظهور تنافس سلبي حول موضوع ادارة البلد وتمثيلها واحقية كل حمولة في هذا التمثيل ، وعزز هذا الشعور اقدمية دار عواد في سكن القرية، هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى المقابلة كان التنافس بالعدد، فوصلت تلك التراكمات السلبية درجة الحرج ، فتبلور ذلك الشعور الى واقع ، حيث شرعت كل حمولة ببناء ديوان جديد خاص بها في الحارة التي تسكنها ، وفي اعتقاد الرواة ، فان ذلك تم في بداية العشرينيات من القرن الحالي .

اما حول الحمائل والعائلات ، فلقد سبق وأشير إلى أن القرية تنقسم عشائريا إلى حمولتين رئيستين، وعدد من العائلات التي اختلفت في اصلها وحجمها وتاريخ وصول مؤسسيها إلى القرية، اما الحمولتان فهما حامولة دار عواد وحامولة المصاروة. بينما تمثلت العائلات في عائلة رداد، وعائلة البنوي، وعائلة علي ياسين، وعائلة أبو لبن، وعائلة الترك، وعائلة أبو شريخ، وعائلة المغربي .

ويضم هذا الفصل "شجرات عائلة "لحمولة دار عواد، وللعديد من افرع حمولة المصاروة ولبعض العائلات الاخرى . اذ قمنا بجمع وتدقيق معلومات شجرات الحمائل والعائلات عبر مقابلات جماعية حاولنا فيها الوصول إلى "شجرة" لكل عائلة في أبو شوشة سواء أكانت صغيرة ام كبيرة، ولم نوفق الا بما احتوى هذا الفصل . ومن طبيعة عمل توثيقي كمؤلفنا هذا الذي يعتمد على الذاكرة والرواية المنقولة من جيل الى جيل ، فلا بد وان يكون فيه نقص او خطأ ، وعليه نعتذر عن ذلك مقدما ، ونعتذر للعائلات غير المدرج شجراتها ، وندعوها الى التفضل بتزويدنا بالمعلومات الناقصة او المصححة لادراجها في طبعة قادمة.

حمولة دار عواد:

يقول الرواة ان اصل هذه الحمولة من الشوبك في الاردن ، وانها سكنت القرية قبل الحمائل والعائلات الاخرى .وتقع معظم بيوت افرادها في شرقي البلد ، مشكلين بذلك حارة لهم اسمها الحارة الشرقية ، كان لها ديوان خاص ومختار اسمه يوسف محمود حسن، ومن قبله كان والده . وعنها حدثنا محمد حسان بالتالي :

"قال اباؤنا ان جد هذه الحمولة هو شخص اسمه عودة ، جاء من الشوبك ومعه اغنام كثيرة ، وسكن قرية القباب اولا ، لكن لما شاف عيون النبع والمغاير الواسعة الصالحة لايواء الاغنام في ارض أبو شوشة ارتحل اليها وسكنها واستقر فيها . عودة خلف ثلاثة اولاد ، عواد وسمور وسمري . سمري لم يخلف لكن عواد وسمور خلفوا واولادهم شكلوا عائلات الحامولة الفرعية . قبل قدوم المصاروة الى البلد مع حملة ابراهيم باشا ، كانوا هم وحدهم في البلد وبذلك اعتبروا انهم اساس القرية . كانوا ملاكين واشتغلوا في الزراعة ومع الانجليز في سكة الحديد والاشغال العامة وغيرها ."

اما عائلات هذه الحمولة فكانت:

١- دار سليمان عواد:

كانت معظم بيوت افرادها في شرقي القرية و اشتغل ابناؤها في الزراعة والفلاحة وعمل جزء منهم في سكة الحديد ، وكان من المعروفين فيها كل من عمر صالح سليمان واحمد نمر، حاليا ، يقيم بعض من افرادها في رام الله والبعض الاخر في الاردن .

Digitized by Birzeit University Library

٢- دار يوسف عواد:

سكنت هذه العائلة في شرقي القرية ، وعمل معظم افرادها في الزراعة . ومن وجهائها عيسى سليمان ، وحاليا ، يتوزع افرادها في اقامتهم بين رام الله والاردن.

٣- دار حسن عواد:

سكنت هذه العائلة في الشمال الشرقي للقرية ، واشتغل معظم افرادها في الزراعة ودائرة الاشغال العامة . كان من المعروفين فيها يوسف محمود حسن (مختار) ، ويقيم الجزء الاكبر منها حاليا في الاردن ، والباقي في رام الله .

٤- دار سالم سمور:

كانت معظم بيوتها في وسط القرية ، اشتغل عدد من افرادها في الزراعة ، ومع الانجليز في "كامبات" صرفند . وعرف من افرادها الشيخ سلامة محمد سالم الذي كان يعمل مدرسا في "كتاب" القرية ، ويتواجد افرادها حاليا في رام الله والاردن .

٥- دار حسن سمور:

سكنت هذه العائلة في شمالي القرية، وعمل معظم افرادها في دائرة الاشغال العامة. ومن وجهائها الشيخ اسماعيل حسن الذي عمل مدرسا في "كتاب" القرية، - حاليا- ، ويقيم جزء من افرادها في عمان والجزء الاخر في البرازيل.

٦- دار عبد السلام هنية:

سكنت هذه العائلة في وسط القرية ،وعمل افرادها في الزراعة ودائرة الاشغال العامة، ومن المعروفين فيها عبد الرحمن عبد الحميد،ويتواجد افرادها حاليا في رام الله والاردن.

٧- دار ابراهيم هنية :

كانت معظم بيوت هذه العائلة في وسط القرية ،واشتغل افرادها في الزراعة والنجارة (نجارة عيدان الحراث) ، ومن وجهائها نمر الحاج وكان نجارا، ويقيم افرادها حاليا في الاردن.

حمولة المصاروة:

هذه الحمولة عبارة عن اطار ضم مجموعة عائلات مستقلة عن بعضها البعض ، وتشترك في عامل واحد يتمثل بقدوم الاجداد الاوائل لهذه العائلات من قطر واحد هو مصر ، وكما ورد سابقا ، لقد رافقوا حملة ابراهيم باشا على فلسطين عام ١٨٣١ م، وظلوا فيها، ولم يرجعوا الى مصر بعد انتهاء الحملة عام ١٨٤٠م هروبا من سياسة محمد علي الاقتصادية ، حيث اتخذوا من أبو شوشة مكانا لسكنهم ، وعليه اخذوا اسم المصاروة.

تقع معظم بيوت افرادها في غربي البلد، مشكلين بذلك حارة لهم اسمها الحارة الغربية ، وقد أصبح لها فيما بعد ديوان خاص، وآخر مختار لهم كان حسين أبو العينين ومن قبله كان محمد السيد ، وهي اكبر حجما من حامولة دار عواد. فقد ضمت حوالي (٢٥) عائلة متفاوتة الحجم . وقد امكننا عمل شجرات العائلات لجزء كبير منها ، والجزء المتبقي لم يعمل له بحكم عدم توفر معلومات كافية . اما هذه العائلات فكانت :

١- دار الحو:

يعود اصل عائلة الحو الى بلدة العايد في محافظة السويس في مصر ، وكانت غالبية العائلة تسكن في الشمال الغربي للقرية ، واشتغل افرادها في الزراعة وتربية المواشي ،و من وجهائها كل من محمود حبيب وسعيد الحموي ،ويتوزع افرادها - حاليا - في اقامتهم بين رام الله ومنطقة القدس والاردن.

٢- دار السقعان:

وأصل هذه العائلة من بلدة فاقوس في مصر ، وسكنت في غربي القرية ، وعمل معظم افرادها في الزراعة والنقل على الجمال ، ومن المعروفين فيها حسن عبدالله السقعان ، حاليا ، ويقيم الجزء الاكبر منها في رام الله والبيرة والباقي في عمان .

٣- دار بشير:

سكنت هذه العائلة في وسط القرية تقريبا ،وعمل معظم افرادها في الزراعة ، وتربية المواشي، وكان من وجهائها كل من اسماعيل حسن بشير ، ورشيد حسين الذي كان مجبرا وطبيبا شعبيا ، ويتواجد افرادها -حاليا- في الاردن وأبو ظبي.

Digitized by Birzeit University Library

٤- دار السيد:

كانت معظم بيوت هذه العائلة تقع في الشمال الغربي للقرية ، وقد عمل افرادها في الزراعة وسكة الحديد . وكان من المعروفين فيها كل من علي جابر وسليمان السيد ، ويقيم معظم افرادها في الاردن ، والقليل منهم في رام الله .

٥- دار أبو عيدية:

يعود اصل هذه العائلة الى بلدة عايد في مصر . وسكنت في الجنوب الغربي للقرية ، واشتغل قسم من افرادها مع الشرطة الانجليزية ، وعمالا في "الكامبات" ، وقد اشتهر من هذه العائلة محمد عيدية الذي كان مدرسا في كتاب صرفند ، ويتواجد معظم افرادها في رام الله والبيرة.

٦- دار الجوهري:

سكنت هذه العائلة في وسط القرية . وعمل افرادها في سكة الحديد ، وكان من وجهائها محمود الجوهري ،ويعيش افرادها حاليا في الاردن .

٧- دار الزغموري:

اصل هذه العائلة من بلدة نمروط في مصر، وسكن معظم ابنائها في الجنوب الغربي للقرية ، وعمل اكثرهم في الزراعة ،وكان من المعروفين فيها محمود الزغموري ، ويقيم افرادها حاليا في رام الله .

٨- دار القطشة:

سكنت هذه العائلة في وسط القرية تقريبا ، وعمل معظم افرادها في الزراعة ، ومنهم من عمل ميكانيكيا ، وكان من المعروفين فيها ذيب عبدالله ، ويتواجد افرادها حاليا في اريحا وعمان .

٩- دار البلبيسي:

أصل هذه العائلة من بلدة بلبيس في مصر ، وسكنت في جنوبي القرية ، اشتغل افرادها في الزراعة ، وكان من وجهائها صالح البلبيسي ، ويعيش افرادها حاليا في رام الله .

١٠- دار الحايك:

يعود اصل هذه العائلة الى بلدة الغرين في مصر وسكنت شمالي القرية ،واشتغل معظم افرادها في سكة الحديد ، والقليل منهم عمل في الزراعة ،ومن المعروفين فيها جميل محمد الحايك . ويتواجد ابناؤها حاليا في الاردن.

١١- دار شاهين:

سكنت هذه العائلة في غربي القرية ،وعمل معظم ابنائها في الاشغال العامة ، وقد عمل بعضهم في الحلاقة والطب الشعبي ،وكان من المعروفين فيها الشيخ علي الذي درس حينا في الكتاب ، ويتواجد افرادها حاليا في رام الله والدهيشة ومخيم العروب .

١٢- دار الصوالحي:

سكنت هذه العائلة في الجنوب الغربي للقرية ، وعمل افرادها في سكة الحديد والفلاحة ومقالع الحجارة ،وكان من وجهائها محمود ابراهيم الصوالحي ، ويقيم الجزء الاكبر منها في رام الله ، والباقي في غزة وعمان .

١٣- دار عوض الله:

كانت بيوت هذه العائلة في جنوبي القرية ،ومعظم افرادها كانوا عمالا ، وكان من المعروفين فيها يوسف ذيب ، ويتواجد افرادها حاليا في رام الله .

١٤- دار أبو السعود:

سكنت هذه العائلة في جنوبي القرية ، وعمل افرادها في الزراعة ، وكان من وجهائها علي أبو السعود ، ويتوزع افرادها في اقامتهم بين رام الله وعمان .

١٥- دار الطهراوي:

معظم بيوتها كانت في غربي القرية ، وعمل افرادها في سكة الحديد وكان من المعروفين فيها كل من عبد المجيد ، واحمد طهراوي ، ويقيم افرادها حاليا في الاردن.

Digitized by Birzeit University Library

١٦- دار المصرية:

معظم بيوت هذه العائلة كانت في وسط القرية من الجهة الغربية ، وعمل افرادها في الزراعة . وكان من وجهائها ابراهيم محمود مصرية ويتواجد ابناؤها في رام الله.

١٧- دار أبو نمره:

سكنت هذه العائلة في غربي القرية وكان افرادها عمالا ومزارعين ، وكان من المعروفين فيها عبد الرحمن عبد العزيز.

١٨- دار فودة :

سكنت وسط القرية من الجهة الغربية ، ومن افرادها من اشتغل عاملا في سكة الحديد، ومنهم من عمل في الزراعة ، وكان من وجهائها كل من حسن فودة ، ومحمد اسماعيل، يقيم افرادها في الاردن .

١٩- دار أبو الطبول:

سكنت هذه العائلة في غربي القرية ، وعمل افرادها في الزراعة ، ودائرة الاشغال العامة، وكان من المعروفين فيها عبدالله أبو الطبول ، ويقيم ابناؤها حاليا في الاردن.

٢٠- دار أبو عقيدة:

سكنت هذه العائلة في جنوبي البلد ، وعمل افرادها في الزراعة ،وكان من وجهائها ابراهيم علي أبو عقيدة ، يقيم ابناؤها في رام الله والاردن .

٢١- دار المصري:

سكنت هذه العائلة في جنوبي القرية تقريبا ، وعمل افرادها في الزراعة، وكان من المعروفين فيها احمد المصري ، ويقيم ابناؤها حاليا في الاردن .

٢٢- دار براش:

معظم بيوت هذه العائلة كانت في جنوبي القرية ، واشتغل افرادها في الزراعة ، وكان من وجهائها محمود براش ، يتوزع افرادها في اقامتهم بين رام الله وغزة.

٢٣ - دار الحاج علي:

سكنت هذه العائلة في غربي القرية ، وعمل معظم افرادها في الزراعة ، وكان من وجهائها نمر الحاج علي الذي كان صاحب ملحمة ، ويقيم جزء من افرادها في رام الله، والاخر في عمان .

٢٤ - دار أبو العينين:

يعود اصل هذه العائلة الى مدينة الاسكندرية في مصر ، وكان معظم بيوتها في غربي القرية ، وعمل افرادها في الزراعة ، وكان من مشاهيرها حسين أبو العينين (مختار)، تقيم هذه العائلة في الاردن .

يلفت الانتباه في حمولة المصاروة في أبو شوشة ، وعند البحث في تفاصيل العائلات التابعة لها، ان المصاروة لم يأتوا من منطقة واحدة من مصر ، ولا من بلد او قرية "واحدة" ، بل تعددت المنابت والاصول ، وانهم كانوا افرادا خدموا في الجيش المصري ، ولم يكن قدومهم من مصر على شكل هجرة ، ذلك ان طبيعة الهجرات ، ان تتحرك العائلات ومجموع افراد القرية او المدينة ، فتستقر معا في مكان واحد .

العائلات الاخرى:

سكنت أبو شوشة عائلات اخرى خارج حمولتي عواد والمصاروة، هي:

١- عائلة رداد:

الجد الاول لهذه العائلة جاء مهاجرا من بيت حنينا إلى أبو شوشة ، وقيل في رواية اخرى انه جاء من النبي صموئيل المحاذية لبيت حنينا . وسكنت هذه العائلة وسط القرية ، واشتغل معظم افرادها في الزراعة وتربية المواشي ،وعرف من وجهائها كل من عبدالله احمد رداد ورشيد محمد رداد، وفي ايامنا هذه يعيش كل ابناء العائلة في الاردن والدول العربية.

٢- عائلة علي حماد:

يقول الرواة ان مؤسس هذه العائلة في القرية جاء مهاجرا من تفوح في جبل الخليل

Digitized by Birzeit University Library

،وتقع معظم بيوت افرادها شرقي البلد ، وعمل افرادها في دائرة الاشغال العامة وتربية المواشي ، وعرف من وجهائها يوسف علي حماد ، ويتواجد ابناء هذه الحمولة في مخيم شعفاط (ويسمى ايضا مخيم عناتا) ، والبلدة القديمة في القدس وفي اميركا الشمالية .

٣- عائلة درباس:

مؤسس هذه العائلة من بيت اكسا . وسكن افرادها في شرقي البلد ، وعمل معظمهم في الزراعة ، ومن وجهائها احمد درباس وعيد درباس ، ويتواجد ابناؤها حاليا في رام الله والاردن.

٤- عائلة عبد الفتاح (الكي) :

يعود اصل هذه العائلة الى قرية بعلين في لواء غزة ، وكانت بيوتها في الشمال الغربي للقرية ، واشتغل معظم افرادها في دائرة الاشغال العامة ، واشتهر من هذه العائلة عبد الفتاح الكي ، يعيش كل ابنائها في الاردن .

٥- عائلة عيسى الخطيب:

يعود اصل هذه العائلة الى قرية السوافير في لواء غزة ، وسكن افرادها في وسط البلد قرب مقام أبو شوشة ، وعملوا في الزراعة، وكان من وجهائها احمد عيسى ، ويتواجد كل افرادها اليوم في الاردن .

٦- عائلة البنوي:

مؤسس هذه العائلة جاء من قبيبة شاهين (وهي قرية تقع على الساحل بالقرب من زرنوقه) . وحجم هذه العائلة صغير، وسكن افرادها غربي البلد، وعمل معظمهم في الزراعة ، وكان من وجهائها صبري احمد البنوي .

٧- عائلة علي ياسين:

مؤسس هذه العائلة جاء من برفيليا قضاء الرملة، وسكن افرادها وسط البلد، وعمل معظمهم في الزراعة ، وعرف من وجهائها محمد علي ياسين ، ويتواجد افرادها الان في الاردن.

٨- عائلة أبو لبن:

الجد الاول لهذه العائلة كان يعيش في زكريا لواء الخليل ، وتزوج احد احفاده واسمه محمود من امرأة من أبو شوشة ، وانجب منها احمد وخميس وجبريل وبعد وفاته عام ١٩٢٥م ، رجعت زوجته مع اولادها الثلاثة الى أبو شوشة ، واستقروا فيها حتى عام ١٩٤٨، ويقول افراد هذه العائلة بأن جذور اجدادهم تعود الى عبد القادر الجيلاني في بغداد ، وسكن افراد هذه العائلة في شرقي البلد ، وعمل معظمهم في سكة الحديد ، ودائرة الاشغال العامة . وعرف من وجهائها خميس محمود أبو لبن ، ويعيش ابناؤها حاليا في رام الله والاردن .

٩- عائلة الترك:

مؤسس هذه العائلة هو اسماعيل حسن الترك ، وهو تركي الاصل ، وكان جنديا مع الحكومة العثمانية في فلسطين ، وبعد الحرب العالمية الاولى بقي فيها واتخذ من أبو شوشة مكانا للسكن ، وكان عزبا وتزوج من القرية من عائلة أبو شريخ ، وسكن شرقي البلد حتى عام ١٩٤٨ ، ويتواجد ابناؤه واحفاده في مخيم العروب ومخيم عناتا والاردن .

١٠- عائلة أبو شريخ:

يعود اصل هذه العائلة الى قرية بيت محسير ، وسكن افرادها وسط البلد ، وعمل معظمهم في الزراعة وتربية المواشي . وعرف من وجهائها كل من صالح أبو شريخ وشحادة أبو شريخ.

١١- عائلة المغربي:

ترجع جذور هذه العائلة الى الجزائر ، وسكن افرادها وسط القرية ، ومن مشاهيرها ابراهيم علي المغربي الذي كان صاحب دكان في القرية ، ويعيش ابناء هذه العائلة في مخيم البقعة في الاردن .

العمران:

قدرت البيوت المكونة للقرية في احصاء عام ١٩٣١ ب (١٤٥) منزلا ، وحسب تقديرنا، فانها ازدادت عام ١٩٤٨ لتصل الى ما يقارب (٢٤٠) منزلا بمعدل (٤-٥) اشخاص في كل بيت ، وهو نفس المعدل المعطى في احصاء عدد النفوس في البيت لعام ١٩٣١م.

مكتبة جامعة بير زيت
Digitized by Birzeit University Library

وفيما يتعلق بالكثافة السكانية ، اخذين بعين الاعتبار ان عدد السكان في عام ١٩٤٥م قدر ب (٨٧٠) نسمة، ومساحة مسطح القرية (٢٤) دونما ، فتصل - الكثافة السكانية - الى ٣٦ فردا في الدونم الواحد ، وهذا مما يؤكد التصاق البيوت بعضها ببعض ، وصغر مساحتها الداخلية اجمالا .

ان البيوت القروية بشكل عام ، ومنها بالطبع بيوت أبو شوشة ، تتكون في داخلها من "مصطبة" للنوم والقعدة والاكل ، وترتفع هذه "المصطبة" عن قاع البيت حوالي متر، ويصعد اليها بدرجتين ، وينتشر حولها "خوابي" القمح والشعير والذرة . و الخوابي عبارة عن مخازن تصنع من "الطين او الحور" ، تكون مصفوفة من الداخل على اطراف المصطبة ويقدر حجم الخابية منها بحجم "خزانة من خزانات الاواعي اليوم." ١٩

كان اثاث البيت يتكون من "الفرشات" والحصر والوسائد و "البسط" والكراسي احيانا ، فتجد في البيت كرسيين او ثلاثة مصنوعة من خشب "الزان" العادي والقش ، ولكن يوجد ، في "المصطبة" ما يسمى "بقصة" ، وهذه ترتفع قرابة نصف المتر او اقل، وكانت تستخدم مثل "الدوشك" . "كانوا يحطوا عليها الفراش والسجاجيد والمصليات وتظهر بمظاهر وكأنها احسن من كنباية ، وكان يعمل هذا اللي وضعهم المادي وسط، اما الفقراء ، اذا اجاهم ضيف ، ينزل هالفرشة على ارض "المصطبة" ويفرشها ويقعد." ٢٠

اما "قاع البيت " ، فيكون تحت "المصطبة" ، وتستعمل عادة لايواء المواشي وخزن التبن والحطب ، وربما حفظ تتكات الزيت :"بس يحطوا تحت الزيت خشبة ، واحيانا يغطوه بكيس حتى يظل محافظ على جودته." ٢١ ويتخلل البناء فتحات صغيرة للتهوية ، وتعد البيوت القديمة - اجمالا- ، التي كانت تبنى من الطين واللبن والحجارة "عازلة للحرارة والبرودة ، فالجو في البيت يكون مناسبا جدا : في فصل الصيف يكون باردا ، وفي فصل الشتاء دافئا. "٢٢

تنوعت البيوت القديمة وفق اسقفها. فمنها "العقد" وهو المبني من اعمدة خشبية توضع بشكل افقي بمسافة نصف متر تقريبا بين الواحد والاخر وتغطى بطبقة من فروع شجر الغار و "النتش" ثم يوضع الطين فوقها ، واستخدم هذا النوع من "العقد" في البيوت صغيرة المساحة ، والمبنية في العهد العثماني واستمر هذا النوع حتى عام ١٩٤٨ . "وهذه البيوت مبنية من الحجارة

والطينة الحمراء ،وكان يوضع في الخشب و "النتش" ايضا طين . واحيانا يكون سمك الطينة من الخشب وفوق من (٥٠ - ٦٠)سم الى متر . وفي كل سنة يطينوا. " ٢٣

اما النوع الثاني فكان اقواسا من الحجر مغطاة بالطين ، ذات مساحات كبيرة ، وتعود لاصحاب الحلال والطرش . وكانت هذه البيوت موجودة - ايضا - في العهد العثماني، وكان للبيت الواحد منها قوس او قوسان حسب حجم البيت ، وتبعا لقدرة اهله الاقتصادية . أما النوع الثالث من القصر فهو ما كان من الاسمنت والباطون مع اعمدة حديدية سميكة ، وقد كانت هذه الاعمدة الحديدية توضع افقيا ، وسميت "الدوامر" ، وكان يتم شراؤها من الانتداب ، وعلى وجه التحديد من دائرة الاشغال العامة / سكة الحديد . وتطور عن هذا النمط ، "العقد" الجديد ، والمعروف : شبكة حديد واسمنت ، وساد ذلك النمط في منتصف الاربعينيات من هذا القرن.

أما متوسط سطح "العقد" فكان يتراوح بين (٣٠-٥٠) مترا مربعا . ولكل بيت ، في الغالب ، ساحة امامية تسمى "الحوش" مع بوابة خشبية . وكان "الحوش" يضم في الغالب "خما" (قنا) للدجاج وطابونا وموقدة ومكانا لإيواء الماشية ، اضافة الى ذلك السور الحجري "سنسلة" الذي عليه بعض "النتش" والحطب لتعيين حدود الدار والمحافظة عليها ٢٤ .

كان يتم اقفال الأبواب في الليل ، اذ جرت العادة على استخدام المفاتيح العربية ، و "الزرافيل" ، و "الدرباس" خوفا من السرقات. ٢٥

وبخصوص سعة البيوت :"كان متفاوتا ، فهنالك على سبيل المثال بيوت (٧م x ٧م)، او (٨م x ٨م) ، حسب القدرات الاقتصادية . وبذلك تشكل كل دار او بيت وحدة سكنية مستقلة ، اذ ان المداخل لكل بيت منفصلة عن الاخرى. " ٢٦

وقد تم الحصول على الحجارة المستعملة في البناء : من الحجارة القديمة ، او بشراء حجارة جديدة من المحاجر ، ومن القصابين الذين يقطعون الحجارة ، ويجهزونها للبناء ، حيث تحمل هذه الحجارة الى مكان البناء على الجمال او العربات ، أما الاسمنت فقد بدأ استخدامه في الثلاثينيات ، وكان في البداية يأتي في "براميل" ، ثم اصبح يرزم في اكياس من القماش "الفل" ، وقد ادى استخدام الحجارة والاسمنت الى تحسن نوع البناء ، فيذكر خميس أبو لبن "ان الناس بعد ١٩٣٠ ، تحسنوا ، وصاروا يشتغلوا في دائرة الاشغال ، وسكنوا في دور مناح ، انا بنيت دار سنة ١٩٣٨

Digitized by Birzeit University Library

"عقدين" صليب , بقت قبل كلها سقايف خشب وطين . ولما طلعنا ، كان في (٧٠ - ٨٠) دار حجر."

وطبقا لذاكرة عبدالسلام شاهين ، كانت هنالك بيوت مبنية من حجر "وما كانش مسمسم في هذاك الوقت ، بقا حجر "طبزة" ، وكان في دور حجر ولكن اقدم ، والبيوت الاخرى مبنية من حجر وطين ، اما الدور الجديدة اللي صارت من باطون ومن اسمنت وحديد ، طبعا هذه كانت اقوى واحسن واقل سماكة . وفي ناس بنوا وما سكنوا ، وطلعنا لاجئين ، وتقريبا عددها اربع دور : ففي هناك صبحي أبو شوشة بنى دار وما سكنها ، وعبد الرحمن حسن عواد ، بنى وسكن شهر او شهرين ، وهي دار من طابق واحد والبنا جديد."

والبيوت الجديدة ، لم تكن متلاصقة ، حيث بنى كل واحد بيته على "حكورته" الخاصة في القرية . وهذا يعني ، انه تواجد على اعتاب الرحيل والهجرة نوعان من البيوت : الحديثة للميسورين ، والقديمة للبقية الباقية .

وفي هذا المقام ، يجدر التنويه الى ما كان يطلق عليه اسم "السقايف" او "الخشش"" التي تعتبر الاقل ميزة عن البيوت السابقة ، وهي مساكن الفلاحين المعدمين والفقراء ، وكانت قليلة نسبيا . ثم هنالك "العلالي" ، وهي دور تتكون الواحدة منها من طابقين، يستغل الطابق الاسفل لايواء الحيوانات والمواشي ، اما الثاني فيعتبر "علية" - من علا يعلو - وهذه كانت قليلة ايضا .

توزعت هذه البيوت في الحارتين ، وكان اول بيوت الجهة الشرقية - حمولة عواد - بيت الحاج حسن علي ، بينما كان بيت محمد حسن أبو العينين اول بيوت الجهة الغربية - المصاروة - ، في حين تعود البيوت التي تقع عند التقاء الحارتين ، في معظمها الى دار بشير والجوهري وفوده ودار سالم.

في الواقع ، كان التنظيم الهيكلي مفقودا في القرية ، فالبيوت تتوزع وتنمو بشكل عشوائي وتبعا لقدرات الفلاحين، وحال البيوت ، كحال القرية على وجه العموم، تخلو من "التنسيق الهندسي" .

التعليم:

عند الحديث عن التعليم في اواخر الدولة العثمانية ، وحتى في عهد الانتداب وصولا الى عام ١٩٤٨ ، يقفز الى الذهن شتى صور السلبية والتخلف والاهتراء والترهل ، خاصة لدى مقارنتنا النظام المدرسي والمنهجية والتدرج في السلم التعليمي ، بنظام "الكتاب" .

يتلخص "نظام الكتاب" بقيام احد مشايخ الدين بتعليم القراءة والكتابة وقراءة القرآن لعدد من الطلاب في جامع القرية ، او في غرفة خاصة تدعى "الكتاب" ، وكان ذلك الشيخ لا يعتبر موظفا حكوميا ، بل انه يقوم بمهمته تلك بدون مقابل سوى ما تجود به نفوس اولياء امور الطلاب من الطعام والشراب والملبس. ٢٧

كان التدريس في الكتاب يدور محوره حول قراءة القران او حتى اجزاء منه ، "فختم الختمة" او حفظ اجزاء من القرآن وترتيلها ، كان بمثابة نيل درجة متقدمة في السلم الاكاديمي انذاك: "الولد اللي يختم القرآن ، ويعرف يقرأه ، يحفظله سورتين، تشون قالوا فلان ختم الختمة" ٢٨ ، وكان يقضي الطالب مدة تتراوح بين سنتين الى ثلاث سنوات يقرأ القران بالتشكيل.

وجد اول كتاب في القرية زمن العثمانيين ، وذلك لوجود احد خريجي الازهر الشريف، وهو ابراهيم شاهين الذي امضى (١٥) سنة في الازهر على حد قول اقربائه ، وكان بالاضافة له ، أخوه علي ، الذي درس -ايضا- معه في مصر في الازهر . وقد اطلق اهالي القرية عليهما "الزكح" . وبقدوم هذين الشيخين الى القرية ، قاما بفتح الكتاب الاول ، الا ان مسيرة هذا الكتاب قد تعثرت بسبب الاهمال ، وعدم الاكتراث بالتعليم، زد على ذلك انشغالهم بالارض والفلاحة، مما انعكس في عدم ارسال ابنائهم - ايضا- الى ذلك الكتاب إلا القليل، وحتى اولئك القلة، فقد كان الطابع العام لهم عدم الانتظام .

كانت اجرة المدرس ابراهيم مجرد صاع غلة او صاعين على كل تلميذ يدرسه ، ومادة الدراسة كانت منصبة ومكثفة على القرآن الكريم ، قراءة وحفظا وترتيلا . ٢٩

عانى الشيخ ابراهيم شاهين ، بسبب قلة التلاميذ ، من قلة المدخول والمردود ، ولكنه استمر في عمله بدأب وتفان . ولم تذهب جهوده ادراج الرياح ، فلقد لمع من بين تلاميذه اثنان:

Digitized by Birzeit University Library

سلامة محمد سالم ، واسماعيل حسن سالم ، تفتحت مداركهما " فصاروا يعرفوا المام الحرف" . وبسبب الوضع المالي الجيد لذويهما ، فقد تم ارسالهما بعد الكتاب الى الازهر.

خرج هذان الشيخان المفعمان بالحيوية ، فمكث الشيخ سلامة تسع سنوات ، اما الشيخ اسماعيل ، فكانت مدة دراسته اقل ، اذ امضى ست سنين في "الازهرية". ثم عادا الى مسقط رأسيهما ، عالمين في الشريعة والفقه ، كان ابناء القرية يشيرون اليهما بالبنان ،حيث احتفلت القرية بحضورهما ، متخرجين من الازهر الشريف منارة العلم.

وفورا ، اغتنم اهل القرية هذه الفرصة الذهبية . واتفقوا مع الشيخين سلامة واسماعيل على فتح كتاب جديد والبدء بالتعليم وصارا يعلمان فيه بالتناوب.

الا ان هذا الكتاب الجديد ، لم يكن في المسجد ، الذي هو مقام أبو شوشة ، وانما كان هذه المرة في بيت الشيخ اسماعيل حسن سالم نفسه . وفي وصف احد الطلاب الذي يقول : "بيت بشبابيك، وهذه شبابيك " رومانية" او "عمرية" قديمة، وتأتي على شكل قوس . والشبابيك من كلا الاتجاهين: الشرق والغرب " ويكمل يوسف سعيد الحموي وصفه قائلا :"البيت نثر وكويس ، ممدود . بنمط هالحصر على هالمصطبة وبنقعد . احنا قاعدين ، وهو - الاستاذ - بكون قاعد على جاعد ومعه المطرق في يده ، وبنقعد صفوف ، صفوف متربعين وراء بعض."

احتوى الصف هذا على (٥٠) ومرات (٦٠) ولدا. الدوام الرسمي طيلة ايام الاسبوع سوى يوم الجمعة ، اذ كان هذا اليوم بمثابة العطلة الرسمية للطلبة والشيخ . اما ساعات الدوام اليومي فهو من الساعة السابعة صباحا وحتى الظهر . وقبل اذان الظهر بنصف ساعة " يقول الاستاذ : غدا ، روحوا اتغدوا ، نروح كل واحد على داره نتغدى ، ونجمع حالنا عند الولي أبو شوشة ، وعندما نتجمع ، ينادي الاستاذ : يلله ، ويصفر بها الصفاره ، او ينادي يكون الظهر مأذن ، نخش ونوخذ دروس حتى اذان العصر ، وقبل العصر بقليل يقول لنا مع السلامة . نروح ، وهو يروح يؤذن ، فهو المؤذن وهو مقرىء الاولاد ".

وفيما يختص باعمار الطلبة والذين هم في جلهم من الذكور ، فانه يتراوح بين (٧ -١٥) سنة ، وكان للطالب الحق ان يبقى يتعلم في الكتاب ما يشاء " فتجد في الكتاب فتى بعمر ١٥ سنة ، فمعنى ذلك ان عمره الاكاديمي يتراوح بين (٦ - ٨) سنوات . لان العادة جرت على ادخال التلاميذ بعمر (٨)

سنوات . الا ان ذلك لا يعني انه لم يكن يسمح بالدخول ، لمن هم اصغر سنا، لا، وإنما الأمر متعلق بدفع اجرة الاستاذ " .

أما منهاج التدريس ، فقد كان اوسع واكثف من الذي سبقه حين كان "الزكح" يقوم بمهمة التدريس ؛ فبالاضافة الى القرآن ، كان التعليم شاملا الكتابة والدين والحساب (جمع وطرح وضرب وتقسيم وعشور ، وطهارة) ، علاوة على التاريخ ، وبشكل خاص تاريخ الانبياء والرسل . وليس هذا فحسب ، وانما وجدت بين ايدي الطلبة كراسات للدراسة "احنا في معنا كتب، يقول لنا : طول كتاب الحساب ، بنطول كتاب الحساب ، وكتاب الحساب احنا بنكتب فيه".

ومن امثلة الاسئلة التي يذكرها احد التلاميذ :"تاجر اشترى (٢٠) عجل ، بمبلغ كذا ، قعدن عنده ثلاثين يوما ، صرف عليهن مبلغ كذا ، فلما باعهن ، باعهن بمبلغ كذا ، فهل ربح ام خسر؟ احنا نصير نقوم برأس المال ، وفي المصروف ، ونضيفه على راس المال وبعدين نحسب البيع ، ونشوف ربح ام خسر " . ومثال اخر على الاسئلة "مات رجل عن اربعة اولاد وخلف لهم تركة كذا ، وقسمة كذا ، قديش طلع للواحد من هالرصيد اللي تركه ؟ احنا عاد نصير نضرب ونجمع ونطرح وبنطلع النتيجة . "

وهذه الاسئلة وغيرها ، التي يقدمها الاستاذ للطلبة ، اما ان تكون من ابتكاره واختراعه الشخصي ، واما يمليها على الطلبة من كتاب حساب مطبوع ، وعلى ما يظهر فانه حصل عليه من مصر خلال فترة مكوثه هناك .

إن حصة الرياضيات - في العادة - ثلاث الى اربع مسائل ، فحصة الرياضيات النموذجية في الكتاب ، وكما يظهر ، تستغرق ساعة كاملة ، وعلى كل الاحوال ، فقد جرى التركيز على مادة الرياضيات (الحساب) كونها تهم عائلات الطلبة ، وتمارس بشكل يومي ، لحساب ما يحتاجونه في اغراضهم اليومية او الموسمية ، والنقود والاثمان ..الخ.

في حالة اعطاء سؤال ، اي سؤال ، للطلبة لحله ، كان الطلاب ينهمكون ، ويتسابقون في انهاء الحل ، وذلك بغية تسليم الجواب للاستاذ ، الذي بدوره يصححه . وكان نظام الحوافز والعقوبات في هذا المجال بسيطا ، وهي شبيهة بهذه التي تسود في مدارسنا اليوم :"اللي يحل السؤال صح ، يقول له عفارم ، واللي غلط يوكل عصاتين" ، وعلاوة على ذلك ، وهو امر ملفت للنظر حقيقة ، وباسلوب تربوي حديث "بعدين الغلطان يوخذ فكرة من الثاني، وريني ، شو سويت، شو، يصحح

Digitized by Birzeit University Library

الطالب اللي حل السؤال بشكل صحيح مسألة الطالب الثاني - الغلطان - " ويعلل يوسف الحموي ذلك بقوله: "مشان المرة الجاية".

واما عقوبة الطالب الذي لا يقوم بواجبه البيتي ،فان المدرس كان يضاعف له الواجب : "اذا كان واجبه اربعة سطور يقول له اكتبها عشر مرات . واذا اخطأ الطالب في عدم حل واجبه للمرة الثانية ، او بسبب مشاجرة مع طالب اخر ، فان العقوبات في هذه الحالات تتنوع ، منها الضرب على اليد ، ومنها امر الطالب المذنب بأن يجلس في احد اركان الغرفة ، ووجهه الى الحائط ، شريطة ان لا يتكلم ، ويستمر هذا حتى نهاية الدوام اليومي . هذا بشكل عام شكل نظام العقوبات والحوافز بشقيه : النفسي والمادي والذي كان سائدا في القرية داخل الكتاب." ٣١

وان المحصلة النهائية لهذا النمط والنموذج من التدريس ، وحسب هذا النظام "الكتاب" ، كانت ان اصبح عند طلاب أبو شوشة "المام كويس" بالخط واصول الكتابة ، وفي ذلك يقول يوسف الحموي مفتخرا ومعتزا - وله الحق في ذلك: - "انا عندي اولاد توجيهي وبغلبهم ، بييجوا لما يكتبوا ، خطهم مش احسن من خطي ، ولما يحسبوا ، انا بحسب شكل ، وهم بحسبوا شكل ، بزبط احسن منهم" اضافة لهذا "كان اغلب اختيارية البلد بكتبوا وبقرأوا ، واغلب شباب البلد بدخلوا الكتاب" وكان يعبر عن اولئك المتخرجين انهم حصلت لديهم ملكة "المام الحرف".

ان "الالمام بالحرف" بالمناسبة ، لفظة معبرة فعلا عن مضمون وجوهر العملية التعليمية التي كانت حركتها بادىء الامر بطيئة ومتذبذبة في فترة ابراهيم شاهين ايام العثمانيين ، الا ان ذلك تغير واختلف نوعا وكما بمجيء الشيخين الاخيرين (سلامة واسماعيل) واندفاع الناس وتشجيعهم لمسيرة التعليم في الثلاثينات من هذا القرن * حتى اصبح "عيب وخطأ من لا يذهب الى الكتاب" . ومع ذلك كله ، فان الطلبة ، كانوا يتفاوتون، كما يقول يوسف الحموي: "كان واحد يبقا له (٥) سنين في الكتاب وليس عنده المام ، وفي ناس بيكون عندهم المام ."

وفيما يتعلق بمسألة الاجرة ، وانسجاما مع خصوصية أبو شوشة ، فان الدفع كان يتم بالمسحة" عن كل فرد إذ تلقى الشيخان سلامة واسماعيل في موسم الحصاد اربع مسحات في

* كان من المؤكد ، وبحلول العام ١٩٣٤م ، ان الكتاب يعمل بانتظام وبنشاط ، فيوسف سعيد الحموي دخل الكتاب في هذا العام . وكان الشيخان شريكين.

كل سنة ، وقبل ذلك ، فانهما تلقيا مسحتين نظير السنة الاولى ، وفي السنة التالية ثلاثا ، وفي السنة التي تليها اربعا ، وهكذا ، اي ان اجرة التعليم كانت ترتفع كلما ارتقى الطالب ، وتدرج في السلم الأكاديمي ..

لقد كانت العلاقة التي تربط الاستاذ والطلاب علاقة احترام وتقدير ، فبعد انتهاء الدوام، يتسابق ابناء القرية الى استضافة المدرس ، وكان الطالب في بداية يومه الدراسي يتوجه الى الاستاذ بقوله: "استاذ ، اهلي بسلموا عليك وبيقولو لك ، الليلة بدك تيجي عندنا وتتعشى فالعلاقة علاقة احترام ، لان الطالب يرى في الاستاذ استمرارا للاب ولسلطته . " ٣٢

اما ارتقاء الكتاب الى مستوى مدرسة ، وهل وجدت مدرسة اصلا في القرية ام لا ، ففي هذا الموضوع اراء واختلافات ، حيث يورد الدباغ: بأن قرية أبو شوشة ، كانت احدى ثماني قرى كان فيها مدرسة على حساب لجنة المعارف المحلية ، بمعنى ان القرية تدفع من اموالها جميع نفقات المدرسة بما فيها عمالة مدرسيها. ٣٣

ولكن ابناء القرية يروون ، انه في اواخر الاربعينيات ، حاول ابناء القرية بالتعاون مع "القائمقام" بناء مدرسة ابتدائية على غرار المدارس الموجودة في القرى المجاورة ، وقاموا بجمع تكاليفها ، لكن التهجير فاجأهم ، فخرجوا ، والمدرسة لم تولد ولم تر النور ٣٤ . وهذا يتقاطع مع ما يورده الدباغ عن شكل بناء المدرسة الذي يسميه "لجنة المعارف المحلية" . ولكن الاختلاف هو : أبنيت المدرسة، وهل كانت قائمة فعلا قبل النكبة ؟

لقد كان لموقف اهل القرية الرافض لادخال مدرسة حكومية بين ظهرانيهم -ايضا- سبب في تأخر انشاء المدرسة :"اجوا الانجليز وبدهم يفتحوا مدارس في البلاد لثالث ورابع ، ويجيبوا كراسي وطاولات، ونحن البلد الوحيدة التي رفضت المدرسة الحكومية تدخل بلدنا."٣٥ وعلى ما يظهر ان ابناء القرية ادركوا ان لا مناص من وجود مدرسة ، ووعوا فائدتها "بدنا مدرسة ، لمينا المصاري واعطيناهم للقائمقام، وصارت هجرة ٤٨ قبل ما يتنفذ المشروع ونحدد معالمها ونبنيها" .

فقبلوا ان ترسل لهم حكومة الانتداب شيخا شريطة ان يتولى اهل القرية اطعامه ، واسكانه . اتى الشيخ عام (٤٦-٤٧) من مدينة البيرة وكان يسمى الشيخ عبد الرحمن اما وصفه ، فهو "اعرج يلبس "اللفة" ، زي شاشة ، جاء ودرس الاولاد سنتين وكان يوكل دورية على اهل البلد

Digitized by Birzeit University Library

واضافة الى عمله في التدريس كان يخطب احيانا في المسجد " ٣٦ .

ويقول السيد عبد السلام شاهين ، الذي بقوله نستطيع التوفيق والخلوص بنتيجة حول هذه المسألة :"نعم ، كانت مدرسة بالشكل الصحيح ، انفتحت قبل ما نطلع بسنة ، واجا استاذ يعلم الاولاد فيها ، كان دارس في الازهر ، وهو من رام الله (او البيرة فهما سيان) ، انا يمكن تعلمت فيها شهرين .. والحكومة هي اللي فتحت المدرسة ، وكانت هذه المدرسة مكونة من غرفتين ، اتأجرتها وفتحتها . لان اللي اجا يعلم اجا من رام الله ، واحد مش من أبو شوشة ، هذا عالم ازهري واجا يعلم الاولاد ، وتقريبا سنة زمان ، صارت الخربطة ورحلت الناس . وكانت المدرسة في الجهة الغربية ، وكانت الدار اللي اتأجرتها لواحد اسمه محمد حسين أبو العينين ، واتأجرتها الحكومة . ولان اول سنة بييجي هذا الشخص ، ما كانش في صفوف لا ثاني ولا ثالث ، فبدأ بداية ، اما الاولاد فكانوا متفاوتين في الاعمار ، يعني بقا ولد عمره عشر سنين وولد عمره سبعة .. وكان يعلمهم عربي ، وبده يبلش يعلم وما طالتش الشغلة وطلع ."

واذن ، فحل اللبس والاشكال ، ان الحكومة قامت بتعيين استاذ ، واستئجار غرفتين ، واشترك الاهالي بتغطية مصروفات المعلم ، الا ان المدرسة كبناية مستقلة خاصة لم توجد فعلا.

وعلى الرغم من وجود هذه "المدرسة"، الا ان الكتاب الذي يدرس فيه الشيخان سلامة واسماعيل بقي قائما ومستمرا في بث رسالته حتى النكبة :"ظل الكتاب موجودا حتى ٤٨ ، وطلعوا (الشيخان) للجأة - اصبحوا لاجئين - معنا." ٣٧ وكما يظهر ، فان الكتاب في أبو شوشة ، لعراقته ، وجذوره العميقة في الارض ، واكتساب المدرسين لاحترام الناس ، والعلاقة الطيبة مع الاهالي ، حافظ على استمراريته ، بوجود مدرسة بدون مبنى . بل ، ان الكتاب بقي يلعب دور المدرسة ؛ اذ اكتفى معظم الطلبة بتعلمهم في الكتاب ، ولم يذهب لاكمال الدراسة الا القليل من ذوي الوضع الاقتصادي الجيد ، فلم يكن بين اهالي أبو شوشة في الثلاثينيات والاربعينيات سوى الشيخين من حملة الشهادات العليا ، اما الطلبة الذين يرغبون في اتمام دراستهم بعد مرحلة الكتاب ، فكانوا يذهبون الى قرية القباب المجاورة حيث مدرستها ذات الاربعة صفوف ، او قرية النعاني الجارة الاخرى، حيث ضمت مدرستها ستة صفوف ، علاوة على مدارس الرملة ، حيث كان يدرس فيها الطالب خليل محمد سلامة الذي يبلغ من العمر (١٤) عاما، وقتل في النكبة .

لقد كان احد المتعلمين والمثقفين يزور الكتاب بشكل دوري ، فقد كان الشيخ رشيد ، من

قرية النعاني ، والمعلم في مدرستها الابتدائية ، يأتي لأبو شوشة كل شهر او شهرين " كان يرى الاولاد ، ونحل وراه مسائل ، وكان يثني على التدريس في القرية. " ٣٨ ولربما ان ذلك خلق وكون صورة طيبة ؛ فيذكر خميس أبو لبن ان "ناس من صيدون كانوا ييجوا يقرأوا عندنا للسمعة والصيت الطيب."

وبخصوص الأمية، فانها كانت منخفضة نسبيا في صفوف الذكور، الا انها مرتفعة - وهذا متوقع - في صفوف الاناث ، فلم يتناه الى سمعي سوى اسمين لامرأتين كانتا تتقنان القراءة والكتابة " في ثنتين كان أبوهن يشتغل في الرملة في دائرة الاشغال ، الاولى فهمية نمر بشير والثانية ربما اسمها كريمة مش ذاكر بالزبط ، وبتصور انهن وصلن صف ثالث او رابع." ٣٩ ومرد قلة النساء المتعلمات - في اعتقادي عاد الى نظام القيم السائد في طول البلاد وعرضها .

الثقافة:

على صعيد الثقافة العامة ، فقد عرف ابناء أبو شوشة عددا من الصحف مثل "الجامعة الاسلامية" ، وكان يحررها الشيخ سليمان أبو عمر الفاروقي، وصحيفة "فلسطين" بتحرير داود العيسى . وكانت الأخيرة تصل يوميا الى القرية من خلال العمال الذين يشتغلون في سلك الاشغال العامة وسكة الحديد وغيرها . وكانوا يشترون هذه الصحف من الرملة ، وبلغ ثمن الصحيفة الواحدة "تعريفة" ، وكان يتم وضعها في المضافة او "المقعد" ليطلع عليها الجميع وتقرأ على من لا يعرف القراءة.

اما الراديو ، فانه لم يدخل القرية الا في اواخر الثلاثينات مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث ادخلته الحكومة البريطانية ، كما في سائر قرى فلسطين ، بهدف بث دعايتها ، ولوقف تأثير الدعاية الالمانية الموجهة للعرب . وقد وضع الراديو في الديوان ، واقتصرت برامجه على نشرات اخبارية ليس غير يقرأها راجي صهيون وابراهيم السمان ، اذ قام الانجليز ، وبدهائهم ، بتوجيه الراديو بحيث "ما كانش يجيب كل المحطات ، كانوا موجهينه على محطة وحدة ، وكان البث من رام الله من الارسال" ٤٠.

لم يكن هنالك وجود لاي مؤسسة ارشاد او نشاط ثقافي في القرية ، بما في ذلك الندوات او المحاضرات ، واقتصر النشاط الثقافي على ذهاب بعض ابناء القرية الى المسارح في يافا،

Digitized by Birzeit University Library

وتحديدا قرب مقهى العجمي ، اذ كان يأتي الممثلون المصريون لتقديم عروضهم على المسرح ، وكان المهتمون بهذا ، يقومون بمتابعة اخبار الفرق المسرحية عبر الجرائد والصحف لمعرفة مواعيدها وامكنتها التي سيقام التمثيل عليها. ٤٣

وساد في القرى كبديل عن السينما ما كان يعرف "بصناديق العجب" ، حيث يحوي على صور متحركة ، وكان يقوم شخص بحمله ويغشى القرى ، فينكب الاطفال وبعض النساء وحتى الكبار على مشاهدته . اضافة الى ذلك ، كان هنالك شاعر يسمى "احمد الفار" ، يدعو اصحابه وجيرانه الى امسيات شعرية حيث يسمرون ويسهرون في سرور وتجل.

وكان هنالك اصدقاء لبعض ابناء القرية من المشهورين بالزجل والعتابا من القباب والرملة ،حيث كانوا يدعون بين حين وآخر بعد ان يكون الواحد قد جمع خلانه ، فيأتي ذلك الشخص ويقضوا وقتا ممتعا ٤٢ .

ولا يجوز ان ننسى دور خطيب الجمعة ، الذي كان يرتدي "الجبة" و "العمة" – اللباس التقليدي للشيخ – ويقف على المنبر ، ويبدأ خطبته التي كانت مركزة على الناحية الدينية والموضوعات الاخلاقية كالصدق والامانة والاخلاص في العمل ، والتقوى ومخافة الله والعطف على المساكين والصدقات ، ولم تكن الموضوعات السياسية، او التحريضية بارزة الا في عام ٣٦ ، وحين استشهاد ابني القرية اللذين اسلفنا الحديث عنهما بعد الحكم عليهما بالاعدام .

الصحة:

لم يكن في قرية أبو شوشة اي مركز صحي او عيادة طبية او طبيب ، وبالتالي ، فان الخدمات الصحية كانت معدومة على مستوى القرية ، وكان الاهالي يعتمدون على الطب الشعبي في علاج امراضهم الخفيفة ، وعند الاصابة بامراض خطيرة ، كانوا يتعالجون في العيادات الخاصة لاطباء مدينة الرملة المجاورة ، واذا احتاج الامر الى دخول مستشفى ، فيتم تحويلهم الى مستشفى العجمي في يافا ، ومنهم من كان يذهب الى عيادة دير اللطرون شبه المجانية كبديل عن الرملة ٤٣ .

أما الأمراض السائدة فكانت امراض العيون ، والسخونة (الملاريا) ، وغالبا ما كان يعاني منها اهل القرية صيفا ، وفي الشتاء كانت اوجاع البطن ، والظهر الناتجة عن لفحات الهواء.

ويذكر السيد عبد السلام شاهين مرض العيون هذا جيدا ، اذ وقع فريسة له ، وكانت احدى عينيه شاهدا على هذا المرض: "وانا انصبت فيه وراحت عيني في ال ٤٥ ، واكثر الناس صابهم المرض . والله هذا المرض ما بعرف هو تراخوما وللا اشي ثاني ، المهم في ناس طابت عيونهم ، وفي ناس خلص عينهم خربت بالمرة ، بعدين في معظم السنين كان ييجي حصبة توخذ اولاد البلد ."

كانت نسبة الوفيات عالية ، ومتركزة في الاطفال ، وذلك بفعل الحصبة او الحمى ، وبفعل محدودية الوعي الصحي ، فقد يصل الامر احيانا بالام ان "تحمم ابنها كل اربع اسابيع مرة" ، وفي تناوله لهذا الامر ، يعلل عبد السلام شاهين ذلك بقوله "كانت اتخن – اكبر – دار يجيبوا جرتين مي في اليوم الى ثلاث جرار ، يعني ربع برميل ، النسوان يطبخوا ويعجنوا ، ما كانتش وعاء كبير يحطوا فيه مية ، والمسافة بعيدة وطويلة . وهي بس الحرمة عليها تجيب مية ؟! بدها تخبز وتعجن وتطحن على المجرشة ، وتشتغل في الارض ."

ومثال حي على ضحالة التثقيف الصحي ،وما جره من ويلات ، تمثلت في موت الاطفال ، ما كان يفعله اهل القرية مع اولئك الذين ترتفع درجة حرارتهم ، اذ كان التصرف الشائع "اللي بتصيبه سخونة ، ييجوا الناس ويقولوا دفوه ، هو المريض بيكون حميان سخنان ، كمان بدفوه باواعي صوف ، يلفوا عليه ، وما يطلعش بره في الهواء."٤٤

Digitized by Birzeit University Library

وكتحصيل حاصل لانعدام الوعي الصحي – الذي ادى بدوره الى زيادة نسبة الوفيات بين الاطفال – ثقة اهالي القرية بالطب الشعبي ثقة مطلقة ، حيث نراهم يقارنون العلاج الشعبي بالطب ، حتى انهم يعتقدون انه بينما يقف الطب عاجزا احيانا ، فان الطب الشعبي يعالج تلك الحالات بنجاعة. يقول السيد عبد السلام شاهين "عم أبوي احمد ابراهيم شاهين ، كان يتعامل بالطب الشعبي ، وكانت حكمته ناجحة ، حتى في امراض الدكاترة عجزوا عنها وهو طيبها ، فمثلا في بيقولوا لها الحبة الغريبة ، او النار الفارسية ، او الكوباه ، كان هو يعالجها والناس كانوا يثقوا فيه ، ويطيبوا."

لقد كان الاطباء الشعبيون يتقاضون اجورا رمزية ، اذ جرت العادة ، ان يقوم الشخص المريض، والذي يتعافى من مرضه ويبرأ، بزيارة من طبيه حاملا هدية رمزية "وقية دخان او شلن او ثلاث قروش، حب قمح ، يعني لله ، مش فرض يودي له، بس هو لما يطيب، بدال ما طاب يزوره يجيب معاه، مش يقول له اعطيني. " ٤٥ فلا دخل للطبيب الشعبي فيما سيحضره المريض الذي ربما لا يحضر له شيئا .

علاوة على الطب الشعبي ، وكتجليات لضحالة التثقيف الصحي ، وجد التقرب الى الاولياء ، وتم ذلك بصور مختلفة ، يجمعها الاعتقاد السائد لدى الاهالي بأن التقرب الى الاولياء كفيل بشفاء وابراء المرضى فكانوا احيانا ، يأخذون بعض الاعشاب الجافة من مقام احد الاولياء (الجزري ، أبو شوشة..الخ) ويقومون بحرقها كي يستنشق المريض – وغالبا ما كان صبيا – "البخرة" – الرائحة ، وكان البعض الاخر يلجأ الى قبور الاولياء لاخذ بعض الحصى "صرار" ، وتقوم النسوة بصرها في قطعة قماش "شريطة" لتعلق بدورها في رقبة المريض – الصبي – وخصوصا اذا كان يعاني من الرشح والانفلونزا او غيره. ٤٦

ثم كان "النذر" ، فاذا برىء المريض ، تذهب النساء ، ووفاء بالنذر الذي تكون قد نذرته ، تنير قبور الاولياء بالزيت او الشمع ، شكرا وتقربا لله لابراء المريض ، واظهار روح الامتنان . وكان هذا شائعا في القرية . ثم نجد "الرقية" وهي قراءة القران على المريض ، وكان يقوم بهذه المهمة الشيخ سلامة احيانا. " ٤٧

احتل التداوي بالأعشاب مكانة خاصة كذلك ، وكان هذا النمط مناط التداول والاستهلاك الشعبي ، فمن البابونج، "والميرمية" – والتي لم تكن تنبت في اراضي القرية – ، الى "القرنية"

والتي كانت تجلب من عين عريك ، انتهاء "بالخلة" التي هي عبارة عن شجر له "عرنوس" دائري يشبه عش العصفور ، وكانوا يشربونه بعد غليه بالماء. ٤٨

ومن المفيد هنا ، التنويه الى ما يتناقله العوام حول الامراض التي كانت لا تصيب الرجال ، فكان من النادر ان يمرض الرجل الكبير ، خاصة بعد تعديه واجتيازه مرحلة الطفولة ، فلم يكونوا يمرضون حتى الموت، وتفسير ذلك وفقا لابي محمد السيد /عبد السلام شاهين/ "كان الناس يوكلوا هذه الاعشاب ، لانها يستسيغها البني ادم ، فكانت هذه هي الدواء ، وما كانش الواحد يمرض الا مرض الموت فقط."

وهذا الاعتقاد الناشيء عن جدوى هذه الاعشاب ، يقودنا للحديث عن طعام وشراب الفلاح في القرية: "الاكل اليومي للفلاح كان المتيسر ، في الصيف عندنا مقالي وكوسا، قرع ، لوبيا وباميا وبطيخ ، صبر ، تين وعنب . في الشتاء كان الواحد يخزن الكشك والبندورة ، لبن وجميد ، ثم كان الزيت ، اما الخبز فكان من القمح . وكان في البيض والحليب والعسل واحيانا لحم ."٤٩ وهذا اجمالا تنوع في الغذاء بحيث يمد الجسم بما يلزمه .

وفيما يتعلق بالنظافة العامة ، فقرية أبو شوشة ، ككل قرى فلسطين ، فمرافق قضاء الحاجة فيها غير متوفرة ، واكوام الزبل وروث الحيوانات تنتشر هنا وهناك . ولقد كنا تحدثنا عن الاطفال والاولاد الذين يقضون يومهم في الحقول ، او اللعب في الطرقات ، فهم لا يستحمون الا بضع مرات في الشهر ، وهذا بخلاف الرجال البالغين الذين يستحمون في الاسبوع مرة واحدة او مرتين ، اضافة الى "اغتسالهم" في الآبار : "كانوا يروحوا يتحمموا في البير البعيد ، اللي ما كانش الناس تملي منه مية ، واسمه بير الطياشة ، وفي كان اشي زي بركة صغيرة محفورة بالصخر بنسميها "هربة" ، كانت المية تظل فيها طول السنة ، وتقع من البلد وشرقا ، وهي مجمع للمية، مية الشتاء، فكان الناس يتحمموا فيها. "٥٠

ويسلط احمد صالح البلبيسي الضوء على هذا الموضوع بقوله : "كان الناس يعتبرون بير الطياشة هو المكان المناسب لنظافة الجسم يوميا في فصل الصيف ، لانه كانوا يروحوا من الحصيدة ، ويجوا على البير ، وهو مروح ، يقعد ربع ساعة ، يغسل وجهه ويرتب حاله حتى يبرد من التعب ، بعد ذلك ينزل يسبح في البير ، فكان هذا يعتبر بمثابة حمام يومي ، اما الحمام البيتي ، كان في الاسبوع مرة ، بسبب قلة المياه ، ما كانش موجودة الانابيب في البيوت .."

Digitized by Birzeit University Library

وقد اشتملت المضافة – التي هي بمثابة مسجد ايضا – على مكان للوضوء والطهارة ، يستخدمها على وجه التحديد الغرباء الذين يبيتون فيها ، اما اهالي البلدة فقد كانوا يتطهرون ويتوضأون في بيوتهم قبل الحضور الى الصلاة في المضافة. ٥١

ان الوصف التالي للراوي يوسف الحموي (٥٨) يعطي صورة شاملة لما كان عليه الوضع الصحي في قرية أبو شوشة خلال السنوات الاخيرة من الانتداب :

"ما كان في القرية طبيب ولا عيادة .ولما الشخص يمرض تقول عينيه اوجعوه وصار مش عارف يفتح ، او صار معه سخونة قوية ، كانوا يركبوه على ظهر الدابة ويذهبوا فيه الى الحكيم في الرملة . هناك في الرملة كانت دكتوره تمسح العينين بنت احمد حمادة وكان دكتور يدعى الجبجي وكانوا يوخذوا كشفية خمس قروش . واذا المريض بده اسبيطار (مستشفى) كانوا يوخذوه على اسبيطار العجمي في يافا . بعض الناس كانوا يروحوا على عيادة دير اللطرون لانه اقرب وارخص يدفعوا قرش واحد."

" اما اذا واحد انكسرت ايده او رجله ، فكان عنا في القرية مجبر اسمه رشيد بشير ، كان يلخ الطحين والبيض والصابون ويحطها على شاش من القماش ويلفه على محل الكسر بعد السحب والتعديل. "

" بعدين كثير ما بقى المريض يتعالج بالطب الشعبي ، فاللي عنده لفحة هوى كانوا يعملوا له كاسات هوى في ظهره ومرات يشطبو له ظهره ويوخذوا كاسات دم (الفصد) واللي كان عنده وجع عينين ، كانوا يقطروه من قطرة "رأس الاخت" وهي عبارة عن حجر يشترى من الدكان وينحت على فخارة لها خرزة ، بعدين يتخلط مع حليب امرأة جايبة بنت . وايضا كانوا يقطروه قطرة البريك من دوا زي قشر السمك ينجاب من الصيدلية من احمد حمادة في الرملة . اما اللي عنده سخونة فكان احيانا ينكوي بين اصابعه في سلك حديد او مسمار مسخن على النار بين الخنصر والبنصر ، والولد الصغير كان ينكوي في رأسه للنشقه ، وكان ينكبس بالنار تحت اللسان اذا بطل يرضع . برضه كان هناك مداواة بالاعشاب ، يجيبوا الطيون ويحطوه في القدر ويغلوه ويكمزوا المريض ويهبلوه. برضه بقا في جهل عند الناس ، فبعضهم كان يروح على قبر الشيخ مصطفى أبو الطبول ويحمل سبع صرارات ويضعهم على الشخص المريض بالسخونة ، ومنهم مين كان يروح على قبر الشيخ جريس المزروع عنده تينه ويدير هناك على رأسه كوب ميه لازالة السخونة ، والبعض خاصة النساء كانت تضوي سراج في مقام أبو شوشة ليلة الجمعة املا بازالة المرض عن المصاب . اما سحر وحجبة ما كان عندنا بالمرة."

بخصوص الولادات ، فكان في القرية دايتين * او قابلتين . وحده اسمها لطيفة ابراهيم أبو العينين والثانية اسمها يامنة حسن الكي هذا بالنسبة للقابلات القانونيات ، علما بأن عدة نساء في القرية كن يقمن بهذا العمل.

في ختان الاطفال (الطهور) : كان المقتدر ماديا يدعو معظم الاهالي ويذبح الذبائح ، وتقيم النساء حفلات الغناء . كان المطهر يأتي من الرملة ويأخذ اجره "شلن" وكان الطفل يلبس القلائد.

"ما اطهره يا مطهر تييجين عماته شق الذهب واللولو مقطب على جيباته"

وفي الختام ، لا بد من الاشارة الى ذلك الحلاق من اهل البلد : عبد المجيد عبد الرحمن شاهين ، والذي كان يقوم بدور طبيب الاسنان في القرية :"اللي طاحونته بتوجعه ، لا بنج ولا غير بنج وين الطاحونة اللي بتوجعك ، يحط هالكماشة عليها ويقلعها ، حيا الله كماشة المهم اللي تمسك هالسن."

العلاقات والعادات :

مع حل مشكلة الديوان ، التي كنا قد عالجناها في بداية هذا الفصل ، بدأت الحياة بالعودة الى مجاريها ؛ فحدة التنافس السلبي اخذت بالاختفاء ، واخذ افراد الحمولتين يتفاعلون ايجابيا بعضهم مع بعض ، يمارسون حياة اجتماعية ، سادتها في الاربعينيات روح التعاون والتكاتف : فحفلة الزواج تجمع كل ابناء البلد ، وكذا الحال مع عقد البيت، ووقت الحصاد تكثر فزعات "العونة" ، وعند نضج المحاصيل الصيفية ، يوزع الفائض على المحتاجين وغير الفلاحين ، وفي حالة الوفاة ، تتناول حمولة المتوفى طعامها في ديوان الحمولة الاخرى ، وتتوقف الافراح مدة تزيد عن اربعين يوما شعورا مع اهل الفقيد.

وبهذا الصدد ، فان ابناء القرية يذكرون ان اكبر جنازتين في البلد كانتا : جنازة محمود

---

* الداية: كلمة اصلها تركي.

Digitized by Birzeit University Library

الزغموري ، وجنازة عزت الحموي . والسبب في كونهما اكبر جنازتين، هو روح الترابط السائدة ، تكتل القرية ، وشعور ابنائها تجاه بعضهم بعضا.

اما جنازة احمد الزغموري ، فنترك للراوي احمد صالح البلبيسي روايتها كونه شاهد عيان :"كان شابا في سن الثلاثينات ، وكان هو عمود البيت عندهم ، وبكلمات اخرى : كان الشخص الفالح ، كان هذا الشخص يملك بندقية ، نائم على الجرن - البيادر - يحرس ، وهو نائم ، وحاطط البندقية على جنبه ، وكانت معبأة ، وبطريقة ما طلعت طلقة من بندقيته فقتل على الفور ، فعز على الناس هذا الشخص لانه عمود العيلة ، ولانه في سن الشباب ، وأبوه يعتبر من الوجهاء في القرية ، فكانت جنازته الاكبر ، مع حضور ناس من خارج القرية تعاطفا معه" .

وفي رواية شريفة الزغموري تقول :"وهم نايمين على الجرن ، ما ظرب البارودة في الارض ، وبدل ما يظرب البوز ، من عميان قلبه ظرب الكعب ، والبارودة فيها حبة ، تطلع الحبة من تحت بزه ، وروحو لنا اياه ميت ، خلف وراه بنتين وولدين ، يعني عمهم اللي تقوم فيهم ..".

اما الشخص الثاني فهو عزات الحو الذي اعدم - كما يقول اهل القرية - بغير حق، بسبب خلاف شخصي ، حول قصة زواج "اعدم هذا الشخص ، فكان له اثر كبير في النفوس ، وكانت جنازته مهيبة . "

عرف عن اهل أبو شوشة الكرم ، وحسن الضيافة ، فكان اكرام واحترام الضيف الغريب واجبا ، وفي هذا المجال حدثنا الراوي ابراهيم محمود فقال :"حالة قدوم غريب للتجارة او لغرض ما ، وفرضا تأخر في البلد لساعات المغرب ، عندها ينام في البلد وما يروح ، فاخر من يكونوا معه يضغطوا عليه ويجبروه على البقاء ويذهبوا واياه الى الديوان ، وفورا يقوم ناطور الديوان باعداد الواجب من قهوة وتهيئة فراش ، وبعد ساعات يأتي الطعام من دار واحدة او اكثر حسب عدد الحضور . وفي حالة اجا ضيف معروف على شخص معين ، يقوم هذا الشخص بمصاحبة الضيف الى الديوان وتهيئة الفراش واعداد القهوة والشاي وتزبيط نار الكانون اذا الطقس شتاء ، ويتجمع الناس خاصة المقربين في الديوان وبعدين يؤتى بالطعام وغالبا ما يكون مناسف ويأكل جميع الموجودين ، وبعد الاكل يتنافس الحضور على عمل الوليمة الثانية للضيف . ٥٢

الزواج:

كان العرس ، احلى مناسبة في الوسط الشعبي واكثرها بهجة. ولم تختلف عادات الزواج في أبو شوشة كما هو متعارف عليه ، عن اي زواج ريفي فلسطيني ؛ فكان يبدأ بالطلبة غير المعلنة عن طريق واسطة لجس النبض ، فاذا كانت البنت محجوزة لاحد اقاربها ، يأتي جواب الواسطة سلبيا ، واذا كانت غير محجوزة وتمت موافقة اولية من ولي الامر ، يأتي الجواب بالتقدم بطلب العروس رسميا من اهلها . هنا ، تذهب مجموعة مصغرة على دار العروس لطلب يدها من ابيها او ولي امرها ، وعادة يكون الجواب الاولي باعطائهم يومين او ثلاثة كفترة للوقوف على رأي الاقارب ، وبعدها على الارجح ، كان يأتي الرد لولي امر العريس بالموافقة . عندها تبدأ مرحلة اخرى وهي مرحلة الخطبة وفيها تأتي جاهة تتكلم باسم العريس :

"يا أبو فلان ، انا باسم هذه الجاهة بطلب بنتكم فلانة الى فلان على سنة الله ورسوله ، واحنا دافعين (٣٠٠) جنيه ، واملنا فيكم كبير ان تعطونا .أبو العروس او احد الوجهاء يجيب : الله يحييكم واهلا وسهلا ومبروكة عليكم . الحضور هنا يتدخل ويبدأ بتخفيف المهر المعلن : لله والرسول (١٠٠) جنيه ، للجاهة (٥٠) جنيه ، ولأبو فلان كذا جنيه، وهكذا حتى يصل الى المبلغ المتفق عليه ، والمعتاد هو (٩٠ - ١١٠) جنيه وتقرأ سورة الفاتحة على العطاء الحاصل . "٥٣ وطبيعي ان يكون هذا بشرب القهوة والتي تكون امارة ودليلا على قبول طلب الجاهة بالموافقة على الزواج.

بعدها يكتب عقد الزواج ، وكان يقوم بكتابته ابن البلد الشيخ سلامة * ، وفي الجلسة نفسها يعلن عن موعد العرس اذا كان قريبا ، وتبدأ مرحلة جديدة تتمثل بشراء ملابس العروس "وهدم العم والخال " وما شابه، وكانت تشترى من مدينة الرملة وبحضور اقارب العروسي، وفي الليل، تبدأ سهرة العرس من دبكة وسامر وتستمر الاحتفالات احيانا حتى عشر ليال. وذلك يعتمد بالدرجة الأولى على المقدرة الاقتصادية للعريس واهله؛ اذ أن السامر يكون على الغالب في الليل، ويرافق حداءهم شرب القهوة والشاي .

---

* كان الشيخ سلامة مأذون قرية أبو شوشة والقرى المجاورة ، صيدون ، القباب ، النعاني ، البرية ، وعمواس . وكان هذا الشيخ موظفا حكوميا ، وكان يتقاضى معاشا من الحكومة ، اضافة الى ما يصدرعن طيب خاطر من اهل العريس كاكرامية "وكحلون".

Digitized by Birzeit University Library

من اغاني السحجة والسامر كان يقال:

يا حلو يا من عرفنا فراحكم جينـــا تنزهزه القلب ونروح لاهليـــــــنا
يا مرحبابك يا مين دلك ومين جابك يا مرحبا بالطريق اللي عرفتنا بـــك
يا مرحبا بك على قهوة وكيفيـــــة يا مرحبا بك على كيس المحلـــــية
يا مرحبا بك على ما تشتهي وتريـد بتريد غزلان والا من ضحايا العـيد
يا حلو لولا المحبة والرفق غالـــي ما جيت اسليك بيتي عالطرف خالـي
ما قلت لك يا هدب عيني ويا رمشي واللي يحبك يجيك عالقدم يمـــشي

ومن اغاني الدبكة:

اول ما نبدي نذكر محمـــد كل الخلايق عليه تتعمد
واللي ما يصلي على محمد عنار جهنم يسرجلونـــا

اول ما نبدي نذكر نبينـــا يوم القيامة يشفع فينا
واللي ما يصلي على نبينا عنار جهنم يسرجلونا

ظبي شليشك عن حاجب عينك الصخرة والحرم والخضر يعينك
ذهب عشملي عحاجب عيـــنك يرد الشمس عن العيونـــــا

وفي الليلة الاخيرة قبل يوم الزفة ، تتحنى العروسة وكذلك العريس ، ومما كانت تقوله النساء في حنى العروس، والتي يبرز فيها الايقاع المصري :

حناك امرتب يا عروسة قومي تنحطب يا عروسة
يم عين وعين يا عروسة ما شظاك البين في بـيك

يم الخناقة يا عروســـة لارهن الناقة وفكـــك
يا ابريق الزيت يا عروسة تطلع من البيت يا خسارة

يم شعر اشقر يا عروسة حله واتفكر يا عريس
يا حبيبتي يا عروســة في عيني انت لحطك

وفي نفس الليلة نفسها ايضا ، تذبح الذبائح ، وغالبا ما كان عددها بين (٧ - ١٠) ذبائح وتجهز للولائم صباحا.

تبدأ زفة العريس بعد الظهر ، ويكون العريس على ظهر فرس ، لابسا قمبازا وجاكيتا وحطة وعقالا ، ومن حوله النساء المغنيات ، ويتقدمهن موكب الرجال من البلد والمدعوين من الخارج.

ومما كانت تقوله النساء في زفة العريس ما يلي:

عدوا المهرة وشدوا عليـــها واندهوا للعريس يركب عليها
واندهوا لاولاد عمه بيجوله بالبـــارود الزين كن ظربلوه

عدوا المهرة وشدوا اللجـــام واندهوا للعريس يركب قوام
واندهوا لاولاد عمه بيجولـه بالبارود الزين كن ظربولـــه
عدوا المهرة وهاتوا البارود وزفولي العريس في باب العامود

قلي وين ازفك يا حلو يا زين في الصخرة الشريفة وبين الحرمين
قلي وين ازفك يا حلو يا مدلل في الصخرة الشريفة والشعر مـبلل

مرك العريس من الحارة مـــرك رقبته شبرين هيذ الله خلـــق
مرك يا (محمد) من الحارة عريس رقبته شبرين من فوق القميص

رشوا عالعريس ميه من البريق يا زفة العريس بعد العصر بتليق
رشوا عالعريس ميه مواردية يا زفة العريس بعد العصر غيه

Digitized by Birzeit University Library

وبعد الانتهاء ، يأتي العريس الى الديوان ، ويتجمع الجميع هناك لتناول الطعام الذي غالبا ما يكون "مفتول" أو "جريشه"، وكان الطعام احيانا يصل معظم بيوت القرية في اوعية خاصة ، ترجع -عادة- مليئة بالطحين او القمح كمساعدة للعريس . بعدها ، ومع ساعات الغروب ، تذهب النساء يتقدمهن مجموعة صغيرة من اهل العريس الى بيت العروس ، ويقوم والد العروس واقاربها الذين اخذوا الهدم بتنقيطها ومساعدتها في امتطاء ظهر فرس مجهزة ، ومن ثم الى بيت العريس ، وخلال سهرة غير طويلة ، تقوم النساء بتنقيط العروس وغالبا ما كانت قيمة النقوط بين شلن الى جنيه .

اللباس الشعبي

كان كبير السن في أبو شوشة يلبس القمباز (رداء طويل مفتوح من الامام) لونه في الغالب "بيج" ومن نوع روزا ، وفوقه يلبس جاكيت صوف وتحته سروال ، وعلى الرأس يلبس طربوشا قصيرا احمر / وعقالا مع غبنية (قماش خفيف لون بيج) ملفوفة عليه . اما الشاب فكان يلبس القمباز ويضع على رأسه حطة وعقالا ، واثناء العمل -غالبا- ما كان يلبس الشباب سروالا من قماش ثقيل بدون قمباز.

وعلى صعيد زي النساء ، كانت المرأة في أبو شوشة تلبس الثوب الطويل المطرز وهو على انواع:

الاول: ويطلق عليه اسم "المندوب" ، وهو من قماش اسود اللون مطرز بحرير أحمر في جميع انحائه ، ومزين على رأس الكتفين بقطعتين من القماش او الحرير الهرمزي وبدون تطريز وكذلك في وسطه الامامي بين التطريز توضع قطعة مخمل غالبا ما تكون بلون ازرق.

الثاني: يطلق عليه "نصف مندوب" وهو بمواصفات النوع الاول لكن تطريزه يغطي حوالي ٥٠ ٪ من القماش.

الثالث: يطلق عليه ثوب محمد السامي وهو من قماش اسود يطرز بالوان مختلفة من الحرير (تشكيلة حرير في الثوب الواحد).

الرابع: وهو الثوب العادي الذي يحوي القليل من التطريز ، فقط اماكن وصل قطع الثوب مع بعضها .

أما غطاء رأس المرأة فكان خرقة بلون ابيض تغطي الظهر واليدين.

قضاء وقت الفراغ:

ومن باب قضاء وقت الفراغ اعتاد كبار السن التواجد في الديوان ، حيث لم يكن في القرية مقهى او اي مكان عام اخر . وللتسلية ليلا ، كانوا يقومون بعدة العاب منها لعبة الخويتمة (الفناجين والخاتم) ولعبة السيجة ولعبة الطاب (اربعة عيدان ترمى ، ونتيجة الرمية تتحدد حركة معينة على السيجة) ، وكثيرا ما كان كبار السن يلعبون السيجة اثناء النهار خارج الديوان على "المقاعد" الحجرية او على جانب جدران البيوت ٥٤ او التدخين خاصة بوجود "الارجيلة" التي كان يتم شراؤها من الرملة . ولدى سؤالنا حول اولئك تلقينا الجواب : " نعم في ناس عندهم ارجيلة وبأرجلوا ، مثلا الحاج نمر واحمد الحاج ،ويمكن عند رفعت أبو العينين كان ارجيلة . "٥٥

اما الشباب ، وفي فصل الصيف ، حيث يكون موسم الحصاد والدراس وغيره . فكان الشباب والرجال في اغلبهم يتواجدون على النوادر "الجرن" ، لحراسة المحصول ، علاوة على الجو الحار الذي يتطلب من الشباب الخروج لاستنشاق الهواء الطلق . وهناك ، كانت تتم رواية القصص ،والغناء " كان الشباب يتجمعوا على النوادر، على الجرن، ويسامروا ، ويصيروا يتحدثوا القصص ، ويصير واحد يغني ، ويغنوا هم بدورهم وراه " وكانت السباحة وركوب الخيل ايضا انماطا شائعة لقضاء اوقات الفراغ خاصة للشباب في القرية. ٥٦

ولا يجب ان ننسى الجلسات الجماعية في البيوت ، حيث يتجمع الجيران او الاقارب للسمر في ايام الصيف ، والشتاء . حيث، يكون الجميع متحلقين حول الكانون ، وكان الشاي والقهوة ، مما يتم تقديمه في مثل هذه السهرات .

وللاطفال العابهم الخاصة ، وهي بالمجمل لا تختلف عما ساد القرى الاخرى ، فكان اطفال أبو شوشة يلعبون لعبة تسمى "الكورة" :"عبارة عن طاسة بدقوها في مسمار بعصا ، وبيعملوا طابة من "الشرايط" وقاعدة اللعبة ضرب الكورة من القماش بالطاسة والعصا حتى ايصال الكورة الى جورة

Digitized by Birzeit University Library

"حفرة في الارض" ، وكانوا يلعبون اضافة لذلك "الغماية" ، و "السبع احجار" والسيجة وغيرها ." ٥٧

المناسبات الدينية :

لعب الحج وموسمه دورا حيويا في قرية أبو شوشة ، فاواصر الاخوة تشتد ،والعلاقات الاجتماعية تتوثق ، فالمشقة ، وطول المدة التي يقضيها الحاج التي تستمر (٣-٤) اشهر جعلت من الحج سفرا لا يخلو من الخطر، زد على ذلك، ما كان يتناقله أبناء القرية " المشي أثوب للحاج." ٥٨

تبدأ مراسم الحج، بعزم الشخص ونيته، فيعلن بطريقة ما، ويعم الخبر القرية بأن فلانا سيحج هذا العام . فيبدأ الوداع قبل ان يشد الرحال باسبوعين تقريبا . وهؤلاء المودعون لم يكونوا ليتسامروا كالعادة ، اذ كان الجو العام ، واستشعار الموقف الجليل يلقي بظلاله ، وكان تذكر الوقوف امام قبر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كافيا لاملاء مادة الحديث ، وتحديد مراسم الوداع " كان المودعون يخلوا الحاج يستشعر انه صار في "الحظرة النبوية" ، ولكي يشجع غيره ، فكان الحاج يزف زي "زفة" العريس " فكان يتهيأ الحاج نفسيا ، ويتم شحنه بالمذخور الروحي خوف ان تفتر همته ، وكانت - مراسم الوداع - تحقق امرا اخر ، فيتشجع غيره للحج "لما اسمع هالشي هذا ، بقول انا معك بدون ما اكون ناوي الحج ." ٥٩

كانت مادة الوداع والترانيم هي المدائح النبوية ، التي كان الجميع يحفظها ، وكانت تؤدي بشكل جماعي :"بس بقا واحد بينهم اللي يمدح ، والبقية يردوا وراه ، مفش واحد متعلم ويلا غير متعلم ، الكل بقوا حافظينها ، زي "دلعونا" اللي بيغنوها ، الجميع بقا يحفظ المدائح النبوية ."٦٠

كانت الوفود تتوالى على بيت الشخص المعني ، من اقربائه واهل بلده ، وكذلك يتوافد اليه اصدقاؤه من القرى والمدن المجاورة ليشدوا عزيمته وهمته ، وكان يتم اكرامهم والقيام على ضيافتهم بتقديم القهوة والشاي ، وكان يتولى اطعام وتوفير المبيت لاصدقائه من خارج قريته .

تصل المراسم الذروة، وتتغير، قبل موعد انطلاقه للحج بيوم او بيومين " مثلا بكره بدو الشخص يسري او بعد بكرة ، كان الناس يروحوا ينقطوه ، واشي يقول له خذلك هالحطة زورها قبر النبي ورجعها الي ،واشي يوصيه علىمسبحة ، او على مصلية . وكان الجميع يطلبون منه الدعوة لهم ."٦١

تراوح النقوط بين شلن الى (١٠) دنانير ، شيء رمزي لعائلته وله كي يكون مرتاحا مطمئنا اكثر تجاه اسرته وتجاه مصاريفه ٦٢ .

أما حول الطريق الذي يسلكه الحاج إلى مكة، فانه كان يتوجه من بلده الى القدس، فيصلي فيها ، ويدعو الله له بالتوفيق والسلامة والثواب والاخلاص . وكان الاقربون له من افراد عائلته واقربائه واصدقائه يرافقونه الى القدس، ويؤدون الصلاة هناك بمعيته، ثم يتوجهون الى راس العامود ، وهناك يودعونه معانقة وتقبيلا : مع السلامة ، في امان الله، حج مبرور ومقبول ان شاء الله ، طريق ميسره . ٦٣

وهنالك طريق اخر، اذ ينطلق الحاج الى الرملة ليذهب الى مصر بالسيارة او القطار - وهو الاغلب - وكانت وجهتهم مصر - بور سعيد ، ومنها يركبون البحر الى جدة، ومنها الجمال الى مكة ٦٤ .

يغيب الحاج (٣ - ٤) اشهر، يذكر احمد صالح البلبيسي ان جده استغرقته رحلة الحج ذهابا وايابا مدة ثلاثة اشهر . ويكون الاهل والقرية بانتظاره على "احر من الجمر" ، وحيث لا يوجد راديو ولا اي جهاز اعلامي، وانما كان هنالك اشارات كوسيلة الاعلام عن قدوم الحجيج. يقول عبد السلام شاهين :"كان في اشارات، زي اشارات غياب الشمس، زمان ما كانش في ساعات ، مثلا وذن المغرب في عمان، اللي من عمان وجاي يظوي مشعل او نار، يولع نار، على اساس يفهموا انه في هذا البلد وذن منشان يوذنوا، والثانيين يسووا نفس الاشي الى ان يتم الوذان قرب البحر وكان وقت الحج نفس الشي كمان ، فكانوا بهذا يعرفوا ان الحجيج اجوا ، فكان الناس يطلعوا ويصلوا القدس ويستقبلوه ، ويرجعوا كمان طبعا "بزفة" كبيرة للبلد . "

وفي حالة عودة الحاج عن طريق يافا / الرملة ، وعلاوة على تلك الاشارات المتواضعة والمتلائمة حسب الامكانيات ، كان الاشخاص المقربون من الحاج ، يقومون بالتوجه الى ميناء يافا ، يمكثون هناك يومين او ثلاثة منتظرين . ويكون الحاج وبالضرورة ، محملا بالهدايا كي يقوم "برد المعروف" خاصة لاولئك الذين "نقطوه" . ومع كثرة الهدايا التي يجلبها معه ، فانه احيانا كان يتوجه الى الرملة لشراء بعض الهدايا "كان الحاج ينزل على مدينة الرملة او يافا يشتري كيسين فستق وملبس اللي لما يروح يوزع على جميع القرية تقريبا . " ٦٥

Digitized by Birzeit University Library

وفي هذه الاثناء كانت اسرة الحاج ، وبمساعدة الاقارب والاصدقاء تقوم بتزيين البيت ، فما ان يصل الحاج "المزفوف كالعريس" الى القرية حتى تبدأ عملية ذبح الذبائح ، الكل متسابق على نيل شرف استقبال الحاج وتناول طعام الغداء بمعيته . ويبدأ المهنئون يهلون عليه مقبلين مسلمين معانقين ، وتنهال عشرات الاسئلة والاستفسارات ، فيبدأ بقص رحلته عليهم ، وما واجهه من احداث ونوادر ، ويصف لهم المواقع والمشاهد والجميع منصتون ، ولا يمل الحاج من تكرار رحلته مرارا كلما وصل شخص جديد للبيت مهنئا .

كان الحاج يقدم الهدايا التي احضرها معه للمهنئين ، وكان من ضمن الهدايا المسابح، و "المصليات" و "السجاجيد" للزينة لتعلق في صدر البيوت ، اما الاطفال ، فكان يحضر لهم بجعبته العقود والحلقان والمناديل للبنات ، علاوة على الاساور . اما للاولاد فكان يعطيهم الحطات المقصبات ، يسمونها "غبانة" . وكما كان يحضر معه ماء زمزم ليرتشف المهنئون منه ." ٦٦

ان من كان يجلس مع الحاج ، ويأخذ نصيبه من "مسبحة" او "طاقية" ، ويشرب ماء زمزم ، كان يكون "طاير من الفرح" فلان شرب مية زمزم ، فلان لابس حطة زارت قبر النبي.

كان الحج يضفي على الشخص وزنا اجتماعيا ، فيلقب اولا "بالحاج" ، ويحاول الحاج الترفع عن سفاسف الامور ، واحيانا اطلاق اللحية. ويكثر على السنتهم حمدالله واستغفاره.

شهر رمضان والعيد:

بالنسبة لشهر رمضان والصيام ، فان تحديد وقت ذلك كله يتم بطريقة مشابهة لطريقة الاعلان عن بدء توافد الحجيج ، ولكن المميز في موضوع اعلان الصوم ، ان اشارة البدء يجب ان تخرج من تلك المنطقة التي لها الحق في مثل هذا الاعلان . فيكون على محيط هذه المنطقة منارات على الاتجاهات الاربع.

قبل حلول شهر الصيام بعدة ايام كانت تبدأ التحضيرات، يتذكر السيد أحمد صالح البلبيسي عادات الناس وسلوكهم : "كان الناس ينزلوا على مدينة الرملة يشتروا الحاجات المناسبة

لرمضان ، وعلى رأسها "القمر دين" ،وكانوا يشتروا الجبنة والارز والحلويات على اساس يحضروا للحلويات ."

"وقبل يوم رمضان، وبعد صلاة المغرب، يصعد المؤذن ويكبر، وبعد العشاء، كان نفس الشيخ : الشيخ اسماعيل سالم، يلف بالطبلة في البلد، وهو يعلن عن قدوم رمضان بلحن وغناء جميل وصوت عذب وكان الاطفال يمشوا معاه ويدوروا حول القرية وفي ازقتها وشوارعها . وفي السحور ، كان الشيخ اسماعيل نفسه يقوم بمهمة التسحير على الطبلة ، مقابل اجرة او هبة في نهاية الشهر ، وكان جملة من الاولاد يتبعونه في السحور بين البيوت وفي الطرقات وهم مبسوطين ."

ابناء القرية كانوا يصومون ، وذلك علاوة على البعد العقائدي ، الا ان العرف السائد كان يقضي بذلك: "عيب الواحد يفطر في رمضان" . حتى الاولاد الصغار ، كانوا يؤدون فريضة الصوم ، فعبد السلام شاهين يذكر ذلك ، وانه تلقى تشجيعا حارا من الاهل والاقارب . ولم يكن ليخطر ببال احد المجاهرة بالافطار "لانه كان الروح الدينية متمسكة في الناس ، فكان الناس كلهم يعني ما يصدقوا الا ويجي رمضان حتى لو اجا رمضان في شهر (٧) او (٨) ، وهو موسم قطف الذرة ، فكانوا يذهبوا ويقطعوا وهم صائمون ، فما حد يجرؤ ويفطر." ٦٨

وكان الناس يؤدون صلاة التراويح في المضافة او ساحة أبو شوشة ، حيث يبقى بعض الرجال في المضافة ، منشغلين بقراءة القرآن ، والتسبيح والاستغفار حتى السحور ، ومن ثم يغادرون الى بيوتهم ليستريحوا .

وفي حالة قدوم ضيف للقرية ، فانه يستقبل في المضافة ، وعندما يحين اذان المغرب ، كان الرجال يتوافدون وكل طعام فطوره معه الى المضافة ، كي يتناولوا طعام الافطار بمعية الضيف ، وكان يجتمع ما لا يقل عن عشرين شخصا بعشرين نوعا وصنفا من الطعام . وكإكرام للضيف ولرمضان ، كان الواحد يدعو الضيف ليأكل من صحنه وذلك لنيل اجر افطاره .

وفي اواخر رمضان ، يمكث الناس في المضافة ويقومون بالغناء الديني توديعا "وتوحيشا" لرمضان ، وتصل الاحتفالات والفرح الذروة بحلول العيد . وطبقا لما ادلى به السيد عبد السلام ، فان العيد كانت له هيبته وقدسيته .

Digitized by Birzeit University Library

يرتدي الاولاد والبنات ملابسهم الجديدة التي كان يتم شراؤها من الرملة ، علاوة على الاحذية الجديدة ، منذ الصباح ، اما الرجال فيتوجهون الى المضافة لاداء صلاة العيد . وكان كل شخص يحمل هدية للمضافة ، وهي في الغالب قهوة او شاي او سكر.

بعد اداء الصلاة ، يخرج الرجال والاولاد وبعض النساء الى المقبرة للزيارة ، وفي عيد الاضحى خصوصا ، يعودون لذبح ذبائحهم ، وكان -تقريبا- كل بيت يضحي . وكان في القرية شخصان يقومان بعمليات ذبح الذبائح ، وهما الحاج نمر عليا ،وحسن حبيب أبو محمد . وكانا يقومان "بالذبح" بدون مقابل . ٦٩

بعد ذلك تبدأ الزيارات ، فكل واحد يزور رحمه ، ويصل أقرباءه ، وفي هذه الاثناء ينال الاطفال والصبيان قسطا كبيرا من الطيبات فيما يسمى "العيدية" سواء من الاسرة او الاقرباء ، وكانت هذه "العيدية" بمعدل خمسة قروش . حيث الفرحة تعم الجميع، وكانوا يتناولون الحلويات في كل بيت.

ولا يفوتني أن اذكر ان ابناء القرية كانوا يكثفون زياراتهم على "الفاقدين" والمقصود باولئك :"واحد متوفي اله ابن او اخ او اي واحد قريب ، فكان اهل القرية يوم العيد يزوروه على اساس يوخذوا بخاطره ويشدوا من ازره ، هذه كانت ظاهرة جيدة عند اهل القرية".

سادت في قرية أبو شوشة عادة تسمى "عويشيرة" ، وهي ليلة العاشر من شوّال وفحواها اعتقاد الناس بأن "ملكا" في هذه الليلة، يسعسع ويفتش القدور حول افضل "اكلة وطبخة" فكان الناس يتسابقون في طبخ الافضل والاحسن ، فتجد "اللحمة" في كل بيت في تلك الليلة ، او "المنسف" وغيره. ٦٧

زيارة المقامات :

اعتاد أهل أبو شوشة على ان يقوموا بزيارة مقام النبي صالح * في مدينة الرملة في يوم الجمعة الاخير من شهر نيسان كل عام . وهناك يلتقون مع اهل القرى والمدن المجاورة وتتم حلقات التعارف والاكل الجماعي والغناء والمديح . كان يذهب البعض الى النبي موسى بالقرب من اريحا في موعد يسبق زيارة النبي صالح باسبوع . وكذلك اعتادوا زيارة مقام النبي روبين على البحر جنوب يافا طيلة شهر اب من كل عام حيث كانوا ينصبون الخيام ويحملون ما يمكن المتاجرة به من ناتج حيواني او يدوي ، حيث يكون هناك سوق تجاري كبير معزز بمهرجانات ادبية وغنائية .

المرأة:

ما هي الصورة التي تعين لنا وضع المرأة ومكانتها وهامش تحركاتها في أبو شوشة؟ هل كانت تعيش في الظلال ؟ هل "الحرمة عبارة عن عبدة وامة وجارية تؤمر فتنفذ" ام انها كانت "مكتفة الزلمة ، تشتغل زيها زيه ، يعني وزارة داخلية كانت " ؟ ام يمكن الجمع بين هاتين الصورتين ، مع انني قصدت ايراد الاقتباسين من فم شخص واحد وهو السيد عبد السلام شاهين .

لقد كان على الزوجة او الاخت او الابنة ان "تروح على الفلاحة من الصبح ، يسرحن، تصحى الصبح ، تزبل ، وتخبز في الدار، وتكنس ، وتسوي كل اشي ، وتروح مع جوزها والاولاد . الاولاد يروحوا مع الغنم والبقر يرعوا ، والرجال والنسوان كانوا يحصدوا ويقلعوا ." ٧٠ ويمثل هذا جزءا يسيرا من النشاط اليومي الذي تقوم به المرأة، ولكن على صعيد العمل ومشاركة الرجل مسؤولياته كان عليها عملية العناية بالمقاثي ، وجني الثمار ، وقطف الزيتون في موسمه ، وتعشيب الارض ، ونقل "الزبل" واطعام المواشي.

وينتهي عمل الرجل الفلاح عند الظهر ، فتعود المرأة ادراجها الى البيت معه لا للقيلولة

---

* النبي صالح والنبي موسى: هو الموسم الاسلامي السنوي ، حيث كان لشباب مدن القدس والخليل والرملة ويافا دور ووجود مهمان في هذا الموسم . وكان هذا الموسم يصادف عادة موسم عيد الفصح .

Digitized by Birzeit University Library

وانما لأداء واجبها الاسري ، فلا بد من تحضير الطعام ، "وتزبيل" الطابون مرة اخرى ، والعجين لتخبز للمرة الثانية ، ثم إنها ستجلب الماء من بئر البلد ... ، وبكلمات : المرأة عليها ان تغطي صعيدين : الارض ، والبيت.

وبسبب الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ، وحاجتها الى التجنيد الاجباري ، فقد فرغت البلد او كادت من الرجال، فكان على النساء والاطفال بذل الجهود المضاعفة لابقاء الارض خضراء حلوة تغل.

والمرأة في أبو شوشة ، "تغرق حتى الشوشة" في أعمال غير تلك التي ذكرناها . فان عليها مهمة صناعة الطوابين ، وكوانين النار والتدفئة ، والمواقد ، واحتطاب الحطب "والنتش" ، والقيام بعملية "طراشة للبيت" واعادة ترميمه وصيانته خاصة قبل حلول فصل الشتاء.

لقد كانت زوجة والد نزهة عيسى سليمان ، وامها ، رشيدة حماد هما الرأس المدبر والمهندس الاول في بناء الطوابين وعمل "البلة" ؛ اذ كانت المادة التي يصنع منها الطابون التبن الناتج من عملية التذرية لفصل الحنطة عما يعلق بها من عيدان صغيرة وغيرها ، علاوة على القصول ، فتخلط هذه مع تربة تعرفها النساء جيدا ، كن يحضرنها من ناحية القباب " نبحش منها ونجيب على روسنا ،وهي تراب بنقول له المبيضة ، والتي لها عرق . "٧١ كانت النساء تعجن وتخلط هذه المواد الثلاث : التبن والقصول وهذه التربة وتصنع منها الطابون، وكانون النار، والمواقد.

أما البلة ، فانها مختلفة بعض الشيء ، ولنترك السيدة نزهة عيسى سليمان تقص علينا تفاصيل هذه العملية :"يوم نسوي البلة للدور ، نبنيهن من خشب ونتش ونحط فوقهن طينة ، بقين النسوان يتجمعن لما بقينا بدنا نبيض الدور "البلة" ، وهذا غالبا قبل الشتاء خوف ما تندف الدور" وعملية البناء تقوم على توزيع الادوار "اشي يجبل ، واشي يناقل ، واشي يبقا يدير على الخشب والنتش على السقف ."

لم تكن هذه اللحظات لتخلو من الحرارة ، والامتنان ، والتكاتف والعمل الجماعي الرائع، اذ يعملون كعائلة متكتلة تشدها اواصر المحبة والتعاون . وكتعبير عن روح الامتنان من قبل المرأة التي يكون العمل في بيتها على اشده ، كانت تتم عملية الضيافة والاكل الجماعي الفاخر: " عدس مجروش ، بقينا نجرش في كل سنة الوحدة كيس ، نظل نطبخ منه ، ويوم نسوي بلة ، يبقا الزلام يناقلوا على الحمير ، والنسوان على الحيط يجبلن ويناقلن ويحطن على النتش ، يسوولهم طبخة عدس ، ها يهم

بدهم يتغدوا، بقا عنا كروم وقطين ، يوخذوا شوية بصل وقطين للي على البير يناقلوا ، هذا فطور ، ولما نخلص تبقى وحدة طابخة عدس وفاته مع بصل وخبز وزيتون ، بقا يجينا زتون من البلاد ، احنا ما حذاناش ، فش في بلدنا غير خمس ست زتونات روميات النا احنا يا دار عواد ، واحنا هالنسوان واحنا نبيض ونطين بقينا نغني" كما تقول نزهة عيسى سليمان.

إن إعداد القمح "للخبز" عملية شاقة مملة ، اذ يبدأ بقيام المرأة بتنخيل القمح وتنقيته باستعمال المنخل ، ثم طحنه على "الجروشة" اليدوية الحجرية التي تتطلب -أحيانا- جهد امرأتين، ثم يأتي العجين في "الباطية" ليخبز بدوره في الطابون ، ويسبق هذا عناية بالطابون لتجهيزه لعملية "الخبيز" وعادة يكون ذلك "بتزبيله" بروث الحيوانات.

إن المرأة ومنذ نعومة أظفارها تبدأ تدرب على القيام بكل هذه الاعمال ، فهو عالم المرأة المغلق ، بينما المرأة منهمكة حتى "شوشتها" في الاعمال المنزلية، يكون الاطفال يلعبون في الجرن أو الأزقة، ويكون الرجال في المضافات ، او يأخذون قسطا من الراحة ، او "يأرجلون".

إن عملية تنظيف البيت، وعلف الحيوانات ودوام نظافة امكنتها ، وذيول ذلك من النظافة العامة ، وتغسيل الاطفال مما يجب حتما ان تقوم به المرأة . وتأتي المهمة الشاقة الاخرى في هذا الحقل وهي الغسيل ، وخاصة غسيل "القطع الثقيلة"، تقول نزهة سليمان في تصويرها لهذه العملية "بقينا نروح على البير، اسمه بير البلد ، كل واحدة تحمل على راسها اللي بدها تغسله، اشي كبير حرامات، فرشات ، لحفة ، شراشف ، بقا في أحواض على البير باقيات من زمان يقولوا لهن "الجابية" اللي بدها تغسل اشي كبير تغسله في الجابية ، ننشل من البير ونغسل ونروح ما حدا يقول هذا وسخ . والمرأة احيانا بقت تغسل في الدار، في الدكاكين كان عندهم مسحوق للغسيل ، بقوا يقولو له "صودا" ، نروح نشتري ونغسل الملاحف البيض ، اما السمر واواعي الصغار نغسلها على البير ، ومية البير تبقى سخنة نغسل ونروح كلنا زي بعض".

أما هذه "الجابية" : فيصفها ويحددها عبد السلام قائلا : الحوض عبارة عن متر مربع ، مستطيل الشكل (١٢٠سم X ٨٠ سم)، عمقه نصف متر ومحفور بالصخر، ويستخدم للغسيل ولسقي الاغنام . ويضيف :"كانوا يغسلوا اواعيهم بالحجار ، فبدلا من الصابون كانوا يجيبوا حجار ويقعدوا يغسلوا أواعيهم في هذا الحوض "الجابية".

Digitized by Birzeit University Library

هذا من حيث العمل، أما من الناحية الاجتماعية والزواج والطهور ، فانه لم ينظر للمرأة سوى "انك بدك توخذ حرمة وتحطها على هالكوم اللي عندك ، على خواتك وامك وأبوك ، تعيش زيها زيهم ، وتخدم في الدار زيها زيهم ، بس بتعرف انك انت زوجها فقط عند المنام. " ٧٢

وغني عن البيان ان رأي المرأة التي ستكون زوجة لم يكن ذا بال اصلا "يوم الخطبة ، خلص، أبوها واخوتها راضيين ، ان شاء الله يعطيها لختيار او شاب ما تقولش لشي، حتى لو بدهاش ، ما بقتش تتشاور . "٧٣

ولقد كانت معظم النساء يتزوجن حتى العشرين ، ان التي تدخل سن العشرين بدون زواج ينظر إليها وكأنها عانس.

كان من الممكن أن يرى الشاب الفتاة التي ستكون زوجته في المستقبل سواء على عين الماء أو في الحصاد أو في الطرقات ؛ اذ ان معظم اهل القرية يعرفون بعضهم بعضا، ولكن كان من المستحيل ان يتم التصريح بذلك ، لان هذا علاوة على انه يعتبر "فظيحة" فإنه سيجر الى اشتباكات دموية وربما مسلحة.

وبعد زواج المرأة ، تبدأ المشاكل بفرض منطقها ، وهنالك الكثير الكثير من الامثال والتصورات حول "طوش" الكنة مع حماتها ، الا ان هذه المشاكل تحسم لصالح الأم بسبب بطريركية الاسرة العربية على وجه العموم .

وعند الولادة لا ينظر إلى المرأة على ان عليها أن تستريح قبل المولد بشهر او اسابيع ، بل عليها العمل حتى تفاجئها الام المخاض وارهاصات الولادة . وكان على المرأة بعد ذلك ان تتدبر امرها مع المولود إلباسا واطعاما ، فليس للرجل شأن في ذلك سوى الفرح الذي يصيبه خاصة اذا كان المولود البكر ذكرا ، تقول السيدة نزهة عيسى سليمان : "في دايات كثار ، انا (١٠) دايات ولدني ، بقيت انادي جارتي واقعد على الحجر ، وتيجي الداية وتداييني ، ولا فرشة ولا نوم . ونجيب - نلد - يجيبوا "النسوات القريبات" شوية قصول على الصينية ويجيبوا شريطة يحطوها فوق الولد وهذه تسمى الهندية بعدين يجيبوا شريطة مرقعة بقوا يبقوا يحصدوا فيهن ويدرسوا ، كنا نقددهن اللي من قدام نساويهن

لفاع والكمام نحط من تحت "حفاظات" ونسميه مسمكة . ونجيب شوية قظاب * وشوية شرايط ونحطهن في صندوق من خشب بقينا نشتريهن من عند النجارة ، ونحط القظاب والشرايط فيه - الصندوق - ونحط الولد ، ونصير نهز فيه ، لا بعيّط ولا اشي ".

ثم بعد ذلك ، وفوق هذا العبء الذي على المرأة أن تلتفت إليه، لا تأخذ اجازة من العمل في الأرض أو الحصاد، وانما تأخذ المرأة ابنها الجديد إلى الحصاد وتقوم بتركه بلطف وحنان على احدى اكوام الحصاد المتراكم فوق بعضه البعض، والذي يطلق عليه اسم "الحلة" . واذا بكى المولود الصغير ، فان امه تسارع اليه ، فترضعه ، وتقوم بمداعبته حتى يغرق في النوم من جديد. ومن الجدير بالذكر ان اهالي أبو شوشة ، كانوا لا يحرمون النساء سواء اكانت ابنة أو زوجة أو اخت حقها في الميراث ، وكذا الحال بالنسبة لحقوقها عند الطلاق مع ان هذه الظاهرة - الطلاق - كانت نادرة الا ان المرأة كانت تحصل على حقوقها كاملة بعد الطلاق.

وقد كان زواج البدل منتشرا وشائعا في القرية بما يترتب عليه انعكاس المشاكل على كلا الطرفين ، اما فيما يتعلق بالجمع في الزواج باكثر من واحدة فانه كان نادرا ٧٤ . إن النساء، ومع شوقهن الذهاب الى المسجد الاقصى لاداء الصلاة خاصة في شهر رمضان المبارك ، الا انه لم يسمح لهن بذلك تحت شعار أن ذلك "عيب".

وأخيرا، يجب الانتباه إلى ضرورة جاهزية المرأة وفي أي وقت لتلبية نداء زوجها أو نداء أي فرد من أفراد العائلة الذكور، سواء لتحضير كوب شاي أو اعداد الطعام، أو القيام بأي عمل آخر .

هذا هو وضع المرأة في أبو شوشة، عمل وعمل دون توقف، على مدار اليوم كله ورغم ذلك الروتين القاتل، والمجهود الجبار بالصيف والشتاء، فانك تجد العطاء، والعمل بصمت،وانجاز المهمات، وكل ذلك يتم بدقة متناهية، فابناء القرية اليوم يعضون أناملهم على تلك الأيام وخبز الطابون والمنسف والمسخن والمقلوبة، والعوامة والمطبق والزلابية والهيطلية. إنها أم حنون، وعامل صلب ولكنها في الظل .

---

* القظاب : نبات "كالحشيش"، لكن أسمك وأكثف .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الخامس
الرحيـــــــل

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الخامس
الرحيل

مقدمات المخطط الإسرائيلي

السؤال الأساسي والرئيس الذي يواجه الباحث لأحداث الأعوام (٤٧ - ٤٩) ، التي ادت الى هجرة وتهجير قرابة (٨٠٠)* الف فلسطيني عن ارضهم ، هو : كيف حدث وتم اخلاء الارض الفلسطينية من قبل اهلها بهذه السهولة ** ؟! أكان يعوز ابناء فلسطين الارتباط بارضهم ، ام ان كبر الاحداث وحجمها ، كان فوق طاقات استيعاب وقدرات الشعب؟ وهل كان لعدم الوعي والامية والجهل ، وغياب القيادة السياسية الكفوءة، دورها في الخروج؟ وهل يبرر ضعف الضحية وجهلها للمجرم فعلته ؟ وهل يتحول الاغتصاب الى حق بفضل القوة؟

ان الحقيقة التي لا مراء فيها تقول : ان دولة اليهود ما كانت لتصبح ممكنة لو لم يرحل عنها اهلها العرب ، اصحابها الاصليون ، الذين ينقصهم كل شيء سوى حب هذا الوطن العزيز حبا فطريا ، وهنا تماما مكمن التناقض، السكان الفلسطينيون في ارضهم ، والحركة الصهيونية عازمة على خلق مستقبل لها ، فاطراف هذا التناقض ، وعلى الارض الواحدة ، ينفي كل منهما الاخر .

وفي هذا السياق ، يجيء قرار التقسيم ٤٧/١١/٢٩، كنقطة تحول هامة على تاريخ

---

* حسب المصادر التي وفرت لبني موريس يرى أن ٧٢٦ الفا من الفلسطينيين رحلوا . بينما الرقم العربي التقديري للمهجرين يتراوح بين ٩٠٠ الف الى مليون . والرقم الذي تبنته السلطات الاسرائيلية لا يتعدى ٥٢٠ الف والتفاوت برأي - بني موريس، يعود الى انه يضاف الى المهاجرين الحقيقيين اعداد من فقيري الحال من غير المهاجرين والذين هم بحاجة الى المساعدات الدولية . أما صغر حجم الرقم الاسرائيلي برأينا فيعود للتخفيف من التزامات " اسرائيل" في المستقبل .

** لعل ما ورد في كلمة موشيه شرتوك وزير الخارجية الاسرائيلي بتاريخ ١٩٤٨/٦/١٨، بعد أكثر من نصف عام من بداية الهجرة دلالة في هذا الصدد " لقد فوجئنا تماما، هؤلاء السكان العرب الذين لهم جذور عميقة منذ اجيال عديدة لمئات السنين لهذه البلاد من كان يخطر بباله، من كان يجرؤ على التكهن بأن هذا الشعب سيخلع من جذوره ويتشتت لدى مواجهة احداث الحرب ".

Digitized by Birzeit University Library

وارض وشعب فلسطين . ورأت الحركة الصهيونية في ذلك فرصتها ، فتحركت لاهتبال هذه الفرصة التاريخية ، وتجسيد دولتهم على الارض الفلسطينية ، بعد ان اعطاهم ذلك القرار حق إقامة دولة، فمجتمعهم استطاع ان يكون مؤسسة متكاملة في جوانبها العسكرية والمالية والاقتصادية والاجتماعية . ولقد أشار المؤرخ الاسرائيلي "بني موريس"Benny Morris الى ان التمايز الاساس بين المجتمعين : اليهودي والفلسطيني الممزق كان في المجال العسكري، الذي لعب دورا اساسيا في حسم الصراع ؛ فلقد بلغت القوة العسكرية اليهودية عام ٤٨ ذروة إستعدادها بعددها الذي وصل الى ٦٣ الفا، وعتادها المكون من البنادق الحديثة والرشاشات والمدافع والدبابات والطائرات، ومصانع الذخيرة المحلية، يضاف الى ذلك، هذه الاعداد الكبيرة من القادة العسكريين ، الذين تخرجوا من مدارس الحرب العالمية الثانية، اللوجستية والتنظيمية والتسليحية في ادارة العمليات العسكرية طويلة الامد ١" وبالطبع ، لا مجال للمقارنة بين ما امتلكه اليهود وبين الوضع الذي عليه الجيوش العربية المجتمعة ، فما بالك بالقدرة العسكرية الفلسطينية ؟! انها قدرة لا تتجاوز عدة الاف من البنادق ومعظمها قديم موزعة على القرى والمدن ، دون وجود قيادة عسكرية مركزية تنسق وتوجه مختلف القوات والمقاتلين. ٢

لقد كان تحولا جذريا في مجريات الحرب، رافقه تطور الهاغاناة من طابعها المليشياتي كمنظمة عسكرية سرية مشكلة من متطوعين الى جيش نظامي لدولة ، مما يوحي ويرشد – وبالضرورة – إلى عمل ضخم يتطلبه وجود جيش نظامي ضارب، فموافقة الحركة الصهيونية على قرار التقسيم انما جاءت لفظية فقط ، ولربما راهنوا حينها على الرفض العربي ؛ فبينما بدأ الفلسطينيون حرب العصابات في محاولة منهم لاثبات انهم لن يذعنوا لقرار التقسيم المجحف بحقهم ، فاعادوا تشكيل آليات المقاومة والمجربة سابقا : اللجان القومية ، فصائل المجاهدين ....، وكان هذا هو الرد الفلسطيني ، آملين من قرار المواجهة هذا الحؤول دون تنفيذ القرار، فبدأت العمليات وشن الغارات على الاهداف اليهودية في مواقع مختلفة من فلسطين. وفي المقابل ، والدليل على ان الحركة الصهيونية لم تكن لتقبل بقرار التقسيم هذا ، وضوح هدفهم ، وهو اخلاء اراضي "الدولة اليهودية " من العرب ، فبن غوريون يرى انهم لا يستطيعون تحمل قوميتين :"المشكلة السكانية التي ستواجه دولتنا هي ان ٤٠٪ من مواطنيها سيكونون من غير اليهود " وعلى ذلك يقرر انه "لن تكون هناك دولة مستقرة باغلبية ٦٠٪ فقط" والحل الذي يراه بخصوص حل هذه المشكلة "يجب تبني سياسات جديدة (؟؟!!) وفحص كل الافكار. " ٣

ان دولة بدون بعد استراتيجي "اقليمي" لها لهي دولة ميتة ، ولقد جاء ترجمة هذا كله

في ما يسمى "خطة داليت ، الخطة / د " . وهذه الخطة ، جاءت لتبين هذه السياسات الواجب تبنيها ، والافكار التي تم فحصها والتي شكلت بمجموعها المخطط اليهودي الكامل ، والنسيج لما ستؤول اليه الامور .

فالخطة / د" تعتبر اول خطة استراتيجية وضعتها "الهاجاناة" بغرض احتلال مناطق مخصصة للعرب على نطاق قطري واسع ، والسيطرة عليها . ولقد بدىء بتنفيذها في ١٠/ اذار /٤٨ ، وكان من مهندسي هذه الخطة " يغئال يادين" رئيس شعبة العمليات في الهاجاناة ، وكانت تقضي بحسم الصراع مع العرب في الداخل ، ومن ثم الانتقال مباشرة لادارة حرب تقليدية بعد غزو الجيوش العربية المتوقع في ١٥ ايار ٤٨ ، فكان المعنى الحقيقي والعملي "للخطة / د" هو تفريغ القرى العربية من سكانها وتدميرها ٤ .

ويذكر "بني موريس" بعض نصوص الخطة ومنها :"ضرورة احتلال قرى ومدن عربية والاحتفاظ بها ومسحها عن وجه البسيطة" . وعن القرى العربية التي تم نعتها بالمعادية توضح الخطة السلوك معها: "يجب هدمها وتدميرها نهائيا ، بواسطة اشعال النار فيها ، نسفها ، وزرعها بالالغام ، وبخاصة القرى والمدن والتي يكون باستطاعتنا الاحتفاظ بها بشكل دائم".

كانت "الخطة / د" تنطوي على طرد السكان العرب ، وترحيلهم، ولقد وفرت الخطة ، غطاء رسميا مقنعا لقادة وحدات "الهاجاناة" ، وكان باستطاعتهم الاعتماد عليها والاسترشاد بنصوصها عند كل عملية يقومون بها ٥ .

وانطلاقا مما تقدم، كيف اليهود خططهم لبناء دولتهم بالقتل والارهاب والذبح وصولا الى "الترانسفير" – التهجير – ، فكانت "المذبحة" بمثابة الشريك الكامل الثابت لهم في جميع الحروب ، دليلهم في ذلك :"ان لم يبن السيف البيت ، فباطلا يتعب البناؤون" . ومنذ الشهور الاولى لعام ٤٨ ، سمعنا الكثير من ماسي القرى والمدن .

وحول فكرة "الترانسفير" بشكل خاص، لا بد ان ننوه الى موقف بن غوريون حول مشروع لجنة بيل الملكية لعام ٣٧، الذي اعرب فيه عن موافقته على قرار التقسيم "ليس لانه يكتفي بجزء من فلسطين . ولكن لانه يفترض بعد ان نشكل قوة كبيرة في اعقاب قيام الدولة اليهودية سنلغي التقسيم ونتوسع في كل ارض اسرائيل .. ستصبح لنا مساحة عظيمة بعد الترحيل القسري للعرب . اني احبذ ترحيلا

Digitized by Birzeit University Library

قسريا ، ولا ارى فيه اي شيء غير اخلاقي" .

حتى ان هذا التوجه الهب حماس وخيال زعماء الاستيطان، فكتب يوسف فايتس، الذي سيكون له ، بصفته مديرا لدائرة الاراضي التابعة للكيرن كايميت ، ثم رئيسا للجنة "الترانسفير" شأن كبير في تنفيذ هذه السياسة ، حيث كتب بتاريخ ١٩٤٠/١٢/٢ في مذكراته :"يجب ان يكون واضحا لنا تماما ، انه لا يوجد مكان لشعبين معا في هذه البلاد .. لا يوجد مكان لحل وسط .. ولا توجد طريقة اخرى سوى ترحيل العرب الى البلدان المجاورة جميعا ، ربما باستثناء سكان بيت لحم والناصرة والقدس القديمة ، بحيث لا تبقى قرية او قبيلة حتى نكون قادرين على استيعاب الملايين من اخوتنا ." ٦

وكاستمرار لهذا التوجه ، وعلاوة على كل ما قلناه ، فتجدر الاشارة ، الى ان "الخطة / د" ، وكل العمليات التي كانت تجري منذ مطلع عام ٤٨ ، كانت تنفذ تحت اسم شيفرة "المكنسة MATATEH"٧ اي كنس الحضور الفلسطيني، وهذا الذي يبين الخيط المتصل في الفكر والايديولوجية الصهيونية ، التي تعتبر مواقفها السياسية سواء من لجنة بيل او قرار التقسيم مجرد مراوغة لحين تنفيذ الفكر الاستراتيجي الصهيوني .وحسب هذه الخطة ضاعت أبو شوشة ، و (٤٧٢) قرية اخرى تم تدميرها في الاعوام (٤٨ - ٤٩) ، بالاضافة الى تهجير سكان المدن الفلسطينية.

وقد تساوق الانتداب البريطاني مع هذا المخطط الصهيوني تماما، حيث لم يقم بحماية السكان الفلسطينيين وحفظ الامن والنظام، كما هو مفروض عليه كسلطة انتدابية، وساهم باعلانه انهاء الانسحاب من فلسطين ١٩٤٨/٥/١٥ من تنفيذ هذا المخطط بعد ان استكملت الحركة الصهيونية شؤونها التعبوية والبشرية والعسكرية، ولقد سجل "إليك كيركبرايد" أحد مهندسي السياسة البريطانية في الشرق الاوسط ملاحظاته حول مخطط طرد الشعب الفلسطيني الى شرق الاردن قائلا " كان المقصود لها - شرق الاردن - ان تقوم مقام ارض احتياطية لكي يجري استخدامها في اعادة توطين العرب الفلسطينيين حالما يصبح الوطن القومي لليهود بفلسطين أمرا واقعا وهو ما تعهدت الحكومة البريطانية بتنفيذه. " ٨

ان مجزرة أبو شوشة التي نفذتها قوات القتل انما تنساب ضمن هذا السياق، مع العلم ان ما حدث في أبو شوشة لم يتطرق اليه احد لا من قريب ولا من بعيد. وتمثل قرية أبو شوشة نموذجا لما كان قائما في ذهن الحركة الصهيونية لتنفيذه في سائر القرى الاخرى .

لقد تأكد لاهالي أبو شوشة، ان اكبر عدو للانسان الفلسطيني هو "اخوة" و"جيرة" اليهودي*؛ فاهالي أبو شوشة منذ قرار التقسيم ، لم ينخرطوا في المواجهات ضد اليهود ، وكانت علاقتهم مع اقرب تجمع يهودي اليهم - مستعمرة جيزر - علاقة غير عدائية، يصورها حادث زفاف احد ابناء القرية على فرس ناطور المستعمرة والذي كان يعرفه العرب باسم زوري ، غير ان اسمه الحقيقي الكامل زورو بابل فبزنر٩ ، والذي كان دوره يتجاوز على ما يبدو نطاق الناطور، الى منسق للعلاقات بين المستوطنين وقرية أبو شوشة.

وجاء الحادث الاول عقب قرار التقسيم وفي بداية عام ١٩٤٨ بينما كان جماعة من سكان أبو شوشة في طريق عودتهم الى القرية سيرا على الاقدام من الرملة، وسلكوا طريقا منحرفة قليلا "صيفية"، وهذه اقصر الطرق من الرملة الى البلد "دغري" .وبينما هم في الطريق اذ ببعض المسلحين اليهود - وعلى ما يظهر من خارج مستوطنة جيزر - يقومون بخطف واعتقال افراد المجموعة ، فما كان من يهود مستعمرة جيزر وعلى رأسهم زوري هذا ،الا وتدخلوا في الموضوع ، واطلقوا سراح المحجوزين . ويستشهد احد الرواة الرئيسيين لهذا البحث السيد يوسف سعيد الحموي من القصة السابقة للتدليل على وجود علاقات "جيرة ، وعلاقات مش حامظة".

ويؤكد السيد أحمد صالح البلبيسي كلام الراوي السابق من خلال قصة اخرى وقعت بعد حادثة احتجاز المجموعة واطلاق سراحها بعدة ايام؛ فقد كان بعض الفلاحين يقومون بحراثة ارضهم المجاورة لمستوطنة جيزر في منطقة تدعى "وعرة المعاصر" في سلام واطمئنان ، فانسلت مجموعة عسكرية يهودية حتى اقتربت من الحراثين حيث فاجأتهم والقت القبض عليهم ثم قالوا لهم :"بدنا تجيبو لنا المخاتير نتفاهم معهم . ترك الفلاحون دوابهم ومعداتهم وراحوا جابو المختار اللي هو الحاج حسين أبو العينين . اما المختار الثاني واللي هو يوسف محمود ، فلم يتم احضاره لبعد داره ، واكتفى اليهود بحضور الحاج حسين . فرحب به قائد المجموعة اليهودية المسلحة وقال له : احنا مش في يافا ، يافا فيها حرب ، وسلمة فيها حرب ، مزبوط الحرب بين العرب واليهود ، ولكن احنا في جيزر وأبو شوشة مع بعض ، ارضنا وحاجاتنا مع بعض ، وجيرة طيبة ، ما في حرب بيننا، واللي بده الحرب من اليهود يحمل حاله ويروح على مكان الحرب ، واللي بده الحرب من أبو شوشة هذه سلمة ويافا فيها حرب يروح يحارب هناك اما احنا خلينا هون جيران" .

---

* هذا الجانب ناقشه الكاتب اليهودي ايلان هاليفي في كتابه بعنوان " اسرائيل من الارهاب إلى المجزرة " حيث يصف اليهود بقوات الذبح والقتل .

Digitized by Birzeit University Library

رد عليه المختار بحكمة : "هذا شيء طيب ، بس ما تعتدوش علينا ، هذا جيشك تسلل وخوف الفلاحين والحراثين ؟ رد عليه : لأ ، احنا مش معتدين ، احنا حبينا نتصل معك ونقولك هذا الكلام واتفقوا على شبه هدنة وعدم اعتداء على بعض"

وتقول السيدة شريفة الزغموري ان حراس المستعمرة – جيزر – "كانوا يقولوا لاهلنا ما تخافوش ، اذا انتوا ما اعتدتوش علينا احنا منطلعكم بسلام ، لو صار مهما صار ".

ان محاولة يهود مستوطنة جيزر تأمين اتفاق مع اهالي أبو شوشة ملوحين بالقوة، كانت عملية شائعة لم تقتصر على ابو شوشة وحدها * . فبقراءة سريعة لكيفية فرض الاتفاق، واستهجان المختار حول اسلوب ووسيلة الاتصال لا تتلائم وعقد هدنة وتفاهم . ثم ان وضوح المخطط الصهيوني لتفريغ الارض من سكانها كما تظهره المصادر والروايات اليهودية، وبالتحديد "خطة / د" ، يجعلنا نرجح ان ذلك الاتفاق غير المكتوب، مجرد مناورة لتحييد المناطق بسكانها اولا ، وعدم قيام تنسيق كامل بين القرى والمواقع العسكرية الفلسطينية حتى لا يكون حجم المقاومة اوسع ، كما أنه تكتيك لكسب الوقت .

وتوالت الاحداث على قرية أبو شوشة كاشفة لهم عن النوايا والغايات ،اذ ان القرية تعرضت الى عدة اعتداءات ، فيذكر اهالي القرية انهم هوجموا مرات من قبل اليهود دون القدرة على تحديد هويتهم، وكان ذلك في شهر اذار من عام ١٩٤٨م :"هاجم اليهود البلد ، بنعرفش المهاجمين هم من مستعمرة خولدا ، او نعان او جيزر ، ولكن الاعتداءات في الغالب كانت من الجهة الجنوبية ، والجنوبية الغربية ، والجنوبية الشرقية ، وكان اليهود يأتوا من خلدة على جيزر وفي طريق عودتهم يمكن كانوا يعتدوا على البلد ، فكانوا يطخوا ويهاجموا البلد من بعيد وكان يستغرق الهجوم تقريبا ساعة الى ساعة ونصف" ١٠.

لم تكن هذه المناوشات متبادلة وانما اخذت شكل اعتداء يهودي ودفاع عربي ، وكانت مناوشات خفيفة ، اما هوية المهاجمين وعدم تحديدها فيفصل الراوي أحمد صالح البلبيسي قائلا

* عقدت مثل هذه الاتفاقيات مع قرى أخرى مثل قرية النعاني والتي تم اخراج اهلها منها في ١٩٤٨/٦/١٠، وعلى ما يبدو ان هذا لم يكن تكتيكا ذاتيا من المستوطنات، وانما قرارات جاءت من أعلى مستوى من المسؤولين عن الحركة الصهيونية.

:"مفش فرق بين هاجاناة ومستوطن كلاهما يساند الاخر، وجيزر كانت مستوطنة صغيرة لا يتعدى سكانها (١٥٠) شخصا ، والهاجاناة كانت متمركزة في قبانية خولدا، القبانية الرئيسية للمنطقة ، وكانت العلاقات بينهم مستمرة يوميا ، هذول يووحوا على هذول والعكس ، فلما كانوا يهاجموا في الليل ما كنا نميز ، انه هذا مستوطن من جيزر او خولدا او هاجاناة ، احنا نعرف ان هذول اليهود الليلة هجموا على البلد ، نجد اثارهم بين الزرع وهم ماشيين القمح يتدهوك ، والفشق وراهم ، وهم نازلين الرشاشات "الستينات" كانت تكحت "تحتك" في الصخر لان الارض جبلية نسمع الصوت".

وفي تسارع الاحداث هذا ، تأتي الشرارة التي اشعلت السهل كله، وتحديدا في ٤٨/٣/٢٠ ، فتورد الرواية الاسرائيلية لحرب فلسطين ٤٨/٤٧ تفاصيل الحادث هذا : ففي ذلك التاريخ ، "قتل نتيجة كمين في حقول أبو شوشة حارس حقول مستعمرة غيزر زوري بابل فبزنر ، واتضح ان عملية القتل نفذتها "عصابة" من شرق الاردن متمركزة في قرية القباب بمساعدة من رجال أبو شوشة. " ١١

اما رواية اهل القرية حول تفاصيل الحادث ، وظروفه فانها غنية : البداية كانت مقتل ابن ابراهيم حسن، من قرية القباب ، قتل ابنه عند جسر قرية القباب اثناء مرور ابني ابراهيم حسن الى القدس ببابور طحين . وكنتيجة لذلك اراد ابراهيم حسن ان ينتقم لابنه ، فجاء بمحمد الفايز اخو مثقال الفايز على رأس مجموعة من البدو المسلحين* وايضا من عرب الفايز من شرقي الاردن ليساعدوه على الانتقام لابنه من مستوطنة جيزر .

ولدى وصولهم ، احتلوا دار الخواجا ، وطلب ابراهيم حسن من محمد الحاج – أبو نوح – الذي سيلعب دورا هاما فيما بعد – ان يساعده . وطلب كذلك من المخاتير والوجهاء مثل اسماعيل بشير ان يساعدوه لتنسيق هجوم مع القادمين على مستوطنة جيزر القريبة.

* متطوعون اردنيون اغلبهم من عشيرتي الحويطات وبني صخر، وقد سلمتهم قيادة الجيش بعمان اسلحة كالنوع الذي يستعمل في الجيش العربي الأردني. وجعلت على رأس كل فرقة منهم ضابطا من البدو المتقاعدين وأبرزهم الشيخ هارون بن جازي ثم جرى توزيعهم من قبل قيادة الفرقة على المراكز التالية: اللد، والرملة، وباب الواد، ومنطقة اللطرون . وجعلتهم تابعين لقيادة أقرب وحدة من الجيش العربي . قدر عددهم بـ (٤٠٠) مقاتل. (التل، عبدالله. كارثة فلسطين: مذكرات عبدالله التل قائد معركة القدس . القاهرة : دار القلم، ط٢، ١٩٥٩. ص ٨٦) .

Digitized by Birzeit University Library

وقد استطاع ابراهيم حسن ، وبمساعدة محمد الحاج ، تجنيد عدد من ابناء قرية أبو شوشة للمشاركة في الحملة على مستوطنة جيزر ، بالرغم من معارضة العديد من شيوخ القرية الذين نوهوا باتفاق عدم الاعتداء الموقع على المستوطنة - جيزر - ، ورأوا ان الهجوم على المستوطنة سيدخل القرية في معركة غير متوازنة.

ولما تمركزوا في البلد ، شاهدوا الناطور زوري ومعه فرسه يتجول في الحقول ، واعتبروا ان قتله بمثابة "واحد مقابل واحد"، وفعلا ، استطاعوا ان يتسللوا اليه وقتلوه واخذوا فرسه ١٢ .

لم يمر هذا الحادث دون رد انتقامي، وجاء الجواب سريعا ، فصدرت الاوامر الى قيادة الكتيبة (٢) التابعة للواء "جفعاتي *" بالقيام بعملية انتقامية مدروسة .ولاجل ذلك ،حشدت في مستعمرة جيزر فجر يوم ٤٨/٣/٣١ أي بعد حادثة القتل بعشرة أيام ، قوة مشكلة من فصيلين من قوة الميدان من لواء غفعاتي وثلاث جماعات من رجال مستعمرتي نعان وجيزر، وبدأت العملية بعد منتصف الليل ، وكان الهدف نسف منزل قائد "العصابات" في القرية ومبنى البئر الخاصة بالقرية ايضا . وليس هذا وحسب ، وانما ايضا نصب كمين على الطريق بين أبو

*** لواء جفعاتي:**

شكل لواء جفعاتي في وقت متأخر ، حيث اعطى الامر بتنظيمه فقط في اب من عام ١٩٤٧، وهنالك عنصران اثرا بصورة خاصة على تطور اللواء هما:

١- كونه يتكون بصورة خاصة من شبان تل ابيب الذين نموا من خلال صفوف سلاح الميدان وكتائب الشبيبة، وفي وحدات "شاحر" - المستعربين - في ضواحي تل ابيب، وكان عليهم الدفاع عن منطقة تل ابيب نفسها في حين كان هدفه الحقيقي من وراء تأسيس هذا اللواء خلق منطقة عبرية مترابطة في المنطقة الجنوبية تحسبا لامكانية "غزو" الجيوش العربية .

٢- ان معظم وحدات هذا اللواء , كانت تستخدم كورقة أخيرة رابحة ، وكاحتياط لسلطات القيادة العليا ، لان تلك الايام كانت ايام دامية.

وكان معسكرا "يونا" و "شرونا" البريطانيان في تل ابيب يشكلان القواعد ومراكز التدريب التي ساعدت على استيعاب مئات المجندين الذين "تدفقوا" على الخدمة في هذا اللواء، ومن بينهم مسرحون من جيوش اجنبية ، وتحول لواء جفعاتي هنا ، من حركة الى قوة نظامية بفضل هؤلاء الذين خدموا في اللواء اليهودي وفي الجيش البريطاني.

وبسبب بعثرة المنتظمين في هذا اللواء ونشر الوحدات في منطقة تواجده (الوسط) ومناطق اخرى ، **تابع../**

شوشة والقباب ، تحسبا من الفزعات سواء من اهل قرية القباب او البدو المناضلين المتمركزين فيها .وقد حدث ان اشتبكت هذه القوة مع مجموعة قدموا للنجدة من قرية القباب ، والحصيلة اصابة شاب من قوة الميدان من رحوفوت بجراح مميتة ١٣.

تمكنت القوة اليهودية من نسف بئر البلد الذي يشرب منه الاهالي ، ونسف بيت من الباطون المسلح يعود الى جميل الحايك ، يقع في الطرف الجنوبي للبلد بواسطة لغم ، وقد شاء القدر الا يقع ضحايا بين سكان المنزل .

اما لماذا تم نسف بئر البلد بالذات ، وهو مصدر الشرب الاساسي لاهل القرية ؟ فيعود لحرمان اهل البلد من هذا المصدر الهام الذي يشكل احد دعامات البقاء في القرية. كما كان نسف المنزل لبث الرعب بين السكان وإجبارهم على الرحيل، خوفا من مصير مماثل لبيوتهم وعائلاتهم .

... / توقف تطور قوة اللواء في بداية تشكيله . ولهذا السبب ، ولاسباب اخرى (انظر المرجع) ، كانت وحدات اللواء تنفذ عملياتها في الليل ومن قبل مجموعات .

ولقد كان هذا اللواء مضطرا لتنفيذ كل ما يطلب منه اذ نفذ اللواء خلال حرب عام ١٩٤٨ اكثر من (١٠٠) عملية قتالية جديرة بالذكر على حد قول الموسوعة العسكرية الإسرائيلية ، ٧٠٪ منها عمليات دفاعية وانتقامية والبقية عمليات احتلال وسيطرة حيث شارك في هذه العمليات (١٠,٠٠٠) جندي . سقط منهم (٢٠٠) مقاتل وجرح (٤٠٠)، فشل حوالي ١٠٪ من هذه العمليات .

ومن الجدير بالذكر ان منطقة مسؤولية اللواء امتدت على مساحة ١,٥ مليون دونم ، يبلغ عدد سكانها اليهود (٤٠,٠٠٠) يهودي منهم ١٠٪ جنود ، وحوالي (١٢٠,٠٠٠) عربي. سيطر اللواء واحتل خلال هذه المعارك على ١٥ مركز شرطة ومعسكرات ومنشات بريطانية وعلى حوالي (٢٥) قرية عربية يبلغ عدد سكانها (٤٠) الف نسمة.

قاد اللواء شمعون أفيدان، وعندما حل بن غوريون الهاجاناة ابقى لوائي غولاني وجفعاتي ، اللذين يعتبران احد الاركان الاساسية التي بني عليها الجيش اليهودي خلال الحرب وبعدها .

انظر نتان روعي ، سلاح المشاة . الموسوعة العسكرية الاسرائيلية "٤" . ترجمة دار الجليل . عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية . مقال بعنوان "لواء جفعاتي" بقلم العقيد "احتياط" ابراهام ايلون (ص١٣٣ - ١٧٨).

Digitized by Birzeit University Library

تبع ذلك توتر بين قرية أبو شوشه واليهود عامة في المناطق المجاورة خاصة مع اقتراب ١٥ ايار ٤٨ موعد انتهاء الانتداب ، وهو التاريخ الذي ستعلن به الدولة اليهودية ، وهو اليوم الذي ستدخل فيه الجيوش العربية الى فلسطين . وكان اليهود قد وضعوا خطتهم الاستراتيجية لتأمين الشروط الملائمة لقيام الدولة اليهودية ، من حيث احتلال الارض وطرد سكانها العرب ، والسيطرة على خطوط المواصلات الرئيسية التي تؤمن استمرار الامدادات بين المواقع اليهودية ، وقد عبر عن ذلك الكاتب ابراهيم شكيب بقوله "برزت الحقيقة المتمثلة في ان كل من يسيطر على طرق المواصلات سوف يحقق مزايا عسكرية واضحة " ويضيف قائلا أنه "اطلق على حرب ٤٨ برمتها اسم حرب خطوط المواصلات." ١٤ " فسياسة "الهفلاجا – ضبط النفس" لا وجود لها ابدا في "خطة د" ، اذ اليهود في سباق مع الزمن لبناء انفسهم وتقوية مستوطناتهم وتسليح وتطوير فصائلهم المقاتلة .

وفي السياق نفسه، فان مصير قرية أبو شوشة كان قد تحدد سلفا ، وهو التدمير والتهجير ضمن ذلك المخطط الدموي ، والذي يرشد إلى هذا الفهم ، ليس مقتل زوري، وانما وقوع أبو شوشة داخل حدود اراضي الدولة اليهودية وفق خطة قيام اسرائيل حسب مشروع التقسيم ، وإشراف القرية على الرملة واللد والقرى المجاورة ، التي تعتبر في نظر اليهود خطرا هائلا . يقول بن غوريون بأن : "اللد والرملة تشكلان خطرا هائلا في هذه الحرب." ١٥

ويقول ايضا: "بقيت الشوكتان اللد والرملة ، وهذا عيب كبير في وضعنا الحالي" ١٦، لذلك ، من الحيوي جدا اسقاط أبو شوشة في ايدي اليهود من هذا المدخل الهام، حيث يقول بن غوريون في ذلك: "من اجل السيطرة هنالك الحاجة الى امتداد جغرافي ، والحرب ليست من اجل طريق القدس فحسب، وقد ثبت انه لن تقوم للقدس اليهودية قائمة من دون ارتباط ما بالدولة اليهودية ، اي امتداد اقليمي." ١٧

وعى أبناء أبو شوشة ذلك بشواهد الحس والعقل معا ؛ فهم يرون النشاط والتحركات العسكرية عالية الوتيرة ، ثم سقوط قرية خلدة ، جارتهم الجنوبية في ٤٨/٤/٣ وغيرها ، وكان لا بد من اتخاذ القرار المناسب، ولم يفر ابناء قرية أبو شوشة كما اعتقد مناحيم بيغن مذعورين صائحين دير ياسين ، دير ياسين ، مع ادراكهم ان عدم فرارهم سيكلفهم ثمنا باهظا .

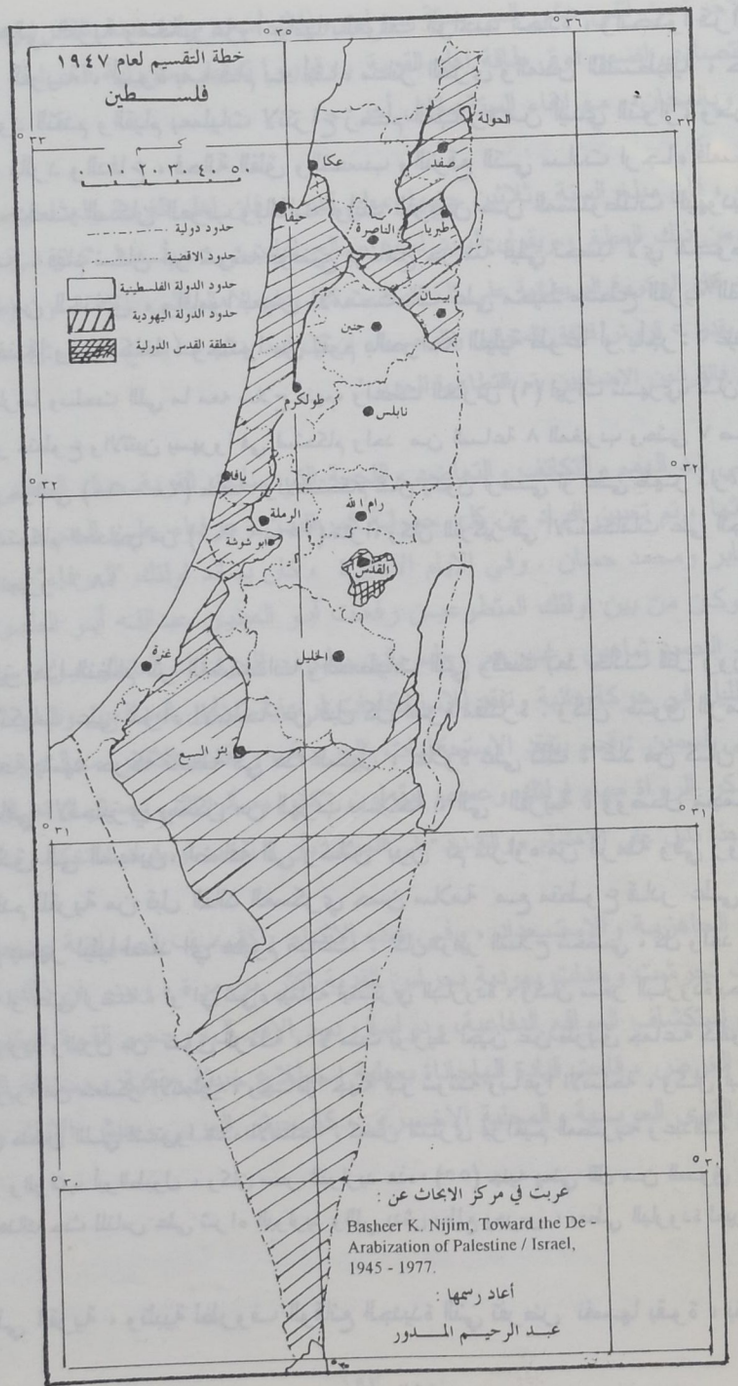

Digitized by Birzeit University Library

تباحث أهالي القرية ومخاتيرها وأعيانها بالموقف الواجب اتخاذه ، واتخذوا قرارا بتعزيز الحراسة على القرية ، أسوة بما قام به أبناء سائر القرى والمدن الفلسطينية ، خاصة بعد محاولات اليهود التقدم والقيام بعمليات لانتزاع زمام المبادرة من أيدي الثوار، ومن يساندهم وعدم الاكتفاء بالرد والدفاع ، فحالة القلق والتحسب والتوقع التي سادت ارجاء فلسطين عقب قرار التقسيم ، دفعت السكان العرب وبالذات اولئك القريبين من المستوطنات اليهودية بتشكيل وحدات حراسة . فقام سكان أبو شوشة بوضع برنامج حراسة ليلي تحسبا لاي هجوم مباغت ، فحفروا العديد من الخنادق ، واقاموا بعض الاستحكامات على محيط مسطح القرية التي تقدر ب (١٠- ١٥) خندقا واستحكاما ، وجندوا من يقوم بالحراسة الليلية طوعا أو بأجر: " عينت البلدة في البداية (١٢) حارسا وسلحت اللي ما معه سلاح منهم، واعطت الحارس (٦) ليرات شهري، كان كل حارس معه حارس اخر متطوع والاثنين يسهروا في استحكام واحد من الساعة ٨ المغرب وحتى ٧ صباحا، معهم بيدقية واحدة وحوالي (٦٠ - ٧٠) طلقة. والاستحكام كان يكون ارضي او على ظهر دار، وكان بين الاستحكام والاستحكام المحاذي من (١٠٠ - ١٥٠) مترا، وكان التركيز في الاستحكامات على الجهة الشمالية حيث مستوطنة جيزر. " ١٨

اما تعزيز هذا النظام اثر المستجدات والمعطيات التي وقعت بعد حادث قتل زوري، فكانت في البداية الانكباب على شراء الأسلحة من قبل كل أسرة مقتدرة . وكان سوق الرملة الخاص بتجارة الأسلحة يشهد حركة نشطة في هذا السبيل ، علاوة على ذلك ، عاد من كان يعمل في الجيش الاضافي الانجليزي وتمكن من الهرب بسلاحه ، الى القرية ، ووصل مجموع ما في القرية من بنادق الى السبعين، اضافة الى رشاش "برن" تم شراؤه من الرملة وفي رواية أخرى، فان "البرن" قدم للقرية من قبل القائد العسكري حسن سلامة مع متطوع قادر على إستخدامه، وكان الجميع يسهر ليليا لصد اي هجوم مباغت : "كان توفير السلاح شخصي ، كل واحد يبيع بقرته او ذهبات زوجته او حتى ارضه ، او اي شيء بيملكه ليشتري البارودة ، وكان سعر البارودة بحدود السبعين جنيه . كل البواريد والبرن من سوق الرملة ، الا ست بواريد اجين عن طريق جماعة كانوا في الجيش الانجليزي وهربوا من معسكر الانجليز ، وجاءوا جهة أبو شوشة وباعوا الاسلحة ، وكان أبوي - صالح البلبيسي - من ضمن اللي اشتروا هذه الاسلحة . كمان اشترى ابراهيم المصرية وعبدالله أبو الطبول ، اسماعيل بشير والراتب أبوالطبول ، وكان سعر البواريد هذه (٥٥) جنيه يعني اقل من السوق بحوالي (١٥) جنيه ، وكان هناك حث للناس على شراء البواريد واللي بدش يطلع يحرس ، يعطي البارودة لغيره ." ١٩

قام اهالي القرية ، وتلبية لظروف الوقائع الجديدة التي تفرض نفسها بقوة ، بتقليص عدد

الحراس بالاجرة من اثني عشر الى ستة حراس وذلك مع زيادة عدد الحراس المتطوعين؛ فالعبء الاقتصادي اصبح فوق طاقة اهل القرية ، وقرروا تعميم مسؤولية الحراسة على جميع ابناء القرية وبالمجان ، مع إبقاء الستة مقابل أجر .

ومع ذلك ، فان مبلغ الستة وثلاثين جنيها مبلغ كبير ، فان اهل القرية ولهذا توصلوا الى حل لتأمين قسط من ذلك المبلغ ، ويقول السيد احمد صالح البلبيسي موضحا :"كان في هذاك التاريخ يوزع مؤن من قبل الحكومة البريطانية على كل القرى ، وكان يدفع الاهالي ثمن ذلك المؤن (طحين وسكر) شيء رمزي ويقدر ٥ قروش فاتفق المخاتير والوجهاء ان كل فرد بدال ما يدفع ٥ قروش مثلا ، بصير يدفع ٧ قروش فالقرشين الاضافيين يتم اقتطاعها للحرس".

وزيادة في شد الهمم والتكاتف والتعاضد واللحمة التي سادت القرية حيال الخطر الذي يهدد ارضها وحياتها ، تم تعيين افراد من كل حمولة كمراقبين وعرفاء على الحرس ، وكان من بينهم علي جابر ومحمد حسان . وفي الايام الاخيرة ، كان يساند اولئك "العرفاء" مجموعة من المتطوعين، وكان من بين اولئك المتطوعين رفعت أبو العينين عبدالله أبو الطبول ، صالح البلبيسي، عبد الحميد شاهين وغيرهم . ولم يكن يطرف للعرفاء والمتطوعين رمش ، وانما كانوا طوال الليل في حركة دائبة وتفقد للاستحكامات لرعاية شؤون المدافعين والحرس . وكان ان انقسموا الى قسمين : قسم يتفقد الاستحكامات الغربية ، والقسم الاخر مجاله وحقله الجهة الشرقية . ويذكر الرواة مهام اولئك وعملهم فيقولون :"كانوا يسألوا اللي نعسان او تعبان يروح ينام واحنا محله ، وهذا دليل على الاهتمام ، والتشديد على الحرس بأن لا يهرب او يترك استحكامه وثغرته." ٢٠

امام هذه الجاهزية والاستعداد ، وفي هذه الاثناء ، كشف الصهاينة ضغطهم على القرية ، حيث تحرشت وحدات يهودية بحراس القرية اكثر من مرة ، ويبدو ان ذلك كان بهدف جس النبض، واستكشاف المواقع الدفاعية، ودراسة ردود الافعال، وحجم القوة المتمركزة في القرية . ولهذا الغرض ، قامت قيادة الهاجاناة بعملية استطلاع خبيثة وذكية ، مستغلة العلاقة بين اهل القرى والقوى العربية والمحلية الاخرى ، كالجيش العربي وجيش الإنقاذ وفصائل

Digitized by Birzeit University Library

المجاهدين ، فأرسلت مجموعة من "المستعربين*" في سيارة جيب الى القرية تتكروا وكأنهم قوة عربية لدراسة اوضاع القرية الدفاعية، ومعرفة واقعها قبل شن الهجوم النهائي: " في احد الايام ، وفي حدود الساعة الرابعة بعد الظهر ، قدمت سيارة جيب من جهة قرية القباب ، وعند وصولها طرف البلد ، لاقوها الشباب : مين انتو ؟ قالوا : احنا منكم فيكم جايين نشوف وضعكم ونطمن عليكم ونشوف حاجتكم من الاسلحة ، فحابين نشوف المخاتير ! طبعا الشباب تبرعوا ونادوا المخاتير (المختار يوسف محمود والمختار الحاج حسين) وقابلوا من في السيارة ، وبعد التعرف، رحبوا فيهم ، وشكروا مساعيهم ، واجابوا على اسئلتهم المتعلقة بعدد البنادق الموجودة في القرية وعدد الشباب تحت السلاح وفيما اذا كانت هناك علاقة مع قوى من خارج القرية، وطريقتهم في حراسة القرية وما شابه ذلك . وبالنهاية طلبوا مساعدة منهم بمد القرية باسلحة

---

* **المستعربون:** تمثل وحدة "الفجر" (شاحر) التي كان اصلها من منظمة البلماخ وحدة المستعربين التي انشأتها – الوكالة اليهودية – في قيادة الهاغاناة كوحدة استخبارية مستقلة ، كان رجالها ومسؤولوها من الهاغاناة. حيث كانت خبرتهم تنبع من تجربتهم من العمل في منظمة البلماخ او من مهماتهم الخاصة، ومن عملهم في وحدات اخرى .وفي سنوات انشائها التي امتدت من ١٩٤٢ – ١٩٥٠ ، خدم في صفوفها العشرات من المخبرين ، اما النواة الصلبة لوحدة الفجر، فقد تشكلت من مجموعة مكونة من عشرات المقاتلين من رجال الاستخبارات الذين انضموا اليها ، والذين كانوا اساسا من رجال البلماخ الطامحين للاستحواذ على المعرفة ، والذين مروا بفترة من التدريبات ، وامتلكوا خبرة ميدانية . ويرجع تأسيسها الى فترة التعاون مع الجيش البريطاني والنشاطات التي تمت في حينه لمواجهة سيطرة نازية متوقعة على الشرق الاوسط. ولقد حلت هذه الدائرة بعد انقطاع الارتباط بالبريطانيين واعيد تنظيمها بقيادة يروحام كوهين في نهاية ١٩٤٣ . وسموا باسم "محليكت هشاحر" اي دائرة الفجر. كان مدربهم الفني شمعون سوميخ ، والحقوا بالكتيبة الرابعة التابعة للبلماخ . وصل عددهم في ربيع ١٩٤٧ الى (٣٣) شخصا (١٨) منهم في الخدمة الفعلية و (١٥) في الاحتياط .

وكانت مهمة هؤلاء الاشخاص الظهور متنكرين كعرب في مناطق مختلفة من البلد لاغراض جمع المعلومات والعمليات . تلقى كل واحد منهم تدريبا خاصا في كيبوتس عين هجوريش ؛ فالمستعرب كما يقول المدرب الفني شمعون سوميخ : ليس معناه مجرد شاب اسمر البشرة مرسل الشارب ويتكلم العربية ويشرب القهوة يلبث لحظة او لحظتين ثم يغادر ، المستعرب معناه الظهور بهيئة عربي من جميع النواحي شكلا ومظهرا ولغة وسلوكا ومسكنا ولهوا وعملا مع غطاء ملائم لجهة بطاقة الهوية وتاريخ الحياة والخلفية ، وان يكون ممثلا موهوبا يقوم بدورة ٢٤ ساعة وهو امر يسبب له توترا نفسيا هائلا، ثم يرسل لتدريبه.
(درور، اتسفيكا. مستعربو البلماخ. نشر حركة الكيبوتس الموحد، ١٩٨٦. ص ١ – ٣). والرواية الرسمية الاسرائيلية ص ١٦٠ – ١٦١) .

جديدة ، ووعدوهم بذلك ، وقالوا لهم : هذا واجب علينا ، وخلال كم يوم رايح يوصلكم السلاح المطلوب ، فقط انتو خليكم حذرين وشدوا الهمة . وبعد فترة وجيزة تبين ان السيارة ومن فيها تابعين للصهاينة وعملائها وبذلك خدعوا القرية واستطلعوا قوتها واستحكاماتها على البارد. ٢١

اما كيف عرف ابناء القرية ان اولئك يهود ، فان الصدفة هنا لعبت دورها، اذ كانت مجموعة من عمال أبو شوشة الذين يعملون في سكة الحديد، والاشغال العامة في طريق عودتهم إلى القرية سالكين طريقا مختصرة من قرية القباب صوب عين يردة ، وبعد ذلك هنالك طريق رجلية "صيفية" قريبة من مستوطنة جيزر ، فشاهدوا سيارة الجيب تعرج وتدخل المستوطنة ، وعندما قدموا الى القرية وتجادلوا في امر السيارة "المشبوهة" ربطوا الوقائع والأحداث فأدركوا اللعبة التي أتقنها اليهود ، وادرك الاهالي ان الهجوم الحاسم بقصد احتلال القرية ليس ببعيد. ٢٢

وفعلا ، بعد ذلك بأيام قليلة، وفي ظهيرة يوم ٤٨/٥/١٣ ، لاحظ أهالي قرية أبو شوشة تحركا نشطا لعربات يهودية بين مستعمرة جيزر والمستوطنات الاخرى القريبة كمستوطنة خولدا ونعان ، وأيقنوا ان اليهود يحشدون قواتهم في مستوطنة جيزر للقيام بعملية اقتحام للقرية على غرار عمليات الاقتحام التي نفذتها الهاجاناة في القرى العربية المجاورة تمهيدا للسيطرة على البلاد بعد جلاء الانجليز في ١٥ ايار .

لقد كانت تعليمات (خطة/د) تترك لقائد لواء غفعاتي شمعون أفيدان وهو اللواء الذي تدخل أبو شوشة في نطاق عمله مجالا واسعا للتفكير ، فبالنسبة لطريقة خلق الاستقرار على خطوط الدفاع جاء في الخطة : "القرى العربية الموجودة ضمن نطاق مسؤوليتك والتي يجب احتلالها وتدميرها او حرقها عليك انت ان تقرر بنفسك مع مستشاريك للشؤون العربية واستخبارات (شاي) ما هو الشيء المناسب عمله بهذه القرى "٢٣ ومن هذا المنطلق، ارتأى شمعون ابيدان مسح قرية أبو شوشة من الوجود سيما وانها تدخل ضمن اراضي الدولة العبرية بموجب قرار التقسيم ، فبدأ الحشد لتنفيذ نصوص " الخطة/ د ".

احس ابناء القرية بالخطر المحدق بهم ، فاجتمعوا الساعة الخامسة مساء من اليوم نفسه، ٤٨/٥/١٣ في منزل أبو حلمي ، وكان على راس المجتمعين يوسف محمود مختار جماعة

Digitized by Birzeit University Library

الوضع العسكري في فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٤

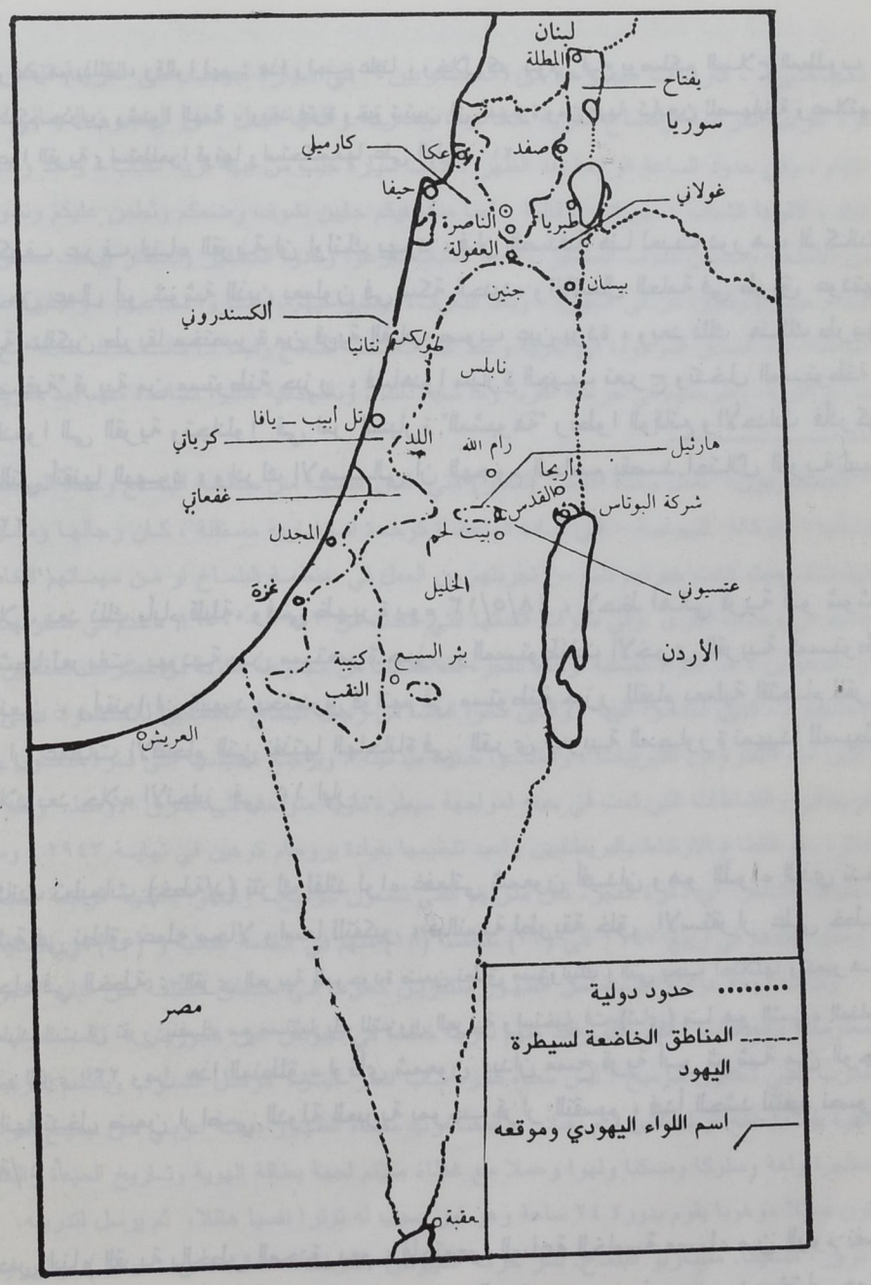

عن دافيد بن - غوريون، يوميات الحرب، ص٣٢٤.

عواد والحاج حسين مختار المصاروة ، وأبو حلمي وغيرهم، وتداولوا أمرهم وتشاوروا حول الأسلوب الأجدى والتصرف الأسلم حسب المعطيات القائمة (موازين القوى ، الحشد اليهودي الكبير ، ضعف تسليح أهل القرية ..) . ولقد تم عرض الدرس المستفاد من دير ياسين ، إذ يروي السيد يوسف سعيد الحموي :"واحنا قاعدين ، كان ختيار يرأسنا اسمه اسماعيل بشير ، انعرض هذا الكلام واحنا جالسين ، قال للحرس : ديروا بالكم شوفوا شو صار لدير ياسين ، اجيت انا وقلت لهم : دير ياسين شكل واحنا شكل . قال لي كيف؟ اجبته : دير ياسين في نص احياء اليهود لكن احنا فالتين وبره احياء اليهود . قال لي يا بنيي لا تستبعد كمان يهجموا علينا مثل دير ياسين ".

واستمر النقاش والمداولات ، فكان ان انقسموا الى رأيين : الأول، ويقضي بإخراج النساء والأطفال وكبار السن، والحلال والمواشي من القرية ، وإبقاء الرجال المسلحين للدفاع عنها . ولقد مثل هذا الرأي بشكل رئيسي كبار السن والوجهاء والمخاتير ومنهم : اسماعيل بشير وعبدالله أبو الطبول وغيرهم ، ومنطقهم في ذلك تجنب خسائر من المتوقع ان تكون فادحة في الأرواح والأموال ولا مبرر لها ، علاوة على الاستفادة من الدروس والعبر المستقاة من قرى فلسطينية أخرى .

اما الرأي الثاني، فنادى اصحابه بعدم إخراج النساء والأطفال والشيوخ والحلال ، وذلك حتى يدافع المسلحون عن قريتهم باستماتة وحرارة ، فإذا خسروا فانهم سيخسرون كل شيء ، مما يشكل لهم حافزا ودافعا في القتال ، فإما رد المعتدين وإما الشهادة . وكان يقف على راس القائلين بهذا الموقف محمد الحاج /أبو نوح/ وكمال عيسى سليمان .

وقد حسم الموضوع سريعا لصالح الرأي الثاني . وتجدر الإشارة إلى أهمية موقف السيد محمد الحاج /أبو نوح/ الصلب والحاسم في تبني هذا الرأي ، فكان دائم التثوير للناس ، حتى ان يوسف الحموي يذكر عبارات هذا الشخص جيدا :"يا زلمة ، عيب وحرام اللي بطلع من ارضه ملوش شرف ، لازم الواحد يثبت يحمي عرضه وارضه ، فثبتوا الناس " وكذلك ، من بين ما قاله أبو نوح اثناء المداولات :"ان المدافع يفقد القوة والإستماتة والروح المعنوية والدافع للدفاع عن البلد " ، فلا غرابة في ان ينهي بذلك النقاش العارم بهذه الحجة المقنعة وما رافقها من خجل الناس من الخروج .

Digitized by Birzeit University Library

على الرغم من كل ما حصل في بيت أبو حلمي ، الإ أن بعض الأفراد من الرجال والنساء أصروا على الخروج متذرعين بكثافة الاستعدادات اليهودية ، وانهم لا قبل لهم بدفعها ، وفي ظل موازين القوى هذه ، فان نتيجة المعركة محددة سلفا ، فالخسارة محتمة .

فما كان من محمد الحاج الا وقام بالتصدي لهم وأرجعهم الى القرية تحت تهديد السلاح . ومما يعزز هذا ، قصة يرويها السيد عبد السلام حول احد ابناء القرية الذي هم بالرحيل ، فجرى تهديده بانه ان فعل سيحرق زرعه ويخرب بيته *.

وكان لدور محمد الحاج الطليعي والوطني أسبابه الخاصة ؛ فلديه ستة شباب ، وبكلمة اخرى ، لديه "عزوة" ، والاهم من ذلك ، ان ابنه الاكبر نوح ، كان قد استشهد في معركة خلدة قرب أبو شوشة قبل شهرين من هذا التاريخ ١٣/٥ /٤٨** ٢٤

ويبدو ان هنالك رابطا بين قرب موسم الحصاد والفلاحة ، وبين تدعيم موقف اهل القرية بالصمود وشحنهم بالمشاعر ، فحياة الفلاح وتعبه على مدار العام يتوقف على حصاد محصوله ، وهذا كان المنبه الاخر لحس اهل القرية ، فعز عليهم ترك جهودهم وعرق جبينهم تذهب هدرا ،وكذلك فان تذكرهم الاعتداءات السابقة التي شنها اليهود، والتي ردت على اعقابها خائبة مع علمهم أن الهجوم الذي يعده اليهود هذه المرة مختلف إلا أنهم مصممون على المواجهة .

---

* هذا ينسجم والقرارات التي اتخذت وروجت من قبل القيادات بعدم الخروج حين احس بعض الزعماء العرب فداحة مشكلة اللاجئين السياسية والاقتصادية والعسكرية المترتبة على الهجرة الفلسطينية الجماعية، فتمت الدعوة الى العودة وعدم الخروج من الارض. (بني موريس. ص ١٣٣).

** في ١٩٤٨/٣/٣١، خرجت قافلة في الصباح من مستوطنة خولدا في طريقها الى القدس، وكانت تضم ٣٠ سيارة شحن وركاب و٧ مصفحات وعلى طريق المسمية / اللطرون، جوبهت السيارات بنيران موجهة اليها، وفي اثناء محاولتها الاستدارة للعودة الى خولدا غرزت في البحر العميق واستمر انقاذها حتى ساعات المساء . (الرواية الرسمية الاسرائيلية ص ٣٢٥) وفي هذا الاثناء كان حسن سلامه جاي وكان مانع القافلة من التوجه الى القدس فتعمد هذا الشاب " نوح محمد الحاج" والذي كان متطوع في صفوف حسن سلامه وهو شاب طليعة تقدم مع اثنين اخريين لوضع لغم تحت مصفحة وقبل أن يصلوا تمكن اليهود من قتلهم إذ كانت الدنيا نهار والارض سهلية مكشوفة . (يوسف الحموي ١/١٠/١٩٩٤) .

ولربما تكون "عبقرية المكان" قد فعلت فعلها في أبو شوشة : فتعرض القرية والموقع للغزاة والفاتحين وتوالي الهدم والبناء عليها عبر العصور ، قد ألصق بسكانها وقاطنيها خصال التصدي والمقاومة والعناد . وهذا الامر الموجود في "اللاوعي" لأهالي القرية ، جعلها بمثابة القرية الخاصة ، إذ اتجهت أنظار قرية صيدون إليها ، فهذه الأخيرة والجارة لأبو شوشة ، والمحدودة العدد (قدر عدد سكانها عام ١٩٤٥ ب ٢١٠) ٢٥ ذات الموقع غير المؤهل للدفاع ولا للمقاومة ، هذا كله قاد الاهالي الى اللجوء الى جارتهم أبو شوشة المتوفر فيها ما يلزم . وكان هذا قبيل الهجوم النهائي بعشرين يوما تقريبا . ولقد استوعبتهم أبو شوشة ، فالعلاقات وطيدة بين القريتين خاصة علاقات النسب والمعرفة والعلاقات العائلية . في الصباح يتوجه ابناء صيدون الى ارضهم للعمل فيها ، وفي المساء يعودون ادراجهم للمبيت في أبو شوشة . ولم يشكلوا عبئا اقتصاديا على القرية ولم يحدث هنالك اي اشكال اذ كانوا "كافيين حالهم من حالهم . "٢٦

باعتقادي ان هنالك علاقة جدلية بين تواجد ابناء قرية صيدون في قرية أبو شوشة واحتمائهم بها ، وبين القرار الذي تم اتخاذه والذي قضى بالمواجهة ؛ اذ إن أبناء صيدون شاركوا في عمليات الحراسة ، ويقول يوسف الحموي بهذا الخصوص: " كان اللي معه سلاح يشارك في الدفاع ، واللي ما معه يطلع يؤازر اهل البلد" فهذا العامل الاول . اما العامل الثاني الذي عزز قرار التصدي والمواجهة والمتعلق باهل صيدون ، فإنه اتى على لسان الراوي نفسه مساهما في رفع الروح المعنوية " والناس يقولوا هي أبو شوشة ، حاميين حالهم ".

الاستعدادات الفعلية للمواجهة:

على اعتاب "يوم الوقعة" – كما يطيب لأبناء القرية أن يسموه ، يوم المعركة الحاسمة والهجوم النهائي – ، كانت الخارطة العسكرية تتمثل في قوة نيران مكونة من حوالي (٧٠) بندقية ، منها عشرون غير صالحة ، والباقي ما بين جيدة ومتوسطة ، خصوصا تلك التي تم شراؤها من الحدادين في الرملة .

اما "البرن" القديم الذي اشتروه من الرملة "فاذا اطلق عدة طلقات متواصلة كان يحمى ، ونصير ندور علي مي علشان نبرده ، وكان مع "البرن" ذخيرة صندوقين خشب وبطلع (٧ –٨) مشوط ." ٢٧ . كان التركيز على الجهة الشمالية – جيزر – لان الحشد كان يتم على ارضها ، اما سائر الرجال

Digitized by Birzeit University Library

الذين تم تجنيدهم وقدر عددهم ب (١٥٠) رجلا مع اهل صيدون، وبضمنهم المسلحون بالبنادق فكانوا موزعين على سائر الجهات وفي داخل البلد . وكان من أبرز المدافعين الحاج نمر الذي استمد خبرته ومهارته في استعمال السلاح من خدمته في الجيش العثماني ، وكان يشهد له بدقة الاصابة ذلك أنه كان صيادا : "كان الحاج نمر يصيب الطير وهو طاير ." ٢٨

علاوة على ذلك ، كان هنالك الغام زرعها بعض اهالي القرية في مواقع مختارة جنوب القرية، حيث كان من المتوقع شن الهجوم اليهودي عبرها ؛ إذ قام إبراهيم أبو السعود بنصب قرابة (١٥ - ٢٠) لغما *.

في مساء ذلك اليوم ٥/١٣ "الناس كانوا محتاطين ، ووضعوا الحريم والاطفال في ثلاث مغر: مغارة في الجهة الغربية والتي اسمها مغارة دار عوض ، ومغارة الجوهري في وسط البلد وهي المغارة الرئيسية، والمغارة الشرقية مغارة دار سالم. " ويتذكر احمد صالح البلبيسي ذلك فيقول :"في حدود الساعة الخامسة مساء يوم ١٣ الشهر، بدأ اليهود في التجمع في مستعمرة جيزر ، وكانوا ييجوا من مستوطنات خولدا وعقرون ونعان ، بجيوشهم وبسياراتهم ومصفحاتهم ، فاهل البلد شعروا في هجوم الليلة على البلد . احنا المغرب ، انا وامي وستي وخواتي واخوتي ، اخذنا ما يكفينا من المؤن لليلة او ليلتين وذهبنا الى مغارة دار عوض ، والحارات الاخرى نفس الشيء عملوا ، فظلينا طول الليل والناس صاحية لانه متوقعين في هجوم . ولم يكن رجال معنا في المغارة ، الرجال في ذيال البلد للدفاع عن القرية . اكبر ولد من الاولاد في المغارة كان في سن العاشرة او (١١) سنة ، والباقي كليته خارج المغر في ذيال البلد حرس ".

هذا في الجانب العسكري والاستعداد الذاتي ، أما في الجانب الآخر "المكمل"، فقد كان مقر الجيش العربي الأردني في قرية اللطرون (حوالي ٨ كم الى الشرق من القرية) وقوات

---

* كانت هذه الالغام بالاساس لليهود - يهود جيزر - نثروها حول مزروعاتهم وحول حدود مستعمرتهم وكان أدرك أهالي ابو شوشة ذلك بعد أن داس فرس ابراهيم ابو غوج على لغم بالصدفة فثار اللغم قاتلا الفرس الذي يمتطيه ابراهيم وخرج الأخير سالما، فتنبه الناس لقضية الالغام، ولما كان لاحد ابناء القرية " ابراهيم ابو السعود" خلفية جيدة عن الألغام نتيجة عمله في الجيش البريطاني، قام بفك هذه الالغام من حول المستوطنة ونصبها مع بعض متطوعي القرية في مكانها الجديد. وهكذا جمع (١٥ - ٢٠) لغما وأخذ يقوم بنصبها ضد اليهود في الليل ويفكها في الصباح. ومن الجدير ذكره أن ابراهيم ابو السعود قتل يوم الوقعة بعد أن داس بالخطأ على أحد هذه الالغام .

المجاهدين وجيش الإنقاذ في الرملة ، وفي هذا المجال قام اهل القرية بحركة تعتبر دليلا على الافق الواسع ، والتفكير العميق وتحمل المسؤولية، وتحليل المعطيات ، حيث قاموا بعد مشاوراتهم بإيفاد رسول إلى كل من هذين المركزين لاطلاعهم على الوضع ، وتبصيرهم بالصورة، وطلب النجدة والحماية والعون في حال تعرضهم لعدوان ، الأمر الذي كان مؤكدا .

"بس احنا شعرنا بالخطر على القرية ، قعد الناس يتشاوروا ، فكان رأيهم ارسال عبدالله أبو السعود اللي راح منتدب عن القرية الى اللطرون ، وكان الجيش العربي الاردني في طور الاعداد والاستعداد ، وكان جوابهم : احنا مش مسموح لنا حاليا ندخل الا في ٥/١٥ . وانتو بس قاوموا يوم واحد واحنا مستعدين نحتل القرية - أبو شوشة - ثاني يوم الصبح" . وزادوا على ذلك بقولهم : "احنا بنعرف ان اليهود بعدوا لهجوم ، واحنا في حالة هجوم اليهود عليكم مستعدين نبعث نجدة ."

وكان حسن حبيب المندوب الثاني الى الرملة، حيث فصائل المجاهدين وجيش الإنقاذ ، وتلقى هو الاخر جوابا مطمئنا : "انتو ما تخافوا ، مجرد ما طلعت طلقة في أبو شوشة نصف ساعة بنكون عندكم ، لان أبو شوشة قريبة ، واحنا عارفينكم ابطال وشجعان ، بس قاوموا ، اول طلقة بتطلع واحنا بنسحب حالنا وبنييجي عليكم." ٢٩

ويؤكد يوسف الحموي هذه الرواية ، ويضيف ، بأن عبدالله أبو السعود مندوب القرية الى اللطرون، إرتاح لما سمع ، وقرر بناء عليه المبيت تلك الليلة في اللطرون - كون الطريق غير آمن في الليل - والتوجه في الصباح الى قريته على رأس القوة التي ستنجدهم. ولكن القوة لم تصل أبدا، لا من اللطرون ولا من الرملة .

وفي الواقع كانت القرية محاصرة ؛ فالجهة الجنوبية مغلقة نظرا لوجود مستعمرة خولدا، إضافة الى أن اليهود كانوا قد احتلوا قرية خلدة الفلسطينية في ٤٨/٤/٣ . اما الناحيتان الشمالية والغربية ، فهما مغلقتان ايضا لوجود مستعمرتي جيزر ونعان على التوالي ، إضافة الى وجود اتفاق عدم اعتداء ، غير مكتوب ، بين قرية النعاني ومستعمرة نعان . وأما المنفذ الوحيد فهو الجهة الشرقية حيث قرية عمواس والقباب التي سنعرف ان اليهود قد انتشروا فيها ايضا مما جعل أبو شوشة تقع بين فكي الكماشة الصهيونية.

وفي المقابل ، كان الحشد والتجميع عند اليهود في ذروته ، قوات من لواء جفعاتي علاوة

Digitized by Birzeit University Library

على قوات من المستوطنين ، ولقد قدر شهود معركة أبو شوشة عدد القوات الغازية بما لا يقل عن ٥٠٠ مقاتل مزودين بأسلحة هائلة من رشاشات وبرنات وستينات، وبلطات وشرخات وكاسترات التي تمنطق بها المهاجمون، علاوة على الطريقة الكلاسيكية في اجتياح القرى بقصفها بقنابل الهاون والمورتر تمهيدا للاحتلال ببث الرعب ونشر الموت ، كي يخلقوا جوا من الإرباك والخوف لخلق توجه لدى السكان بالفرار التلقائي .

في هذا الجو المشحون انقطع الرجاء بامكانية ذهاب بعض وجهاء القرية الى مستعمرة جيزر "لتهدئة الخواطر" ، فشعرة معاوية قد قطعت ، ولم يفكر احد من ابناء القرية بذلك لاستحالته .

واثناء ليلة ١٣-١٤ ايار ، أحاطت الوحدات المقاتلة التابعة للواء غفعاتي بالقرية ، وكثفت تواجدها بشكل خاص في الجهة الشرقية التي اعتقد ابناء قرية أبو شوشة بانها خالية ، وذلك بهدف قطع الطريق على اي هبة من القرى المجاورة (عمواس ، القباب) لمساندة اخوانهم في أبو شوشة.

يوم الوقعة:

فجر يوم الجمعة ٤٨/٥/١٤ الساعة الرابعة صباحا ، ومع انطلاق كلمات الاذان من حنجرة مؤذن القرية ، بدأت عملية الاحتلال ، وانهالت زخات رصاص الاسلحة المختلفة يتخللها قصف بمدافع الهاون على القرية والمدافعين . كان الهجوم مركزا في الجهة الشمالية "بجبهه" لا تتعدى (٢٠٠) متر ، وتقدمت وحدات المهاجمين بغزارة وكثافة الامر الذي جعل وضع المدافعين في الجهة الشمالية (٤ استحكامات مع برن) صعبا للغاية . ومع كل ذلك ، رد الحراس على المهاجمين، فهم يدركون اهمية ذلك الموقع الذي يشرف على القرية ويكشفها كشفا ، الا ان النيران الكثيفة التي وجهت على مواقعهم والتي لا قبل لهم بها وبردها ، وذخيرتهم وعددهم القليل كسر صمودهم في ذلك الموقع مما دفعهم الى الإنسحاب الى وسط القرية .

وكان من ضمن القتلى في هذا الموقع خليل جابر الذي قتل اثناء وجوده في الاستحكام ،، بعد رفضه مغادرته، واستبسل في الدفاع . وفي هذا يقول أحمد صالح البلبيسي: "لما اليهود صوبوا عليه ، ممكن ان التصويب كان دقيق لانه اجا في فوهة البارود. وانفسخت فسختين ، وممكن ان الطلق طلع من البارودة وفسخها . يعني مش معروفة بالضبط وانما وجد هوته وبارودته في الاستحكام مقتول، والبارودة مفسوخة "

بانسحاب من بقي من المدافعين من الجهة الشمالية الى وسط البلد ، حسمت المعركة لصالح القوات المهاجمة ، وفي محاولة من كبار السن لتعديل الموقف ، خاصة وانهم عرفوا حجم القوة اليهودية الكبير ، فما كان منهم الا وان اطلقوا الخبر وصيحات الإستغاثة للحراس في الجهة الجنوبية وغيرها ولاولئك المدافعين المنتشرين في القرية ، حيث هرعوا لنجدة اخوانهم في محاولة منهم لاغلاق الثغرة التي حصلت ، ولكن ما ان جاءوا ووصلوا منتصف القرية حتى وجدوا الجنود اليهود يزحفون -ايضا- باتجاه مركز البلد فاشتبكوا معهم قليلا موقعين جنديين قتيلين على الاقل من اليهود .

وفي هذ الأثناء ، كانت الوحدات اليهودية المرابطة في الجهات الاخرى قد بدأت بالزحف نحو القرية ، وكان ان تمركز بعض الجنود فوق دار الخواجا الاستراتيجية والموجودة على التل والتي تبعد (٢٠٠ - ٣٠٠) متر عن البلد ، وكان ذلك مقصودا لغرض توجيه القوات التي تريد

Digitized by Birzeit University Library

افتراس القرية . وفي هذا يقول يوسف الحموي وهو احد المدافعين "لما فظت الدنيا الجيش اليهودي صار متقدم في اطراف البلد ، وهان وهان ، وانا شفت القواد اليهود وهم فوق الدار ، معهم "دربيل" (منظار كبير) يحركوا الجنود من هذا الموقع لهذاك ، ومن هذه الجهة لهذيك ، حتى يلتقوا مع المسلحين العرب ، انا كنت في الجنوب فوق بير البلد، عند دار محمد الحايك اللي انتسفت سابقا ، وكان معي برودة اميركية بتطخ (٥) طلقات ، اجا الصوت علشان المسلحين اللي في الجنوب يطلعوا للشمال فطلعنا ، لكن لقينا اليهود دافقين علينا مش عارف وين تدور ، مع ان القرية قريتنا ، وقديش بدك تدافع وتطخ ما فش فايدة".

"انا لحالي كنت ماشي في الشارع ، ولقيت ختيارية قالوا لي : هي هم الاربعة – اليهود – بتطلعوا في "الدرابيل" فوق دار الخواجا . قلت لهم : يا عمي انا مش كاشف ولا شايف ، اجو الختيارية دحدلولي حجر ، وقفت على الحجر ، شفتهم ، مديت بارودتي على الاربعة نزلت واحد ، نزل من فوق الدار تحت ، رجعت مديت على البقية ما لقيت حدا ، ما شفت ، تخبوا . وهم ينقلوا اليهود من هان لهان الا اثنين يهود صاروا وراي بالسلاح ، وقبل ما وصلوني قالوا لي : استنى بكسر راسك . انا رديت حالي بالبارودة عليهم ، لكن الاثنين لبسوا الحيط . قلت لحالي هذول اثنين يمكن وراهم اخرى مجموعة ، اجيت في الزقايق ، وطلعت ونفدت فوق ، خشيت في دار لقيت فيها ولاد معهم سلاح بس مذعورين مش عارفين شو بدهم يساووا ، والشباب خايفين لان الدار واطية ، كيف بدنا نطلع ، قلت لهم : تعالوا بنقف وراء البوابة وكل واحد بسرعة وخطوة وحدة مش تمشوا مشي ، نطيت قدامهم ونطوا وراي ، وظلينا نازلين في الكروم وطلعنا من البلد ، ولقينا المعارك في الوعر في الجنوب ، يعني نفدنا باعجوبة" .

ومن ضمن عمليات إطلاق النار على اليهود – وهي قليلة – ، كان الحاج نمر الذي كانت له خبرة في القنص علاوة على عمله كصياد قد تمركز قرب بيته مقابل دار الخواجا ، وشرع باطلاق النار على من يتمركز عليها وحولها ، ويقال انه جندل اثنين الا انه غادر موقعه بعد ذلك وخرج من القرية ٣٠ .

من الطبيعي ان سير الامور كان لصالح القوة المعتدية، ومتوافقة مع تخطيطها، ولما تمكن اليهود من القرية سادت حالة من الارتباك في صفوف المدافعين ، وفي ظل انعدام اي خيار أمامهم ، تحركت غريزة البقاء لارشادهم إلى السلوك في مثل هذه الحالات ، فلاذوا بالفرار حفاظا على أرواحهم ، وعدم الجدوى من البقاء في القرية . وما هي الا ساعات قليلة حتى سقطت القرية – مع الضحى – كليا بايدي اليهود الذين اخذوا يصولون ويجولون فيها بلا حسيب ولا رقيب .

كانت خسائر المدافعين بمن فيهم من المستسلمين الذين أطلقت النار عليهم، لا تتعدى العشرة ذلك أن معظم اولئك المدافعين استطاعوا الفرار والنجاة بانفسهم .

وحيث أن السيد يوسف الحموي/ابو السعيد/ كان من بين المدافعين، وتحرك في ارجاء القرية يوم الوقعة، فانه استطاع مشاهدة شخصين من المدافعين تطلق عليهم النار: أما الأول فهو عمر عبد الرحمن السيد تم أسره في الأرض الوعرة في خلة البلد، وكان بحوزته " ستن وطقية حديد"، أسره اليهود اطلقوا الرصاص عليه. أما الشخص الثاني فكان راتب أبو الطبول، وكان زميل يوسف الحموي " صاوبوه، ولم يلحقوا به، أنا كان بامكاني أرد عليهم ولكن مني وفوق يهود، فاذ بدي أرد، بده يطلع الطلق بدهم ييجوا علي، وانا مش متأكد هل الراتب تعدى سنسلة صيدون تبعت أبو عيد ويلا لأ، المهم ظل ماشي (٢٠ – ٣٠) خطوة على قد ما يجيب بعدين ارتمى في الزرع " .

ومن بين من أطلقت عليهم النار – أيضا – من المدافعين، أبو عامر البدوي، وهو بدوي الأصل، ويعتقد سكان القرية أنه من واد جنين، جاء إلى القرية في العشرينات من هذا القرن واستقر فيها، وكان رجلا وقورا، تزوج من إمراة بدوية، وكانت حالته ميسورة، إذ كان يعمل بالمزارعة مع أهل القرية حتى امتلك دار الخوجا، فحضر المعركة، وقتل هو وابنه .

ومن الجدير ذكره، ذلك الثمن الباهظ الذي دفعته أسرة محمد الحاج (أبو نوح) الذي دفع مهج قلبه، أبناءه الثلاثة فداء لثرى أبو شوشة ولم يبق من اولاده سوى ابنه إلياس الذي جرح في الوقعة وهو الان من سكان رام الله .

المجزرة:

بالرغم من إدعاء الاسرائيليين أن الأوامر والتعليمات الصادرة للجنود حين اقتحام اي موقع كانت تتلخص في إطلاق النار على المسلحين، واعتقال غير المسلحين ٣١ فإن الجنود اثناء دخولهم قرية أبو شوشة ، أطلقوا النار على كل شيء متحرك امامهم دون تمييز بين مسلح او مستسلم او رجل طاعن في السن ، حتى البهائم لم تسلم من ذلك ، دليلهم في ذلك صناعة الفراغ وذبح اولئك الذين لم يرحلوا ، لانهم ببساطة لم يرحلوا ولمحو كل ما يشكل حضورا حسب تعبيرات إلياس صنبر.

Digitized by Birzeit University Library

مارست فرق الذبح والقتل هواياتها ، فكان اول ضحية علي عبدالله السقعان ختيار يزيد عمره عن ال (٥٥) عاما فتح اليهود عليه النار وهو واقف امام باب دار الجوهري، ثم سعيد العالم والذي عمره كعمر الشهيد السابق ولم تكن معه لا قطعة سلاح ولا رصاص ، ، واحمد عبد العزيز أبو نمرة ومحمد ابراهيم واحمد الجوهري وحسن أبو العينين والمختار حسين أبو العينين واولئك كلهم "ختيارية " كبار في السن٣٢ .

وكما يبدو، فان اولئك الطاعنين في السن "ختيارية" ، اعتقدوا ان اليهود لن يؤذوهم، وكان اسوأ الاحتمالات لديهم ان يتم اسرهم ، لذلك آثروا البقاء في القرية ، في شوارعها وامام منازلهم علهم يخففون من حجم التخريب الذي سيلحق بالقرية ، أو ليحولوا دون عمليات التصفية الجسدية أو الاعتداء على الأعراض ، أو انتهاك الحرمات . لم يشفع لهم كبرهم ،وعدم مشاركتهم في الدفاع عن القرية ، أو كونهم عزلا غير مسلحين ، بل ابتدأت المجزرة بهم .

وأثناء المطاردة داخل القرية ، دخلت مجموعة من ابناء القرية الى دار هاشم عوض الله وذلك للاختباء فيها من "وجه" الجنود المتعطشين للدماء ، لكن الجنود شاهدوهم ، واقتحموا عليهم البيت ، ويروي احمد صالح البلبيسي والذي كان شاهدا على المجزرة :" قال الجنود : خسارة تموتوا بالرصاص ، وضربوا روسهم بالبلطات والشرخات وكان عددهم (٦ – ٨) ومنهم : محي الدين حسن أبو الطبول ، ادريس محمد الحاج ، ابراهيم محمد الحاج ، حسن علي أبو السعود ."

ولقد شاهد احمد صالح البلبيسي ذلك المنظر البشع وهو لم يبلغ بعد (١٠) سنوات ، فيقول بهذا الصدد: "كان الدم نازل مبرك ، حتى حسن أبو السعود راسه مفغوشة ، وقسم من راسه مايل مركي على الحيط وهذا المنظر لا يزال يطاردني ككابوس".

وايضا ، وبينما اليهود يحكمون قبضتهم على القرية ، ويعيثون فيها الفساد ، وخلال عملية بحثهم عن فريستهم ، وجدوا ضالتهم في عدد من الشبان ، فألقوا القبض عليهم وساقوهم معهم ، ثم أمروهم بالاصطفاف ووجوههم إلى "الحيط" ، ورشوهم بالرصاص وقتلوهم كلهم بجانب بيت اسماعيل بشير ، ومنهم سليمان محمد الحايك وأخوه سليم محمد الحايك .

واستمر سيناريو المجزرة ، مظهرا مدى التعطش للقتل لدى الاسرائيليين : كان عبد الرحمن

العربي* يعمل ناطورا عند اليهود، وظن انه بحكم علاقته مع اليهود فانهم لن يؤذوه، فصادف عمله حادثة قتل زوري بابل فيزنر حارس مستوطنة جيزر، وكان الذي عقد الامر، وخلق المشكلة هو أن الاثنين كانا يعملان معا "واصدقاء" . فجاءت حادثة قتل الناطور اليهودي "زوري" لتبدأ الشكوك تدور حول عبد الرحمن العربي إن كان له ضلع فيها ام لا . والظاهر أن اليهود رجحوا تعامله وتواطؤه مع الثوار العرب وذلك لسبب بسيط: إنه لم يقم بإخبارهم عن النية في تنفيذ العملية، وعن وصول بعض المسلحين البدو الى القرية من القباب، فعندما دخلت فرق الذبح للقرية توجهوا الى بيته وسألوا عنه حتى القوا القبض عليه . سألوه: هل تعرف اين قتل "زوري"؟ فاجابهم بالاثبات . فأمروه بالتحرك الى ذلك المكان حيث قتل زوري، وأعطوه فاسا ومجرفة "طورية" وأمروه بحفر حفرة "جورة"، وبعد أن أتمها أمروه بالنزول فيها والتمدد في قاعها وكأنه ميت، استجاب لذلك، وبدم وأعصاب بارد أعدموه بالرصاص.

وحتى العجزة لم يسلموا من عربدة فرق القتل الذين نشروا الموت في كل مكان . حيث قتلوا الشيخ المقعد محمد عيسى أبو السعود والمرأة العاجزة امنة الحو، والشيخ الطاعن في السن محمد الحايك ، الذين تركوا في منازلهم لصعوبة نقلهم الى المغر . ووجد الطفل خليل محمد سلامة مذبوحا في وسط الشارع **. وخطف محمود الزغموري ولم يعرف مصيره ، وهناك من قال إن جثته وجدت في وادي المالح غربي القرية ٣٣ ، واستمرت عمليات الذبح ، والقتل اسبوعا كاملا بتعمد وبنية مسبقة وليس كما يدعي المؤرخون الاسرائيليون ***

---

* هنالك من يقول أن هذا الشخص كان في أحد المغر، وبعد خروجه من المغارة مع النساء أسروه، ونفذوا به حكم الاعدام بطريقة احتفالية كما ورد أعلاه .

** هنالك قصة اخرى حول قتل خليل محمد سلامة سنأتي لذكرها .

*** تقوم الدعاية الاسرائيلية في تبريرها أو حديثها عن المجازر باعتماد العناصر الخمسة التالية :-

١- ان أغلب الذين قتلوا، انما قتلوا باسلحة نارية .

٢- ان المجزرة وقعت تلقائيا اخر المعركة وفي نهايتها .

٣- الضباط فقدوا السيطرة على جنودهم .

٤- ان المجزرة مجرد أحداث تنفذ في وطيس الحادث .

٥- ان المنفذين للمجزرة إنما هي قوات لا تأتمر بقرارات القيادة الصهيونية .

وفي أبو شوشة البرهان الساطع على أن كل هذا كلام فارغ وحجج وتبريرات لا تستقيم مع الحقائق ولا تتمشى مع الواقع . (إلياس صنبر، فلسطين ١٩٤٨ – التغييب. ص ١٦- ١٧٧) .

Digitized by Birzeit University Library

وقد كانت حصيلة هذه المجزرة الرهيبة حوالي ستين شهيدا من الجنسين غالبيتهم من أبو شوشة، وتسعة من صيدون تتراوح أعمارهم بين ٩ - ٧٠ عاما.

ويتضح من الاسماء التي تم رصدها والموجودة في الملاحق ، ان ٣٨٪ من الضحايا تزيد اعمارهم عن خمسين عاما ، وحوالي ١١٪ منهم تقل عن (١٥) عاما . و نجد أيضا حوالي ٢٠٪ من الاناث و٥١٪ من الشباب . إن هذه النسب تؤكد - بأن التهجير كان العنصر الاهم في المشروع الصهيوني .

فصل من المعاناة:

لم تنته القصة بعد ، فالدفاع عن القرية كان فصلا ، والمجزرة كانت فصلا اخر وان تداخل الفصلان معا، ومع أن الأحداث السابقة كان أبطالها الايجابيون الرجال فاننا هنا نصطدم ببطل جديد: المرأة .

فبعد سيطرة القوة المعتدية على القرية بشكل مطلق ، واتخاذهم دار الخواجا مركزا لهم ، اخذوا يسيرون دورية راجلة مكونة من عدة جنود (٣ - ٥) لتفقد ارجاء القرية بحثا عمن تبقى من أهلها ، الا ان الجنود لم يعثروا على اماكن اختباء النساء والاطفال ومن لاذ اليهم من الرجال الا بعد ثلاثة ايام . اما كيفية سير حياتهم ، في الايام الثلاثة فنثبت ذلك على لسان نزيل احد المغر الثلاثة : احمد صالح البلبيسي الذي انشأ يقول :"النساء - وقد كن التجأن الى المغر الثلاث مساء يوم ٤٨/٥/١٣ - عرفوا ان المعركة بدأت ، فسمعوا اصوات مدافع الهاون والرصاص ، فالتصقنا في المغارة ، وظلينا موجودين فيها لا ندري ماذا حدث مع المدافعين والحراس . لاننا محصورين في المغر . وبقينا على هذا الحال ثلاثة ايام ".

تركزت معاناة من كان في المغر على شح الطعام وانعدام الماء ، وكانت بعض النسوة يتسللن الى البيوت القريبة ، خاصة وان المغر تتوسط البيوت ،وإحضار ما يمكن إحضاره من الطعام الذي يجري توزيعه على الجميع بالتساوي ، الا ان المشكلة كانت في الماء ، فبئر البلد بعيد ، ومكشوف للجيش من على دار الخواجا ، وقد بلغ الوضع درجة صعبة جدا، كما يقول الراوي احمد صالح البلبيسي: " إن بعض النساء كن يبولن ، ويحفظوا البول في كاسات ويسقوا الاولاد والاطفال ."

لقد عانى من كان موجودا في داخل المغر ليس من قلة الطعام والماء ، ولا من مغامرة الخروج لجلب الطعام فقط ، وإنما -ايضا- من الضغط النفسي الهائل والقلق على الاهل والمدافعين، والترقب والانتظار لعدم معرفة ما سيحل بهم .

وكان في اليوم الثالث ان "اضطرت وحدة اسمها فاطمة مرت نمر الصوالحة للخروج من مغارة الجوهري لاجل احضار طعام لابنها ، وبطريق الصدفة وهي خارجة وماشية صادفتها دورية جنود ، فاستوقفوها وسألوها : وين اهل البلد؟ وين رايحة ، من وين جاية ، وهددوها بالقتل ، ومع الخوف اخبرتهم . فاحضروا المزيد من الجنود ، وقالوا لها يا الله ، بدك تودينا على المغارة اللي فيها النسوان ".

"جابتهم ، ومن حد ما وصلت المغارة ، دخلت المغارة جري وقالت : يا بنات الجيش هيو باب المغارة جيش اليهود بدو يطلعكن ، فانتوا اطلعن احسن . وكان مع اليهود مكبر الصوت ، فاخذ ينادي : كل "النساوانات والزلامات" يطلعوا فخرج من بالمغارة . وقالوا : كل واحد على بيته يا الله . وهددوا بقتل من يخرج من القرية . وصاروا يظربوا قنابل في المغارة كنا نقول عنها قنابل مورتر على اساس اذا كان فيها حدا ، وكمان نفس الشيء عملوه مع المغر الثانية. " ٣٤

وبحسب الروايات ، كان في المغارة بضعة رجال كما يبدو ، التجأوا اليها بعد ان وصل القتل شأوه في اليوم الاول للاحتلال رفضوا الخروج خشية مصيرهم المحتوم . وقد ساعد على حمايتهم من القنابل عمق المغارة التي يصل طولها (٦٠ مترا) وعرضها يتراوح ما بين (٣ -٥) امتار ، ولم يكن ليخطر ببال اليهود اقتحامها ، ومن بين هؤلاء : العجال * عبدالله العطرة ، وعلي عبدالله الفولة - المغامر - وشخص ثالث من دار أبو حبيب.

كان من ضمن من خرج من المغارة الشيخ سلامة الطاعن في السن ، وشخصه اليهود على انه كبيرهم ، وطلبوا منه ان يأتي اليهم في مركزهم - دار الخواجا - وأمروه برفع "الرايات البيضاء" على بيوت القرية علامة الاستسلام .

---

* **العجال**: كان أهل القرية يستأجرونه لرعي بقرهم. ويوم الوقعة ترك البقرات وكان أن أخذها اليهود بعد أن تجمعت تلقائيا في أحد المناطق. وكان العجال يتقاضى اجرته على موسم الحصاد من الغلة .

Digitized by Birzeit University Library

واثناء عودة النساء والاطفال الى بيوتهم صعقوا لرؤية الجثث المتناثرة في كل مكان التي بسبب الطقس الحار وبمرور ثلاثة أيام قد تعفنت دون ان يكلف الجنود انفسهم بدفنها او حتى تجميعها في قبر جماعي ، فهرعت النسوة الى الشيخ سلامة يخبرنه بضرورة دفن الجثث ، فاكرام الميت دفنه . فقام الاخير باخبار الجيش عن ذلك ، فوافقوه على مسألة الدفن ، وطلبوا منه تشكيل فريق دفن من مجموعة من النساء للقيام بالاجراءات . وبسبب انتشار الجثث على محيط القرية ، سمح للنساء بالتجول والبحث عن القتلى برقعة تقدر بـ ١كم٢ ، واذا تجاوزنها ستطلق النار فورا على المتجاوزة *.

تكونت على الاثر لجنة من ست نساء : حسنة محمود أبو السعود ، صبحية حبيب ، وحسنة حبيب ، وحليمة الحايك ، شريفة الزغموري ، وذيبة علي المغربي . واثناء تنفيذ هذه المهمة ، اصيب بعضهن بجروح بالغة نتيجة انفجار الغام اصطدمن بها خلال عملية تحريك وحمل الجثث ، وفي هذا المقام تذكر شريفة الزغموري :"اخذنا معنا حبال جمال حتى نقدر نسحب الجثث . الجثث القريبة جمعناها وحطيناها مع بعض في الخنادق اللي كانت محفورة . اما الجثث البعيدة فكنا ندفن الجثة مطرحها . واللي صار واحنا نسحب في جثة ابراهيم أبو السعود (تعرفنا عليه من اواعيه وكان قد طلع فيه لغم) . انا دعست على لغم والا مشط اجري طاير . لفولي اياها في شال وظليت امشي على ايدي ورجل وحدة حتى وصلت الدار . وبعدها ارتميت في الدار حتى خرجنا للقباب . ومن هناك اخذوني على مستشفى نابلس وظليت فيه فوق الشهرين . برظه ذيبة المغربي دعست على لغم اخر وصار فيها مثلي ، وهذه الالغام ما بنعرفش مين اللي حطها هم الحراس وللا اليهود".

لقد اكتفت النساء في كثير من الاحيان باهالة التراب على الجثة لعدم القدرة على حفر القبور، أو استخدام الخنادق أو المغر كمقابر جماعية ، فعلى سبيل المثال "حاكورة" دار أبو السعود دفن فيها أربعة اشخاص هم: محمد أبو السعود وابراهيم وإدريس محمد الحاج، كانوا مقتولين على مقربة من تلك الحاكورة التي لا تتجاوز العشرة أمتار . وكان ان دفن المختار حسين أبو العينين في "سنسلة" قرب مكان موته في الجهة الجنوبية، وفي مغارة دار أبو السعود دفن محي الدين وحسن أبو السعود ، وادريس محمد الحاج واخوه ابراهيم .

---

* هذه الرواية لكل من أحمد البلبيسي ويوسف الحموي. وهناك رواية أخرى لشريفة الزغموري تقول فيها أن اليهود هم الذين طلبوا مجموعة من النساء للقيام بدفن القتلى.

وفي تصوير حالة النساء وهن يقمن بهذا العمل ، نورد شهادة شاهد عيان : احمد صالح البلبيسي الذي راح يقول :"كانت الدموع تنزل من اعينهن ، وكانن يعيطن طوال الوقت . وكان المنظر رهيبا جدا . واكثر منظر اثر فيهن منظر القتل الجماعي في غرفة دار هاشم عوض الله ، لما وجدوا الشباب مقتولين بالبلطات ، وانا كنت حينها بين النساء وكان من المقتولين حسن أبو السعود وراسه مفلوق ابن اخ ستي (حسنة محمود أبو السعود) فكان الصراخ عليهم ".

كان القرار بتهجير اهل القرية قد تم اتخاذه ، لذلك استمرت عمليات القتل والتشويه من قبل الجنود اليهود ، ومن الامثلة على ذلك حادثة خليل محمد سلامة : الملقب خليل الازعر والبالغ من العمر (١٣) سنة : "لما دخل اليهود القرية كان مع امه في المغارة ، وبعد ساعات من السماح للنساء بالعودة الى بيوتهن ، عاد مع امه . وبالصدفة تمر دورية فتواجه الام وابنها، فصاح الجنود وين ؟ ليش هذا هون ؟ اجابته الام : هذا ابني وهذا صغير ومش تبع حرب . قال لها : هاتيلي اياه لاني عايزه ، واجا تناوله من ايد امه واخذه . صارت الام تبكي وتعيط لكن بدون جدوى . واخبرها اليهودي : بتشوفي ليش اخذناه ، وبالفعل ابعد عنها ٢٠ مترا تقريبا ، وامام عيني امه ، رفع البلطة ، وظرب الولد في راسه ، فانفلق راس الولد ومات فورا . وقال للام : روحي خرفي اللي شفتيه احكيه ." ٣٥

وكذلك ما حدث مع عجوز ختيارة (جدة كامل درباس) : "كانت ساكنة وحدها ومربية بقرتين عايشة عليهن ، ومع خوفها عليهن ، يبدو قررت وين ما تروح توخذهن معاها . وصدف ان اصطدمت بمجموعة جنود والبقرات معها . قالوا لها: وين؟قالت انا هذول عايش عليهن .. ، وقبل ان تنهي اجابتها طخها في راسها وارداها قتيلة ، عند دارها واخذ بقراتها ." ٣٦

كانت النساء امام تحد كبير ، فحوادث القتل ، وفراغ القرية من الرجال الذين قتلوا او اسروا* او هربوا الا من الشيخ سلامة حلقة الوصل بين اليهود والقرية وبعض الرجال

---

* فيما يتعلق بموضوع الاسرى ، جاء على مرحلتين : الاولى بعد احتلال القرية ، اخذوا بعض الاسرى سواء ختيارية، شبان او اطفال . اما الثانية ، فهي عندما عثروا على مكان الاختباء في المغر وخروج بعض الرجال الذين كانوا مختبئين فيها . وقدر مجموع الاسرى ب "(١٣) شخصا . منهم : يوسف ذيب عوض الله ، عبد الفتاح سلامة ، نمر محمود سالم ، علي أبو الندى. وكان من الاسرى الذين كانوا في المغارة ابراهيم شاهين (١٥) سنة ، والعجال عبدالله العطرة ، واخر تابع .../

Digitized by Birzeit University Library

الطاعنين في السن. كان على النساء اختراع تكتيك مناسب للمواجهة ، وصون العرض – وهن الحريصات على العرض – .

وعت النساء خطر بقاء كل اسرة منفردة ، وفورا ، قمن بالتجمع والتكتل ، كل مجموعة في بيت كبير مثل دار الصوالحي ودار البلبيسي، ليواسين بعضهن البعض ، وفي الصباح تدبرن امورهن في الطعام والشراب ، فعجن وخبزن ، الا ان تحركاتهن كانت قليلة ، فلا ذهاب ولا اياب ، حيث يكسر جدار الصمت مرور دورية يهودية .

وفي هذه الاثناء ، حصل محك جديد : "بينما كنا موزعين في مجموعات على الدور ، جاء اثنان من الجنود اليهود يتكلمون العربية جيدا ، حتى شكينا بانهم عرب !! فاختاروا ثلاث نساء لارسال الماء من بير البلد الى دار الخواجا ، وكان من ضمن البنات اللواتي وقع الاختيار عليهن بنت تبلغ من العمر (١٧) سنة . وفورا شرد ذهن الختيارات بعيد ، فهبت حسنة محمود أبو السعود وقالت له : يا خواجا ، هذه بنت صغيرة وما بتقدرش تحمل مية ، واذا بدها تروح ، انا بروح معها . واصرت الختيارة على ذلك . وفعلا كان وذهبت معهن على البير ، ونقلن الماء بالجرة مرتين ثم عدن" .

... / من دار الحاج علي . هنالك روايات تشير الى ان محمود الزغموري ، وعبد الرحمن العربي كانا من بين الاسرى ، وهنالك روايات تنفي ذلك .

جميع الاسرى ، احتجزوا في دار الخواجا ، وتم تشغيلهم من قبل الجنود كسقائين يجلبون الماء من بئر البلد الذي يبعد (٢٠٠ – ٣٠٠) متر عن دار الخواجا .

اما مصير اولئك الاسرى فبقي مجهولا حتى الان؛ اذ بقى اولئك في الاسر بعد اخراج اليهود للنساء من القرية ، ويسود الإعتقاد بأن اليهود قاموا بقتل الاسرى بعد تعرض قرية أبو شوشة لهجوم مضاد بعد حوالي الشهر من معركة أبو شوشة وسقوطها .

وبهذا الخصوص ، تورد الرواية الاسرائيلية خبر نجاح الفيلق العربي في احتلال جيزر يوم ٦/١٠ بهجوم مفاجيء بعد معركة دامت عدة ساعات من دون ان تصل اية نجدة لليهود في ذاك الموقع ، الذي ظل عدة ساعات بيد الفيلق الذي "نهبها وسلبها" . وفي المساء وصلت قوات الكتيبة الثالثة التابعة للواء "يفتاح" فاستردت جيزر وفي تلك المعركة قتل (٢٨) جنديا اسرائيليا واسر (٣٠) آخرون. (انظر الرواية الاسرائيلية الرسمية ص ٥٣٩) (حجاج، عيد. كل مكان واثر في فلسطين. ج١، ص ١٥١).

كما ويذكر الرواة (البلبيسي والحموي) ، ان هذا الهجوم كان عن طريق قوات البدو .

كان بال كل من في القرية او خارجها مشغولا بالتفكير عن المصير المجهول : كيف يتدبرون أمورهم ، ماذا حصل لهم ؟ أظلت العائلة قائمة أم دمرت كعائلة / أبو نوح /؟! ولكن هذه الاسئلة لم تطل ، اذ جاء دور رجل شجاع ليعبىء الفراغ ، وليجيب عن أسئلة العائلات المشتتة بعد ان فرقهم المحتل الغاصب ، وهوعبدالله سالم الفولة، والذي التجأ الى مغارة الجوهري بعد يوم الوقعة ، ورفض الخروج منها بعد ان خرجت النساء والاطفال وحسب ما رواه أحمد صالح البلبيسي الذي عايش هذا كله فان :"كل رجل خرج من القرية حاول جاهدا الاتصال بعائلته باي شكل كان . وكان عبدالله الفولة هو الجواب . فاستطاع ان يتسلل في الليل وان يأتي الى القرية * ، واجتمع في دارنا مع نساء من القرية ، فصارت كل وحدة تسأل عن زوجها : متى رأيته ، وين موجود وكيف صحته .. فكان يخبرهم بما كان قد شاهد او سمع . فاول مرة اعطى صورة عن الموجودين واخذ صورة عن نساء القرية واوضاعهن . وقال : انا اليوم بدي ارجع على النعاني ، وبروح اسأل زلامكم , واذا حابين تروحوا عندهم انا بييجي وبتسلل وباخذكن . وهان كل وحدة صارت بدها تروح عند زوجها او اهلها . واتفقوا ان يرجع بعد ليلتين . طبعا ، وصل الخبر بدوره خاصة وان الطريق مفتوحة من النعاني الى الرملة ، رغب كل شخص ان تأتي اليه عائلته ويلتم الشمل . وكان كل واحد يريد ان تلحقه عائلته يعطي اسماءهن لعبدالله الفولة . فرجع هذا الاخير ، واذا بمعظم النساء جاهزات . فاخبرهن انه لا يستطيع ان يأخذ الا (١٥) امرأة على الاكثر. خاصة وان اطفال بمعيتهن ، يصيحوا ويبكوا، فهناك خطر انكشاف امرهم . فاقنعهن وكان الفوج الاول (١٢) امرأة منهن : عائشة المصرية ، وسارة المصرية ، . اوصلهن الى النعاني عند ازواجهن الذين كانوا باستقبالهن . وهذا كان في اليوم الرابع لخروج اهل القرية من المغر" .

وقد كرر عبدالله الفولة عمله هذا ، ولكنه لم يخل من العقبات "ففي احد المرات ، وبينما هو خارج من البلد في الليل ، واثناء خروجه من طريق فيها صبر كثير ، شاهدته دورية يهودية ، وهو لما شافهم موه عليهم ، نط الزلمة من فوق سنسلة ترتفع (٥ر١) متر وشرد واختبأ بين الصبر ، اليهود طبعا اتصلوا مع بعض ، وتجمعوا وطوقوا المنطقة اللي هو فيها وبدأوا بالطخ والكلام : اطلع ، احنا ما بنقتلك ، وهذا الشي صار على بعد (٢٠) متر من دارنا ، والكل سامع وشايف ، لان داره عند دارنا . ولكنه لم يخرج ، فاستمروا باطلاق النار على المكان الذي اختبأ فيه حوالي الساعة ، ثم انسحب اليهود . بعد فترة قالت ستي حسنة محمود ، يا مرة قومي شوفي زوجك مات وللا طاب ، وفعلا قامت الزوجة حسنية جابر مع بنت عمها ، ولاقوه طيب ، قال لهن ، ارجعن انا بخير ، وانا برجع ."

---

* هناك روايات تذهب إلى أن عبدالله الفولة بقي مختبئا في المغارة وهنالك روايات اخرى تقول أنه هرب لقرية النعاني ثم عاد الى قريته متسللا لتفقد زوجته وعائلته .

مكتبة جامعة بير زيت
Digitized by Birzeit University Library

" وعندما دخل على النساء بعد نصف ساعة ، والنسوان قعدن يبوسن فيه اللي طلع بالسلامة .وكانت فرحتهم مزدوجة ، فهو حي ، علاوة على ان الجيش دخل على النسوان وسألهن عنه ، والله سلم ، وكانت بعد ذلك الدفعة الثانية : عشر نساء مع اطفالهن ". شاع الخبر حول التهريب بين نساء القرية ، فتجمع عدد كبير من نساء القرية في بيتنا ، وفي المرة الثالثة هرب اكبر مجموعة ، كنت انا من ضمنهم أحمد البلبيسي، وايضا اختين واخ طلعنا احنا الاربعة ".

ومع جهود هذا الشخص "عبدالله الفولة "*، الا انه لم يستطع اخراج كل نساء القرية ، فبعد عدة ايام كانت القرية ومن بقي فيها من النساء ، على موعد مع التهجير والترحيل ليبدأ فصل جديد وحياة من نمط جديد ، وليطلق عليهم اسم جديد: اللاجئون.

التهجير والتغييب:

تشتت أبناء قرية أبو شوشة على مراحل وبأنماط وبسياقات مختلفة . وانحصر النمط الاول في هروب المدافعين والحراس في الساعات الاولى من يوم ١٩٤٨/٥/١٤ . واولئك يبلغ عددهم قراية المائة، وهم المسلحون ومن آزرهم، والذين غلبوا على امرهم فاضطروا بسبب نفاد ذخيرتهم وعنف المهاجمين ، إلى الهروب عبر الطرق الوعرة والوديان والحقول ، ومنهم من نجا بنفسه وسلاحه، ومنهم من أخفى سلاحه وهرب .

اما النمط الثاني ، فهو الذي رصدناه -ايضا- عبر عمليات التسلل والتهريب، التي كان يقوم بها عبدالله الفولة ، وتمثلت بثلاثة افواج كان اكبرها الفوج الثالث الذي تكون من (٤٠) امرأة مع الاطفال ، وكان دافع هذا الشكل، الهروب من الجو النفسي المتوتر ، والخوف المشروع والمبرر من تصرفات، وسلوك قوات الذبح والقتل اليهودية، علاوة على محاولات كل فرد إعادة لحمة عائلته .

---

* بعد إجلاء أبناء القرية، كما سنرى تاليا، عاد عبدالله الفولة متسللا بصحبة مصطفى محمد براش، أحد أبناء أبو شوشة، ولما خرجا من القرية، بعد أن لم يفلحا في العثور على أحد، ألقي القبض عليهما من قبل دورية يهودية. وقرب قرية سلبيت أدرك مصطفى براش، الذي عرف العبرية، أن الدورية بصدد تصفيتهما فقفزا من السيارة، حيث أطلقت عليهما النار، فاستشهد عبدالله الفولة، ونجا مصطفى براش، الذي لا يزال على قيد الحياة .

الا ان المميز ، والملفت للنظر هو النمط الثالث الأخير وهو عملية التهجير القسري، التي نفذت بحق من بقي في القرية، ويقدر عددهم ب (٦٤٠) فردا معظمهم من النساء والأطفال وهم السواد الأعظم من أهل القرية .

استدعى اليهود الشيخ سلامة ، همزة الوصل ، واخبروه ان يستدعي النساء والاطفال فورا الى دار الخواجا . خرج الجميع لا يدرون ماذا ينتظرهم من مصير . كانوا يتساءلون : ماذا هناك ؟ ما الخطب ؟ ولم يملك احد جوابا . كانت ايديهم فارغة مستهجنين القرار والامر ، ولم ياخذوا معهم اي شيء اطلاقا . أما اليهود فكانوا يدبرون امرا اخر يتفق ومخططهم في "تكنيس" القرية من اهلها ، وقتل الحضور الفلسطيني وصناعة الفراغ ، وقد أعد الجنود للاهالي مراسيم وداعية احتفالية من نوع خاص ، حيث اصطف الجنود بخطين متوازيين ، نقطة البداية دار الخواجا ، ونقطة النهاية دار الشيخ اسماعيل شاهين على طول (١٠٠) متر تقريبا . وكانت المسافة بين الصفين لا تتجاوز (٣) أمتار . والمسافة بين الجندي والاخر ستة امتار تقريبا .

وجاء الامر للسكان :"امشوا من هون دغري - بين الصفين - على الملك عبدالله على القباب" ، وكانت ترابط في القباب شرقي أبو شوشة قوات تابعة للجيش العربي الاردني . بدأت النساء بالتذمر وطلبن العودة للبيوت ولو لساعة لاخذ بعض الاغراض، ولكن لم يسمح لهن ، وأرغمن على السير باتجاه القباب .

ولتكملة الصورة الاحتفالية وهذا الاستعراض ، ولإضفاء مسحات الإرهاب ، لتحتل هذه الصورة الذهن احتلالا أبديا ، راح الجنود اليهود يطلقون النار على الطابور بين ارجل المراد تهجيرهم وتشريدهم ، لا فرق بين طفل او امرأة ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل دب الحماس في صفوف بعض جنود اليهود المرابطين في الجهة المقابلة في جبل الجائحة ، فشاركوا في هذا المهرجان . وعلى حد قول الشهود٣٧ ان بعض النساء الحوامل اجهضن ، وان ثلاثا منهن اصبن بعيارات نارية وجرحن مثل امرأة صبري البنوي وبنت عبد المجيد طهراوي

Digitized by Birzeit University Library

وعمرها (١٢) سنة، والسيدة عزيزة اسماعيل منصور اصيبت بعيار ناري في رجلها، والسيدة فاطمة سليمان داود في كتفها ، بل ان طفلا صغيرا من قرية صيدون كان في القرية اصابته رصاصة حاقدة من جندي يهودي ، واسم هذا الطفل محمد سعيد عبد منصور (١٠ سنين) .وتوجه الجمع بجراحاتهم وعذاباتهم الى قرية القباب .

ولقد شكلت حالة العجز والترهل في ظل الأخبار التي تناقلها السكان الفلسطينيون حول المجازر والفظائع أمرا من شأنه أن يخدم اليهود أكثر من الرصاص. ونقتطف هذا الاقتباس للتدليل على ذلك: " أكثر القرى التي تأثرت هي القباب، بحكم جيرتها لأبو شوشة، وقرية عنابة، فهذول كانوا لا يزالون في البلد فلما وصل اليهم تفاصيل المجزرة، صعقوا، "وتعلموا" من الدرس، فخرجت القباب وعنابة. التأثير صار تلقائيا، بعد القباب بيت شنه، بعدها بير اماعين، والبرج، حتى وصل الخبر إلى بيت سيرا، ومعظم أهالي بيت سيرا على إثر معركة بلدنا رحلوا من هول ما حدث، حتى أن قسم من عمواس هربوا إلى عمان " .

خط سير الرحيل:

كان خط سير هذه الدفعة شرقا باتجاه قرية القباب ، فلم تكن قد احتلت بعد . وكان اهل القباب خير المستضيفين لاخوانهم أبناء قرية أبو شوشة ، فوفروا لهم المأوى والمسكن والطعام . وكان ذلك مؤقتا ؛ فالأجواء أجواء حرب وتصعيد ، والكل مهتم بامره .

وهذا بخلاف الدفعات السابقة اذ كان خط سير من تسلل بهم علي الفولة وعلى لسان احمد صالح البلبيسي حينذاك :"في حدود الساعة (٨) مساء ، اجا الزلمة - علي الفولة واطلعنا ، .. ظلينا ماشيين في الليل واجينا طرق ملتوية ، والحمد لله ما لقانا حواجز ، وعلى مشارف النعاني لاقانا شبابها يستقبلونا لانهم كانوا عارفين بقدومنا".

اما هروب المدافعين الاوائل ، فقد كان باتجاه النعاني ومنها الى الرملة .. . وكان من اولئك : اسماعيل البلبيسي ، ومحمد الحاج . وحصل ان وجد هذان الشخصان جرحى من قرية أبو شوشة، كانوا بحاجة الى مستشفى للعلاج فتوجهوا الى مستشفى الرملة. وبينما هم في الطريق ، فاذا بحاجز للجنود اليهود امام مستعمرة النعان : اوقفتهم "النقطة" - الحاجز - ، وطالبوهم بابراز وثائقهم الثبوتية - هوياتهم - الا انهم ليس بحوزتهم اي وثائق فهم خارجون من معركة ، مما لفت انتباه اليهود ، ففتشوهم فعثروا على الجرحى ، فسألوهم على الفور انتم

من قرية أبو شوشة؟ ولحسن الحظ كان مختار قرية النعاني وهو محمد حسن شاويش معهم، فبادرهم الرد سريعا : "نعم كانوا في أبو شوشة ، كانوا رعيان في قرية أبو شوشة واصيبوا ، بس مش من القرية ونحن ننقلهم الى الرملة للعلاج ."* ٣٨

فكانت المحطة الاولى قرية النعاني ، اما بعد ذلك فكان لكل عائلة معاناتها الخاصة، ولنأخذ حالة يوسف الحموي وأبو صالح البلبيسي والسيدة نزهة عيسى سليمان لتسليط الضوء على تلك المعاناة كنموذج للبقية فيقول يوسف الحموي :"كنا مشتتين في البلاد ، ننتظر في الناس ونتلمس اخبارهم ، فلما هجروهم على القباب ، اللي كان في القباب قريب من البلد عقل على عياله وصار يسأل عن الثانيين وين داروا ، وين راحوا . وصارت الناس تستفسر على بعض ، ويخبروا بعض وهكذا " .

ويفصح أحمد البلبيسي عن تجربته ومعاناته : "خرجن النسوان من القرية ، اتجهوا الى القباب ، وهناك انتظرن ريثما يأتوا جماعتهم من الرجال ، وعندما كان الشخص يلقط الخبر ان النسوان في القباب يذهب الى القباب ويلتقي بجماعته . اما احنا ، فانقسمنا قسمين : فبعض افراد العائلة رحنا على النعاني مع عبدالله الفولة . فرحنا والتقينا مع والدي في قرية النعاني ، وبعد يوم اخرجوا النساء على القباب - يوم الجمعة . وصلنا الخبر حول خروج النساء ، فخرجنا من النعاني ، وذهبنا الى جهة البرية ، ومن ورائها على خط القدس / الرملة ، ومن ثم وصلنا الى القباب . فوجدنا امي ومرت عمي وستي وخالاتي وبقية العائلة متجمعين ، ظلينا مع بعض حتى جاء خالي أبو اسماعيل واخذ عياله ، وجاء زوج خالتي احمد عبدالله فوده واخذ عائلته . نزلنا من القباب على بيت شنا ، ومنها على بير إماعين الى بيت عور حتى استقر بنا المطاف في رام الله . استمر هذا التجوال والتنقل بحدود عشرين يوما ، ومن ذلك الحين ونحن في رام الله ".

ولم تكن الامور سهلة ميسورة اثناء التنقل ، فيتذكر يوسف الحموي انه في الطريق الى قرية القباب للاجتماع بعائلته ، وجد امرأة صبري البنوي جريحة قرب طهرة يردة يحملها "ختيار" بصعوبة، وكانت تلك المرأة قد اصابها عيار ناري اثناء الخروج ، فقام يوسف الحموي بحملها اكثر من ثلاثة كيلومترات على ظهره من يردة حتى بيت ابراهيم حسن .

---

* على ما يبدو كان هذا خطا ثابتا لليهود: قتل كل أفراد القرية ويدعم تلك الرواية، رواية اخرى شاهدها يوسف الحموي بعينه فيقول: " كنا نطلع على جبل موسى الطليعة في الجهة الشرقية كان يهود شيء لا يطاق، وهناك مسكوا ثلاثة في واد الجايحة ذبحوا اثنين محمود صبحة وابن علي عوض. محمود الحموي ابن عمي قال لهم أنا من رافات راعي هان، عصبوا عينيه واخذوه في الدبابة ومرت فيه لقرب رافات واطلقت سراحه ".

Digitized by Birzeit University Library

ومع انهم كانوا مشتتين ، الا ان نسبة لا بأس بها من أبناء أبو شوشة التقوا في بيت عور، ومن هناك كان الفراق: الى عمان او رام الله وغيرها .

تقول السيدة نزهة عيسى سليمان :"بعد القباب رحلنا عن طريق اللطرون ، انا والبنات حبينا نييجي على بيت عور عند ناس بنعرفهم ، واولاد سلفي راحوا على قرية جمالة عند نسايبهم ، قعدنا يوم في بيت عور ، بعدين اجا واحد من اولاد سلفي حتى يوخذنا عندهم على جمالة وبقينا بدنا نروح الا جوزي جاي ، بقا حارس مسلح من حراس القرية وشرد على الرملة وتأخر ورانا بعدها رحلنا الى عين عريك وقعدنا عند ناس معارف ".

لقد ولدت لدى اهل القرية فكرة التحرك باتجاه الشرق ، ولكن الجميع لم يتخذوا وجهة واحدة ، لانهم اولا مشتتون ، وثانيا كان تحرك الناس صوب اي مكان حسب معارف كل عائلة طمعا في المساعدة والالتجاء وتوفير المأوى للابناء .

اصبحت "هوية لاجيء" ،هويتهم الجديدة التي نعتوا بها دليلا على إخراجهم من أرضهم ؛ فكل قرية يعبرونها يقول الناس عنهم : "اوه ، هذول من أبو شوشة لاجئين بدوروا على بعض" وكان موقف الناس من اولئك اللاجئين مشرفا بشكل عام، واخص بالذكر موقف قرية النعاني الذين استقبلوا القادمين، وقدموا لهم الطعام والمأوى. واستقبال أبناء النعاني لهم كشف عن معدن الفلسطينيين الاصيل .

التسلل:

شكل سيناريو التهجير ، وخروج أبناء القرية صفر اليدين تاركين وراءهم كل ما يملكون ، حافزا قويا واضطراريا لبعض الرجال كي يعودوا الى القرية كمتسللين رغم كل المخاطر ، بغية الحصول على ما يمكن الحصول عليه من ذهب او نقود كان قد تم اخفاؤها ، او اي شيء ؛ فلم يكن العيش سهلا ، وظروف الحرب ألقت بظلالها على مجمل الحال في فلسطين ، ولم ينفع ، وغير مقبول –أصلا– بقاء المهجرين عالة على القرى التي يعبرونها ، ولم يجد الرجال عملا ، ولم ينفع كذلك بيع بنادقهم لشراء الخبز بعد خروجهم المفاجيء . وفي هذا الصدد تحدثنا الراوية نزهة عيسى قائلة: "لما نادونا حتى نتجمع في دار الخواجا ، انا اتحيرت شو بدي اعمل في ذهباتي والمصاري اللي معي . حطيتهن في الاول في عبي وحملت بنتي اللي عمرها (٤٠) يوما وخواتها الكبار معي

وامشينا سوا ، لكن انا مش مطمئن وخايف انهم يفتشونا ، فاعطيت البنت الصغيرة لاختها ، ورحت على حاكورة البيت وطلت الذهب والمصاري من عبي وحطيتهن في حزامي ودفنت الحزام وصرت ادمل فيه في تراب وقلت ما احنا راجعين ان شاء الله ، وبعدين مشينا حتى وصلنا مكان التجمع . هناك اخرجونا غصب عنا على طريق القباب ومنعونا نرجع على بيوتنا . انا انجنيت وقلت رحن الذهبات !! يا ريت لو خليتهن في عبي !

هناك سمع جوزي انه في ناس تسللت الى أبو شوشة وجابت اغراضها ، فقرر انه يرجع يتسلل . وصفته وين دفنت الحزام واخذ البنات معه حتى يحملن اغراض من دارنا وتسهلوا . اجو في الاول على الرملة لانها بقت مش ساقطة بعدها . وهناك التقى مع اخوه جاي لنفس الغرض . تسللوا جميعهم نحو البلد ودخلوها وطال الحزام وحمل البنات اغراض وروحهن مع عمهن في طريق وهو اجا طريق ثانية حتى يطول بارودته كان مخبيها وهو شارد . فعلا طالها ولفها في لحاف كان حامله مخصوص ومشى . في الطريق شافوه اليهود وصاحوا عليه ، فرمى اللحاف بالبارودة وشرد . الظاهر ما كانوا مشددين والا كان بامكانهم يقتلوه زي ما قال . وصل اللطرون والتقى مع اخوه والبنات وبعدين وصلونا على عين عريك . لما وصلوا ، صاحوا البنات: يما يما هذا حزامك !! اه والله حزامي ، الحمدلله على السلامة . بعدها انتعشنا شوي وصرنا نشتري لوازمنا من اللبس وغيره وظلينا على امل الرجعة ".

تعممت حالات التسلل حتى وصلت "العدوى" الى الكثيرين من رجال أبو شوشة ، ويمكننا تقسيم أولئك إلى : قسم تسلل في البداية عدة مرات لاحضار أغراض بيته ومحتويات منزله (ادواته المنزلية ، عفش البيت ، فرشات ، لحفة) علاوة على الأموال والذهب والنقود ان وجدت ، او كانت مخبأة . واستمر هذا طيلة الأسبوعين الاول والثاني إجمالا .

ثم تحول التسلل – وهذا القسم الثاني – إلى قطف الغرس والحصاد وقطع الذرة ، فهذه كلها جاهزة تنتظر من يجني مردودها؛ فتطور التسلل واتسع نطاقه ليشمل هذه الأصناف ، لتجري عليها العمليات الاخرى لتصبح جاهزة للبيع او الاكل . وهذا النوع هو الاخر اضطراري لعدم وجود مصادر الرزق ، ووجود الثمر والمحاصيل الجاهزة للقطف الامر الذي اثار حفيظة السكان حتى استهانوا بالاخطار المترتبة والمتوقعة .

استمر هذا الامر حتى انتهاء موسم الحصاد، إلا أن المنخرطين في هذا المجال كانوا اقل من اولئك الذين شاركوا في عمليات التسلل في القسم الاول .

Digitized by Birzeit University Library

سادت فترة من تجمد عمليات التسلل بعد ذلك، باستثناء اثنين من المحترفين المغامرين اللذين لم ينقطعا عن ذلك النشاط قط، أحدهما من قرية النعاني ويلقب "بالواوي" ، اما الثاني فهو من قرية أبو شوشة ويسمى ابراهيم الغوج ، تخصصا في اخذ كل ما يقع تحت عيونهما حتى وصل بهم الامر الى تقطيع اسلاك الهاتف وغيرها ليبيعوها ، واستردوا بعض البقر، وكان يتم بيع "انتاجهم" إلى الحاميات وإلى الجيش العربي الأردني .

أما مسألة تعامل الجيش العربي الأردني، وموقفه من المتسللين ، فقد أفاد أحمد صالح البلبيسي ويوسف سعيد الحموي ان الجيش الاردني القى القبض فعلا على المتسللين ، الا ان الامر كان موكولا الى الجندي الذي ينفذ عملية إلقاء القبض ، ويخضع التصرف حينئذ الى مزاجية ذلك الجندي او الضابط ، فاحيانا كان يتم تجريد المتسللين من كل ما اخذوه ، واحيانا اخرى يحاكمون ويغرمون ، ومرات كان يشعر ذلك الجندي بمعاناة هذا الشخص المتسلل الذي يفترش الارض ويلتحف السماء ، ونتيجة لهذا التعاطف يتركه ليذهب إلى حال سبيله .

واذا كان ينبغي لنا ان نتطرق الى موقف اليهود من عمليات التسلل هذه ، وكيف كانوا يغضون الطرف عن مثل تلك الحوادث ، فلربما كان لقلة عدد اليهود في القرية بسبب إسراع لواء غفعاتي لنجدة ومساندة الوية اخرى مثلما هب لمساعدة لواء هارئيل بعد استدعائه للتوجه الى طريق القدس في ٤٨/٥/١١ . وفي أبو شوشة حدث الأمر نفسه إذ كانت المعارك قد اشتعلت بعنف في عراق سويدان لتغلغل الجيش المصري فور انتهاء الانتداب وتهديد تل ابيب والقدس ، فهب لواء غفعاتي لمساندة لواء النقب خاصة وان اربع مستوطنات كانت على وشك السقوط. ٣٩

ولذلك كان حجم القوات التي بقيت في القرية ، اقل بكثير من تلك التي هاجمتها . وحسب ما اورده الرواة من وصف لعملية تهجير النساء والاطفال ، فان ما لا يزيد على (١٥٠) جنديا ظلوا في القرية ، حيث تحقق الهدف باحتلال أبو شوشة ، اخر قرية عربية على حدود قرار التقسيم ، وكان من الضروري الحفاظ عليه ، علاوة على تدهور الوضع العسكري في جنوبي فلسطين ، واحتدام المعارك في سائر الجهات . ويظهر ان اليهود لم يكونوا يتوقعون هجوما تشنه الجيوش العربية .وساهم عدم رغبة اليهود الباقين في القرية بفتح "جبهة" جديدة مهما كانت صغيرة ، في عدم التحرش بالمتسللين . والدليل على هشاشة حراسة القرية هو نجاح ذلك

الهجوم المفاجيء الذي قام به البدو في احتلال القرية بتاريخ ٤٨/٦/١٠ وقيام لواء يفتاح باعادة الاحتلال لان غفعاتي كان مشغولا بشكل كامل.

ولذلك ، غض اليهود الطرف عن المتسللين طالما لم يحتك اولئك المتسللون بالحامية اليهودية ، وطالما تم تثبيت تفريغ القرية من سكانها . فأبو شوشة قرية "محررة" من وجهة نظر اليهود ويكفيهم في هذه المرحلة ، وبموجب هذه الظروف الحفاظ على الوضع الراهن ، ولا يضيرهم قيام بعض الافراد بالدخول خلسة الى القرية واخذ حاجياتهم ثم الانصراف تحت جنح الليل.

تدمير القرية:

وخلافا لما يرويه بني موريس فلم يقم المعتدون بتدمير القرية فور دخولها ، بل انهم لم ينسفوا اي منزل بعد الهجوم النهائي ويوم الوقعة ٥/١٤* ، واسباب ذلك ، تعود باعتقادي الى : الوضع العسكري و الاداري ، والتوقيت .

من الناحية العسكرية ، كان الوضع كما ذكرنا سابقا ، وهذا تطلب من القوات العسكرية المتواجدة في تلك المنطقة : غفعاتي والمستوطنين "حيث كان ٥٠٠ - ٦٠٠ مسلح موجودين في غديره ، ومنهمكين بحفر الخنادق والخط الداخلي هو خلدة وجيزر، أبو شوشة، ونعان، النعاني . " ٤٠ ... اضافة الى انه كان على بعض القوات غير المنخرطة في القتال العمل على جمع السلاح من المستوطنين وغيرهم، حيث جمع غفعاتي (٣٥٠) بندقية في ٤٨/٥/١٧ ، ثم بسبب الحرب والقصف مما أوجب على لواء غفعاتي اجلاء الاطفال عن مستوطنات منطقته .

---

*يقول المؤرخ بني موريس :" في ليلة ١٤/١٣ ايار هوجمت قرية أبو شوشة ، بقنابل الهاون ، فهرب سكانها ، ونسفت بيوتها" . ص ١٢٥ . ومما يجدر ذكره أن د. صالح عبد الجواد كان قابل المؤرخ الاسرائيلي بني موريس، ولدى سؤاله حول اذا ما كان يعلم بوجود مذبحة في أبو شوشة أجاب بالنفي، وأن الملفات الخاصة بالمجازر والموجودة في أرشيف " جيش الدفاع الاسرائيلي" في جفعاتيم (تل ابيب) لا يسمح بمراجعتها وأوضح موريس ردا على سؤال آخر، أن معلوماته عن قرية الدوايمة تم الحصول عليها بطرق غير رسمية.

Digitized by Birzeit University Library

ثم ان لواء "غفعاتي" الذي استنزف في حرب عام ٤٨ ، كان عليه القيام بعمليات اخرى تتطلبها الخارطة العسكرية الجديدة ، فتم التحضير لعمليات عسكرية اخرى ، اوكلت اليه في ٤٨/٥/٢٤ منطلقة من خلدة وأبو شوشة والنعاني. ٤١

اما السبب الثاني فانه اداري يتعلق بتنفيذ اعمال الهدم في قرى متروكة او محتلة ، وفي احياء عربية في المدن المختلطة .وكانت بداية الطرح لهذا الامر بشكل رسمي ومثبت ، في ٤٨/٥/٨ ، حيث دار النقاش في احدى جلسات القيادة الصهيونية في ذلك التاريخ حول حاجتهم الى قانون خاص بالمدن او القرى المحتلة ، فمن سيكون الحاكم ، وما هي سلطته ومصادرها ؟ ماذا يفعلون بالاسرى ؟ أيتواجد في تلك المنطقة المحتلة "المحررة" جيش ام شرطة ؟ ما هي القرى الواجب تدميرها ؟ حيث كان يرى فايتس انه يجب استيطان (١٠٠) قرية ، بينما رأى ليفشيتس انه يجب تحديد القرى التي لا يسمح بالعودة اليها في اية حال من الاحوال ، واقترح تأمين قطاع معين على الحدود مثلا (١٠) كم يحظر عودة "العدو" اليه ، وهناك قرى يجب هدمها ، وهناك قرى يجب الحفاظ عليها وترتيب تنمية مشتركة : يهودية / عربية. ٤٢

وهذا الخلاف حول طبيعة القانون الواجب تنفيذه في القرى وعدم حسمه في حينه اذ تم ادراج تدمير القرى العربية" على جدول اعمال الحكومة فيما بعد في جلسات عقدت بتواريخ ١٦و ٢٠، ٢٣، ٢٧ و٣٠ حزيران ٤٨، تزامن مع الوضع العسكري ، ومع توقيت إنهاء الانتداب، وإعلان قيام الدولة العبرية ، ودخول الجيوش العربية في ١٥/أيار ٤٨، كل تلك الجهود تنصب على القضايا المصيرية الحساسة ، وعدم الانشغال بتدمير القرى وانما ، عمل ما يلزم لاحتلال القرى والمدن حتى لو ادى الى نسفها، اما نسفها بعد دخولها فاني اميلُ الى عدم انشغال اليهود بذلك لما ابديت من اسباب ، ولسبب اخير وهام هو محاولة استغلالها للاستيطان اذ ظهر التناقض بين قضية ايواء المهاجرين الجدد الذي تتطلب اعادة ترميم قرى عربية بهذا الغرض وبين سياسة تدمير القرى. ٤٣

- بعد عدوان ١٩٦٧ حج الكثير من ابناء القرية الى مسقط رأسهم : أبوشوشة ، ملبين نداء الفطرة في حب الوطن ، ولامتحان العقل والقلب : أما زالوا يذكرون القرية؟ وكان احمد صالح البلبيسي من الذين قاموا بزيارة قريته زيارات عديدة ، فكانت زيارته الاولى للقرية عام ١٩٧٢م، ويصف القرية بانها عبارة عن مجموعة من الحجارة ، كل بيت يشكل "رجم" ، وعلى الرغم من تهديم البيوت الا ان معالم القرية كانت ظاهرة للعيان . وفي زيارة اخرى عام

١٩٧٨م /١٩٧٩ ، كانت هذه الاثار والمعالم قد ازيلت ، وسطح القرية كان قد تعرض لعملية جرف كبيرة . وكانت المرة التالية قبيل اندلاع الانتفاضة العارمة اي عام ٨٧ ، فاذا بسطح القرية قد زرع بالاشجار المثمرة (برقوق ، خوخ ..) حتى لا توجد امكانية لمعرفة مكان هذا البيت من ذاك ، وجل ما يمكن معرفته الحارات : الحارة الغربية والحارة الشرقية وموقع أبو شوشة .

أما عن موعد تدميرها ونسفها، فيذهب الإعتقاد إلى أن ذلك قد تم بعد ١٩٦٧، ويعزز هذا زيارات بعض أبناء القرية لها. فيذكر أحمد البلبيسي أنه في احدى زياراته التقى مع راعي بقر، فأخبرهم هذا الأخير أن القرية كانت موجودة بشوارعها وبيوتها حتى عام ١٩٦٧. ولكن بعد الحرب هدمت. وبدأت المحاولات لتزييف التاريخ والمواقع لاعادة تركيب تاريخ القرية محاولين قطع ذلك الرابط الروحي الوجداني بين أبناء أبو شوشة وقريتهم .

Digitized by Birzeit University Library

القرى المدمرة في قضاء الرملة

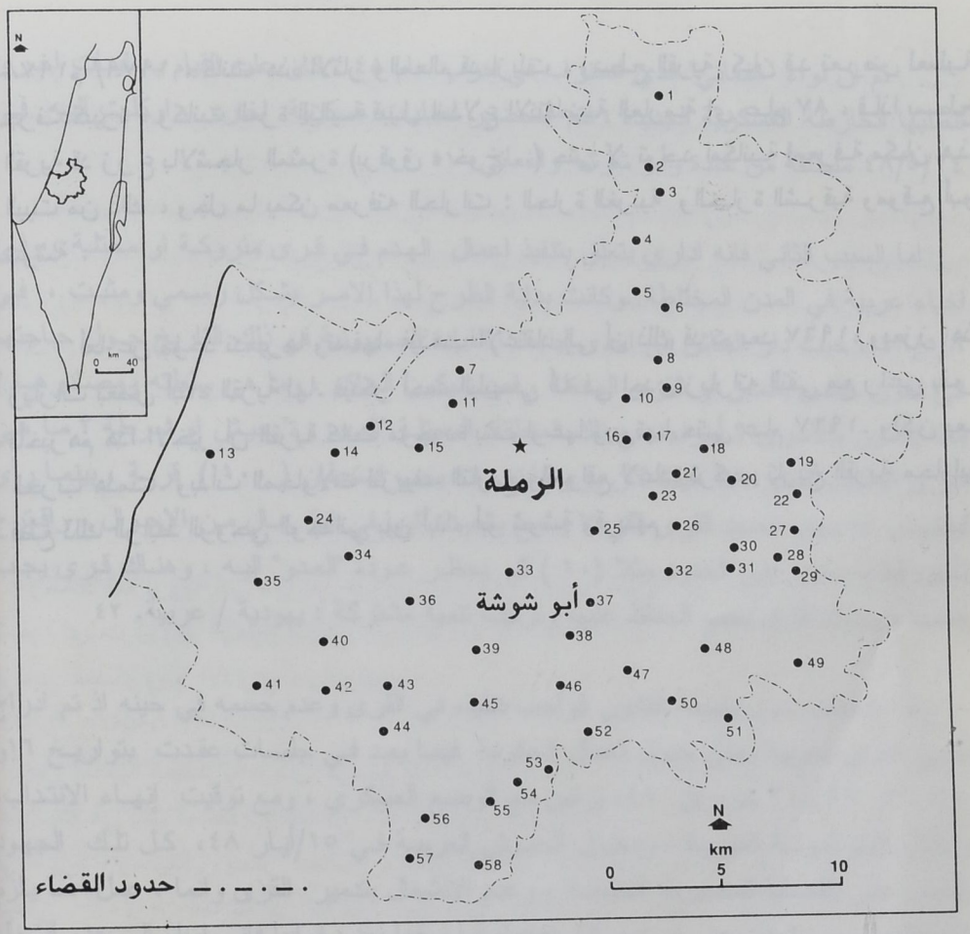

١ - مجدل يابا
٢ - المزيرعة
٣ - قولة
٤ - طيرة دندن
٥ - دير طريف
٦ - بيت نبالا
٧ - صرفند العمار
٨ - الحديثه
٩ - دير ابو سلامه
١٠- خربة الظهيرية
١١-أبو الفضل
١٢- صرفند الخراب
١٣-النبي روبين
١٤-وادي حنين
١٥-بير سالم
١٦- دانيال
١٧- جمزو
١٨- خربة زكريا
١٩- شلتا
٢٠- برقا
٢١- خروبة
٢٢- البرج
٢٣- عنابة
٢٤- القبيبة
٢٥- البرية
٢٦- الكنيسة
٢٧- بير اماعين
٢٨- خربة البويرة
٢٩- عجنجول
٣٠- بيت شنه
٣١- سلبيت
٣٢- القباب
٣٣- النعاني
٣٤- زرنوقة
٣٥- يبنا
٣٦- عاقر
٣٧- أبو شوشة
٣٨- صيدون
٣٩- المنصورة
٤٠- المغار
٤١- بشيت
٤٢- قطرة
٤٣- شحمة
٤٤- المخيزن
٤٥- أم كلخة
٤٦- خلدة
٤٧- دير محيسن
٤٨- اللطرون
٤٩- دير أيوب
٥٠- بيت جيز
٥١- بيت سوسين
٥٢- خربة بيت فار
٥٣- سجد
٥٤- قزازة
٥٥- جليا
٥٦- الخيمة
٥٧- التينة
٥٨- إبنة

عربت في مركز الأبحاث عن : All That Remains,Edt.WalidKhalidi

القرية اليوم

ان الزائر الى موقع بيوت أبو شوشة لا يرى الا اشجارا من الخوخ والبرقوق مرتبة في صفوف دون اي اثر لبقايا بيوت بينها وعلى ارضها ، وبذلك يصعب التصديق ان قرية كبيرة كانت تقوم مكان هذه الاشجار حتى عام ٤٨ ؛ فالذي حصل ان البيوت جرفت ومحيت تماما ، وحرثت مواقعها واستعملت كارض لمستوطنة زراعية يطلق عليها اليوم اسم كرمي يوسف. ٤٤

اما بقية اراضي القرية ، فقد اقيم عليها عدة مستوطنات ، الاولى مستوطنة جيزر * واقيمت عام ٤٥ في ظاهر التل الشمالي ، والثانية مستوطنة بتاحيا واقيمت عام ١٩٥١ في ظاهر أبو شوشة الجنوبي الغربي، اما الثالثة فكانت مستوطنة بيت عزيل واقيمت عام ١٩٥٥ في ظاهر أبو شوشة الغربي ٤٥. وفي ايامنا هذه ، تغطي هذه المستوطنات الاربع (الزراعية منها وغير الزراعية) معظم أراضي القرية . وما تبقى من أرض على المنحدرات الجبلية والوديان فهو مزروع باشجار المشمش .

ومع هذا المحو شبه التام للقرية ، الا ان موقعها ما زال يحوي بعض اشجار السرو والتين والصبر والرمان وشجرة واحدة من النخيل ، تعتبر دليلا على وجود قرية عربية في الماضي .

وعلى صعيد المهجرين من اهالي أبو شوشة ، فحوالي النصف منهم يتواجد في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومعظم هؤلاء يعيشون في مدينة رام الله ومخيم الامعري، ويتوزع القليل منهم بين مخيم شعفاط وبيت عنان وعين عريك وبيرزيت والعروب وغزة واريحا ، اما النصف الاخر فهم خارج فلسطين في الاردن ودول عربية واجنبية .

---

* جيزر : كيبوتس تابع لحركة الكيبوتس الموحد لمهاجرين من حركة "هداسه" للشبيبة العاملة . في عام ١٩٦٤ انحل هذا الكيبوتس ومنذ ذلك الحين تقطن فيه مجموعة من الشبيبة يتم تبديلهم بين فترة واخرى ، تبع الكيبوتس عام (١٩٩٠) لمستوطنين من اميركا وعدد سكانه حوالي (١٠٠) نسمة ومساحة اراضيه ما يزيد عن (٥٠٠٠) دونم) (كل مكان واثر في فلسطين . ترجمة ومطالعة عيد حجاج . ج١ . عمان: منشورات مركز الدراسات العبرية /الجامعة الاردنية ١٩٩٠ ص ١٥١) .

Digitized by Birzeit University Library

في الوقت الحاضر ، ما زالت مناسبات الافراح والمآتم تجمع اهالي أبو شوشة . وهم بصدد تشكيل رابطة او جمعية لهم تعزز من تقاربهم وتعاونهم .

وفي الختام ، نسجل ما فاضت به مشاعر أحد أبناء القرية ، وأحد الرواة لهذا البحث وهو السيد عبد السلام شاهين ،خريج الصف الخامس الابتدائي والذي يعبر عن حنينه لقريته بقوله:

أبو شوشة ارقت الفؤاد وهاجني ... لذكراك دمع ما اراه يبيد
أبو شوشة انت الام لا ام بعدها ... وحبك دوما في القلوب يزيد
أبو شوشة هل من عودة نحتظي بها ... ويصبح مخزون الفؤاد سعيد
أبو شوشة والايام تجري سريعة ... كريح بايام الشتاء شديد
أبو شوشة والتل الكبير شمالها ... وجنوبها بئر السقاء عتيد
أبو شوشة والسهل المديد بغربها ... وفي الشرق جائحة بسقف مشيد
وفي اهلها عز ومجد وسؤدد ... وفخر واجلال وقبر شهيد
لك الله يا بلدي ويا خير منزل ... ويا خير ارض سالف وجديد

الهوامش

Digitized by Birzeit University Library

هوامش الفصل الاول
القسم الجغرافي

(١) هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية. القسم العام . المجلد ١، دمشق، ١٩٨٤. ص ٤٧ - ٤٩ .

(2) Hadawi, Sami : Village Statistics 1945, A Classification of Land and Area Ownership in Palestine., Beirut : Research Center , P.L.O . September, 1920. P.72

(3) Khalidi, Walid . All that Remains : The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948 . Washington, D.C : Institute for Palestine Studies, 1992. p.358.

(٤) عراف، شكري. المواقع الفلسطينية بين عهدين - خريطتين. القدس : مطبعة الشرق العربية، ٢٥ ايار ١٩٩٢. ص ٢٢٠ .

(٥) باب الواد يقصد به الواد نفسه اي واد علي ومداخله، والطرق المؤدية اليه، والمتشعبة منه، والهضاب المطلة عليه، والقرى الكائنة على مقربة منه، ومن هذه القرى عمواس واللطرون "وتل الجزر" وأبو شوشة ويالو ودير أيوب. (العارف، عارف : نكبة فلسطين والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٥. ج٢. دار الهدى. ص ٤٩٢ - ٤٩٣).

(6) Hadawi, P114 and P 164 .

(٧) الحموي، يوسف سعيد /أبو السعيد/ (٦٨ سنة) صاحب محل تجاري في رام الله، مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/١٩ في رام الله. منفذ المقابلة : فاهوم الشلبي. شريط تسجيل رقم : ٢ حول قرية أبو شوشة .

(٨) المصدر السابق نفسه .

(9) Israel - Geological Map. 1 : 500.000. Printed by : Survey of Israel, 1979.

(١٠) الموسوعة الفلسطينية. مصدر سبق ذكره . ج٢. ص. ٥٩٥ .

(١١) المصدر السابق، ج٢. ص. ٥٩٦ .

(١٢) شاهين، عبد السلام محمد علي (أبو احمد) (٥٦ سنة). مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١٤ في مخيم العروب / الخليل بحضور مصطفى محمد علي شاهين ابو عصام (٤٨) سنة. منفذ المقابلة: نصر عمر يعقوب. شريط تسجيل رقم "١" . حول قرية أبو شوشة .

(١٣) دائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية: موسوعة المدن الفلسطينية. دمشق : الاهالي للطباعة، ١٩٩٠ . ص ٣٣٦ .

(١٤) المصدر السابق نفسه. ص ٣٣٦ .

(١٥) الحموي، مقابلة اشير اليها سابقا (١٩٩٣/٧/١٩).

Digitized by Birzeit University Library

(١٦) شاهين . مقابلة أشير اليها سابقا .

(١٧) الحموي، مقابلة اشير اليها سابقا (١٩٩٣/٧/١٩).

(١٨) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الاخير حول الرحيل .

(١٩) الحموي، مقابلة اشير اليها سابقا .

(٢٠) شاهين ، مقابلة اشير اليها سابقا .

(٢١) موسوعة المدن الفلسطينية. مصدر سابق . ص . ٣٣٦ .

(22) Statistical Abstract of Palestine , 1943. no 11 of 1944, Jerusalem, The Government Printing Press, 7th. ed. 1943. P.P66.70

(٢٣) موسوعة المدن الفلسطينية ، مصدر سابق . ص ٣٣٧ .

(٢٤) شاهين، مقابلة أشير إليها سابقا.

(٢٥) أبو لبن، خميس محمود (٨٠ سنة) مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/٩ في رام الله . أجرى المقابلة فاهوم شلبي . شريط تسجيل رقم ٧.

(٢٦) موسوعة المدن الفلسطينية. مصدر سابق، ص. ٣٣٨.

(٢٧) البلبيسي، أحمد صالح /أبو صالح/ (٥٥ سنة) وهو يعمل الآن مديرا لمدرسة ذكور بيتين ، مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٥/٢٦ في رام الله . اجرى المقابلة : فاهوم شلبي . شريط رقم ٢ / أبو شوشة – الناحية الاقتصادية .

(٢٨) البئر الكفري هو البئر الروماني ، أو البئر القديم عموما (أنظر الموسوعة الفلسطينية ، القسم العام مجلد ١. غ غ).

(٢٩) الحموي ، راو ذكر سابقا ، مقابلة ثانية تمت في مركز الابحاث/ جامعة بيرزيت أجريت بتاريخ (١٩٩٤/١٠/١)، بحضور د. وليد مصطفى والسيد احمد صالح البلبيسي منفذ المقابلة نصر عمر يعقوب. شريط رقم "٣"

(٣٠) شاهين ، مصدر أشير اليه سابقا .

(٣١) المصدر السابق نفسه .

(٣٢) سليمان، نزهة عيسى (٨٠ سنة) ، مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/١ في بيرزيت . أجرى المقابلة : فاهوم شلبي . شريط تسجيل رقم (٥) ، حول أبو شوشة.

(٣٣) البلبيسي . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٣٤) موسوعة المدن الفلسطينية . مصدر سابق . ص . ٣٣٨

(٣٥) سليمان . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٣٦) شاهين . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٣٧) المصدر السابق نفسه.

(٣٨) البلبيسي . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٣٩) المصدر السابق نفسه.

(٤٠) يوسف سعيد الحموي . مقابلة أشير إليها سابقا (١٩٩٤/١٠/١)

(٤١) شاهين . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٤٢) الحموي . مقابلة أشير إليها سابقا (١٩٩٤/١٠/١)

(٤٣) أبو لبن . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٤٤) سليمان . مقابلة أشير إليها سابقا.

(٤٥) شاهين . مقابلة أشير إليها سابقا.

هوامش الفصل الثاني

أبو شوشة عبر التاريخ

(١) الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. ج١ ق١، طبعة جديدة، دار الهدى، ١٩٩١، ص ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣٧ .

(٣) الدباغ، مصدر سابق، ج٤، ق٢، ص ٨٤ .

(٤) المصدر السابق ج١ ق١، ص ٤٣٨.

(٥) (الكتاب المقدس): سفر الملوك ٩، ١٦ : ١٧، ص ٥٥٠.

(٦) الدباغ: مصدر سابق ج٤ ق٢، ص ٨٥.

(٧) هيئة الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق م٢، ص ٣٦ .

(٨) المصدر السابق م١، ص ٤٧ .

(٩) المصدر السابق نفسه.

(١٠) الحموي، ياقوت : معجم البلدان. ج٢، ص ٤٨ .

(١١) الحنبلي ، مجير الدين : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . عمان : مكتبة المحتسب ، ١٩٧٣ ص ٣٧٤ وما بعدها.

12) Encyclopedia of Archaeological Excavations in The Holy Land . Vol : 11 (Jerusalem (1976) p.p. 428 - 448.

Digitized by Birzeit University Library

13) Abdul Fattah Kamal and Hutterath , Walf Diter :
Historical Geography of Palestine , Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century. Erlanen , 1977 p 154.

14) Conder , L.C.Rand Kitchener , L.H.H. The Survey of western Palestine . vol. 2, sheet 16 , Jerusalem , Kedem publishing , 1920 , section c , p 444.

(١٥) شاهين، عبد السلام محمد علي /أبو احمد/ (٥٦ سنة) ، ومصطفى محمد علي شاهين (أبو عصام) (٤٧ سنة) مقابلة شفوية مسجلة أجريت بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١٤ في مخيم العروب / الخليل . منفذ المقابلة نصر عمر يعقوب . شريط رقم "١" .حول قرية أبو شوشة : اسئلة متنوعة.

(١٦) الدباغ . مصدر سابق ج٤ ق٢، ص ٥٧٣ .

(١٧) شاهين، مقابلة تم الاشارة اليها .

(١٨) المصدر السابق نفسه .

19) Macalister , R.A.S: The Excavation of Gezer . 1902 - 1905 and 1905 , 1909. London , J. Murray , 1912 .

(٢٠) إبراهيم ، معاوية " فلسطين من اقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد ". الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني م٢ ، دمشق: ١٩٩٠ ،ص ٦٣.

(٢١) الدباغ ، مصدر سابق ، ج١ ق ١ ص ٥١٤.

(٢٢) المصدر السابق، ج١ ق١، ص٥١٠ .

23) Khalidi , p 358

(٢٤) الدباغ ، ج١ , ق ١ ، ص ٥٢١.

(٢٥) المصدر السابق نفسه.

(٢٦) برستيد ، هنري جيمس . تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي . ترجمة حسن كمال . القاهرة : المطبعة الاميرية ، ١٩٢٩ . ص ٣١٤.

(٢٧) حول موضوع: الفلسطينيين في العهد القديم : انظر:

Yahya , Adel . The Origin of the Philistines .1986.p.p. 20 - 22.

(٢٨) الدباغ ، ج ١ ق ١ ص ٥٣٦.

(٢٩) المصدر السابق ص . ٥٦٢

(٣٠) المصدر السابق نفسه، ص ٥٦٤ - ٥٦٦ .

(٣١) إبراهيم، معاوية، مصدر سابق، ص١٧ .

32) Khalidi , p 358

(٣٣) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا، شريط رقم "٢".

(٣٤) موسوعة المدن الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣٥) العارف ، عازف : نكبة فلسطين والفردوس المفقود ، ١٩٤٧ - ١٩٥٥ . د.م، دار الهدى ، ج٢ ص .٤٩٣

(٣٦) شكيل، هادية دجاني، برهان الدجاني (محرران) : الصراع الاسلامي - الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى . بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية . ١٩٩٤ . ص ٢٤٧ .

37) Encyclopedia of Archaeological Excavations,pp428 - 443 .

(٣٨) الحموي، راو ذكر سابقا، مقابلة شفوية مسجلة تمت في رام الله بتاريخ ٩٣/٧/٢١، منفذ المقابلة: فاهوم شلبي.

(٣٩) المصدر السابق نفسه .

(٤٠) الدباغ ، مصدر سابق ، ج ٤ ق ١، ص ٨٨ .

(٤١) انظر المناقشة كاملة في كتاب بهجت صبري ، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩٢٠) ص .١٤٨

(٤٢) الحموي، راو ذكر سابقا، مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ ٢٢/٥/ ٩٣ في رام الله، منفذ المقابلة فاهوم شلبي.

(٤٣) الغوري ، اميل. ١٥ ايار ١٩٤٨ : دراسة سياسية علمية مركزة عن الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين . بيروت : دار النشر العربية . الكتاب العربي ٤، ١٩٥٩ ص ٧٣ وما بعدها.

(٤٤) هذا بشهادة معظم الرواة الذين جرت معهم المقابلات.

(٤٥) الحموي ، مقابلة اشير اليها سابقا : (٩٣/١٠/١) شريط تسجيل رقم ٣ .

(٤٦) أبو لبن ، مقابلة اشير اليها سابقا.

(٤٧) الحموي . مقابلة اشير اليها سابقا (٩٣/٧/٢١) .

(٤٨) المصدر السابق، مقابلة تم الاشارة اليها (٩٤/١٠/١) شريط رقم ٤ .

(٤٩) المصدر السابق نفسه .

(٥٠) المصدر السابق نفسه، شريط رقم ٤ .

(٥١) البلبيسي، احمد صالح، راو ذكر سابقا، مقابلة شفوية مسجلة، تمت في مركز ابحاث / جامعة بيرزيت بتاريخ (٩٤/١١/٣) منفذ المقابلة نصر يعقوب.

(٥٢) الحموي . مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١) شريط رقم ٢ .

(٥٣) البلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١).

(٥٤) سالم، حامد تقرير غير منشور صادر من المعهد الفلسطيني للاثار/ جامعة بيرزيت .

Digitized by Birzeit University Library

(٥٥) المصدر السابق نفسه.

56) Conder and Kitchener , p 428 - 432.

(٥٧) سالم، حامد، مصدر ذكر سابقا .

(٥٨) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا، شريط تسجيل رقم ٢ .

(٥٩) المصدر السابق نفسه.

(٦٠) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا، شريط تسجيل رقم ١ .

(٦١) الحموي، مصدر اشير اليه سابقا ، (١٩٩٣/٧/١٩) .

(٦٢) شاهين . مقابلة اشير اليها سابقا .

(٦٣) الحموي، مقابلة اشير اليها سابقا (١٩٩٣/٧/١٩) .

64) Khalidi , p 358.

هوامش الفصل الثالث
الحياة الاقتصادية

(١) لوتسكي، فلاديمير . تاريخ الاقطار العربية الحديث . موسكو، ١٩٧١. ص ١٦١ .

(٢) الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين. ملكية الأراضي في فلسطين (١٩١٨ – ١٩٤٨). (رسالة دكتوراه) اشراف د. عبد الكريم غرايبة،عمان: الجامعة الأردنية ١٩٩٣، ص ٢ ٤. وأنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ – ١٩١٤). القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية) ص ٦٥ – ٦٨.

(٣) أنيس، مصدر سابق، ص ٦٥.

(٤) الحزماوي، مصدر سابق، ص ٩.

(٥) المر، دعيبس. أحكام الأراضي المتبعة في البلاد العربية المنفصلة عن السلطنة العثمانية. القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٣، ص ٨،٧ .

(٦) رافق، عبد الكريم " فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هجري/ ١٩١٨ " الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني م٢، بيروت، ١٩٩٠، ص ٩٤٦ .

(٧) الغزي، محمد سعيد مراد (شرح وتصنيف). كتاب الأدلة الأصلية شرح مجلة الأحكام العدلية في قسم الحقوق المدنية. دمشق المطبعة البطريركية ٣٣٨ هـ – ٩١٩م. ص ١٧١ .

(٨) المصدر السابق نفسه ص ١٧٢.

(٩) أوين، روجر " تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر " الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، القسم الثاني، بيروت، ١٩٩٠، ص ٥٨٧ .

(١٠) المصدر السابق نفسه، ص ٥٨٨ .

(١١) المصدر السابق نفسه، ص ٥٨٨ .

(١٢) ورد في كتاب الحزماوي، محمد ماجد، ملكية الأراضي، ص ٢٥ – ٢٨. ومن المؤرخين الذين تحدثوا حول تقسيم أرض المشاع ويتفقون مع ما كتب والذين استخدمهم الحزماوي :

1- Kelin, the fellahin of Palestine. p44 .

2- Bergheim Lank tenure in Palestine. pp 194 - 195.

3- Robinson, Village Life in Palestine, p 137.

4- Charles, Harry. the hand Book of Palestine and trans - Jordan. p 250.

5- Hurwitz, David. The agrarian problem , p 63 .

6- Wilson, Charles Thomas. Peasant Life in the Holy Land, p 189.

7- Granott. The Land in Palestine. p 175 .

8- Issawi, The Fertile crescent. p 285, and Firestone, The land equalizing mushavilage, p 93 .

(١٣) رافق، مصدر سابق، ص ٩٤٧ .

(١٤) الحزماوي، مصدر سابق، ص ١٧ .

(١٥) الحزماوي، مصدر سابق، ص ٤٧. ولوتسكي، مصدر سابق، ص ٢٣٤ .

(١٦) الحموي، مقابلة شفوية مسجلة، تم الإشارة إليها (١٩٩٣/٧/٢٢) .

(١٧) المصدر السابق نفسه .

(١٨) شولش، الكزاندر . تحولات جذرية في فلسطين (١٨٥٦ – ١٨٨٢)، ترجمة كامل العسلي، عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٨، ص ١٣٦ .

(١٩) المصدر السابق نفسه، ص ١٤١ .

(٢٠) المصدر السابق نفسه .

(٢١) الحموي، راو ذكر سابقا، مقابلة شفوية، أجريت في مركز أبحاث جامعة بيرزيت ٩٤/١٠/١، منفذ المقابلة نصر يعقوب وبحضور كل من الدكتورين صالح عبد الجواد ووليد مصطفى والراوي أحمد صالح البلبيسي .

(٢٢) المصدر السابق نفسه .

(٢٣) المصدر السابق نفسه .

(٢٤) شولش، مصدر سابق، ص ١٤١ .

Digitized by Birzeit University Library

(٢٥) الحموي والبلبيسي، مقابلة تم الإشارة إليها (٩٤/١٠/١) .

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) رافق، مصدر سابق، ص ٩٥١، وكذلك الكزاندر شولش، ص ١٤٢ .

(28) Ben - Arieh, Yehoshue: Jerusalem in the 19th Century. Jerusalem: Emergence of New City - Yad Izhak Ven Zvi, 1986. p 381 .

(٢٩) شولش، ص ١٤٢، ويهوشع، ص ٣٨١ .

(٣٠) شولش، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(31) Ye hoshue. p 381 .

(٣٢) شولش، مصدر سابق، ص ١٤٢ .

(٣٣) الحموي والبلبيسي، مقابلة تم الإشارة إليها (٩٤/١٠/١) .

(34) Hadawi, Sami. Village Statistics 1945. A classification of Land and Area Ownership in Palestine, Veirut, P.L.O . Research Center 1970, p 25 .

(٣٥) شولش، مصدر سابق، ص ١٤١ .

(٣٦) مقابلات مع أهل قرية، وعلى وجه التحديد يوسف الحموي وأحمد صالح البلبيسي .

(٣٧) الحزماوي، مصدر سابق، ص ٢٧ .

(٣٨) الحزماوي، مصدر سابق، ص ٢٧ .

(٣٩) المصدر السابق نفسه، ص ٩٢ .

(٤٠) المصدر السابق نفسه، ص ٩٢ .

(٤١) جاسر، انطون: الاستيطان والأراضي الحكومية. ضمن كتاب مصادرة الأراضي في المناطق المحتلة (٦٧ – ١٩٨٠) اعداد واشراف: إحسان نزار عطية. القدس: جمعية الدراسات العربية، ص ٦٦ – ٧٠ .

(٤٢) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٤٣) عبد الفتاح، كمال، وهيتروث، مصدر سابق ص ١٥٤ .

(٤٤) اوين، مصدر سابق، ص ٥٨٦ – ٥٨٧ .

(٤٥) أبو لبن، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٤٦) المصدر السابق نفسه .

(٤٧) سمحة، موسى، وآخرون. الصراع الديمغرافي في فلسطين المحتلة. اشراف د. فؤاد بسيسو، ومصطفى الكسواني، عمان: اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة (سلسلة الدراسات والأبحاث) ٨٦، ص ١٧ .

(48) Hadawi, Sami, Village Statistics 1945. A classification of Land and Area Ownership in Palestine. Beirut, P.L.O. Research Center 1970, p 25 .

(٤٩) البلبيسي، مقابلة تم الاشارة اليها(٩٤/١١/٣).

(٥٠) الحموي، مقابلة أشير إليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٥١) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٥٢) المصدر السابق، والبلبيسي مقابلة ٩٤/١١/٣.

(٥٣) المصدر السابق نفسه .

(٥٤) الزغموري، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٥٥) هداوي، ص ١٦٤ .

(٥٦) المصدر السابق نفسه، ص ١١٤ .

(٥٧) المصدر السابق نفسه، ص ١١٤ .

(٥٨) أبو لبن، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٥٩) الزغموري، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٦٠) الحموي، مقابلة تمت في (٩٣/٧/٢٢) نفذها فاهوم الشلبي .

(٦١) المصدر السابق نفسه .

(٦٢) الحموي والبلبيسي، مقابلة (٩٤/١٠/١) .

(٦٣) المصدر السابق نفسه .

(٦٤) أبو لبن، مقابلة سابقة تم الإشارة إليها .

(٦٥) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٦٦) الحموي، المقابلة أشير إليها سابقا (٩٣/٧/٢٢) .

(٦٧) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٦٨) المصدر السابق نفسه .

(٦٩) الزغموري، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٧٠) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٧١) الزغموري، مقابلة أشير إليها سابقا .

(٧٢) المصدر السابق نفسه .

(٧٣) المصدر السابق نفسه .

Digitized by Birzeit University Library

(٧٤) أفنيري، أريه. ل. دعوى نزع الملكية، الاستيطان اليهودي والعرب ١٨٧٨ – ١٩٤٨. ترجمة : بشير شريف البرغوثي. عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٦. ص ١٩.

(٧٥) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٧٦) تقرير السير جون هوب سمبسون عام ١٩٣٠: فلسطين: تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران (بالعربية). ترجمة أيوب مسلم. القدس: مطبعة دار الأيتام السورية، ص ٩٠ – ٩٢ .

(٧٧) الحموي والبلبيسي، مصدر سابق (٩٤/١٠/١) .

(٧٨) المرجع السابق نفسه .

(٧٩) المصدر السابق نفسه .

(٨٠) المصدر السابق نفسه .

هوامش الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية

(١) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) البلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٦) شاهين ،ومصطفى علي شاهين ، مقابلة اشير اليها سابقا.

(٧) عبد الفتاح، كمال وهيتروث ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

(٨) احصاء نفوس فلسطين لسنة ١٩٣١ – القدس عام ١٩٣٢ ص ١٨.

(8) Report and General Abstract of the Census of 1922 , Jerusalem , 1923 , p, 21.

(٩) هداوي ، ص٦٦ .

(١٠) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا .

(١١) موسوعة المدن الفلسطينية ، مصدر سابق ص ٣٤٣ .

(١٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٤٣ .

(١٣) اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م. ج٢ ص ٢٩٣ .

(١٤) الدباغ ، مصدر سابق ، م ٣ ، ق٢ ، ص ١٥٣ .

(١٥) الدباغ ، مصدر سابق ، م١ ، ق١ ، ص١٩٧ .

(١٦) افنيري ، مصدر سابق ص١٧ .

(١٧) المصدر السابق ص ١٧ .

(١٨) شاهين ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١٤) .

(١٩) المصدر السابق نفسه .

(٢٠) البلبيسي راو ذكر سابقا، مقابلة تمت في مركز الابحاث (٩٤/١١/٣) اجرى المقابلة نصر يعقوب.

(٢١) شاهين ، مصدر سابق (٩٤/١٠/١٤) .

(٢٢) البلبيسي ، مقابلة سابقة (٩٤/١١/٣) .

(٢٣) شاهين ، مقابلة تم الاشارة اليها .

(٢٤) المصدر السابق نفسه .

(٢٥) البلبيسي ، مقابلة تم الاشارة اليها (٩٤/١١/٣) .

(٢٦) شاهين ، مقابلة اشير اليها سابقا .

(٢٧) احمد، فتحي: تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني: منطقة بني زيد نموذجا. ص١. رام الله – المطبعة العربية الحديثة ، ١٩٩٢ ، ص ٧٣ .

(٢٨) الحموي ، مقابلة اشير اليها سابقا ٩٤/٧/١٩ .

(٢٩) المصدر السابق وعبد السلام شاهين.

(٣٠) الحموي ، مقابلة تم الاشارة اليها ٧/١٩ والوصف لابي السعيد/ يوسف الحموي/.

(٣١) البلبيسي ، مقابلة تم الاشارة اليها (٩٤/١١/٣) .

(٣٢) المصدر السابق نفسه .

(٣٣) الدباغ، مصدر سابق ، م٤ ، ق٢ ، ص ٧٩ .

(٣٤) الحموي، مقابلة تم الاشارة اليها (١٩٩٣/٧/٢٢) .

(٣٥) المصدر السابق نفسه .

(٣٦) المصدر السابق ، وعبد السلام شاهين .

(٣٧) الحموي ، مقابلة تم الاشارة اليها (١٩٩٣/٧/٢٢) .

(٣٨) المصدر السابق نفسه .

(٣٩) البلبيسي، مقابلة تم الاشارة اليها (٩٤/١١/٣) .

(٤٠) الحموي ، شريط رقم ٤ .

(٤١) البلبيسي ، مقابلة تمت الاشارة اليها (٩٤/١١/٣).

(٤٢) المصدر السابق نفسه .

Digitized by Birzeit University Library

(٤٣) الزغموري، مقابلة تمت الاشارة إليها .
(٤٤) شاهين، مقابلة تمت الاشارة اليها .
(٤٥) المصدر السابق نفسه .
(٤٦) الزغموري ، مقابلة تم الاشارة اليها .
(٤٧) المصدر السابق ، وعبد السلام شاهين والحموي والبلبيسي
(٤٨) المصدر السابق نفسه .
(٤٩) الحموي وأبو لبن وعبد السلام شاهين .
(٥٠) شاهين، مقابلة تمت الإشارة إليها .
(٥١) البلبيسي، مقابلة تمت الأشارة إليها .
(٥٢) ابراهيم محمود حسن. العصري (٧٥ سنة) ، مقابلة شفوية غير مسجلة اجريت بتاريخ ٩٣/٦/٢٨ في رام الله بحضور الرواة احمد صالح ويوسف الحموي اجرى المقابلة فاهوم شلبي.
(٥٣) الحموي ، مقابلة شفوية مسجلة اجريت بتاريخ (٩٣/٧/١٩) في رام الله منفذ المقابلة فاهوم شلبي.
(٥٤) المصدر السابق نفسه .
(٥٥) البلبيسي، مقابلة تمت الاشارة اليها (٩٤/١١/٣) .
(٥٦) المصدر السابق نفسه .
(٥٧) المصدر السابق نفسه .
(٥٨) عبدالسلام شاهين ، واحمد البلبيسي
(٥٩) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا.
(٦٠) المصدر السابق نفسه.
(٦١) المصدر السابق نفسه .
(٦٢) البلبيسي ، مقابلة تمت الاشارة اليها (٩٤/١١/٣) .
(٦٣) شاهين، مقابلة تمت الإشارة إليها .
(٦٤) البلبيسي، مقابلة تمت الاشارة اليها .
(٦٥) المصدر السابق نفسه .
(٦٦) البلبيسي وعبد السلام شاهين سبق الاشارة اليهما
(٦٧) البلبيسي مقابلة تمت الاشارة اليها (٩٤/١١/٣)
(٦٨) المصدر السابق نفسه .
(٦٩) المصدر السابق نفسه .
(٧٠) سليمان، مقابلة اشير اليها سابقا .

(٧١) المصدر السابق نفسه .
(٧٢) شاهين، مقابلة اشير اليها سابقا .
(٧٣) سليمان، مقابلة اشير اليها سابقا .
(٧٤) البلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا.

هوامش الفصل الخامس
الرحـــــيل

(١) موريس ، بني . طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين . وثيقة اسرائيلية . ترجمة دار الجليل . عمان: دار الجليل للنشر والابحاث والدراسات الفلسطينية ، ١٩٩٣ . ص ٣٥ - ٣٦.
(٢) المصدر السابق ص ٣٣
(٣) المصدر السابق ص ٤٤
(٤) صنبر، الياس. فلسطين - ١٩٤٨ : التغييب. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧، ص ١٥٨، وموريس ص ٨٧ .
(٥) صنبر، مصدر سابق، ص ١٦٠، وموريس، ص ٧٩ - ٨٠ .
(٦) موريس، مصدر سابق، ص ٣٨ - ٣٩، ٤٢ .
(7) Lorch , Netand . The Edge of the Sword , Israel's War of Independence 1942 - 1948 . (NewYourk : G.P.Putnam 1961) p.p 87-88.
(8) Kirkprid, Elik. A Crackle of Thorns. London, 1956. pp 10 - 20.
(٩) مؤسسة الدراسات العربية . حرب فلسطين ، ١٩٤٧-١٩٤٨ : الرواية الاسرائيلية الرسمية . ترجمة احمد خليفة ، قبرص. شركة الخدمات النشرية المستقلة ، ١٩٨٤ . ص٢٧٩.
(١٠) البلبيسي، مصدر اشير إليه سابقا (٩٤/٩/٢٤) .
(١١) الرواية الرسمية الاسرائيلية، مصدر سابق، ص ٢٧٩ .
(١٢) يوسف الحموي، مقابلة اشير إليها سابقا(٩٤/١٠/١) .
(١٣) الرواية الاسرائيلية الرسمية، مصدر سابق، ص ٢٧٩ .
(١٤) شكيب ، ابراهيم: حرب فلسطين ١٩٤٨ . رؤية مصرية . القاهرة : الزهراء للاعلام العربي ، ص٩٤.

Digitized by Birzeit University Library

(١٥) بن غوريون ، دافيد : يوميات الحرب : ١٩٤٧ - ١٩٤٩. تقرير غيرشون ريفلين والحانان اورن . ترجمة سمير جبور . ومراجعة وتقديم صبري جريس . بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٩٣ . ص٣٦٩

(١٦) المصدر السابق ، ص ٤١٣ . وكان بن غوريون قد ادلى بهذه التصريحات خلال المناقشات للحرب حيث كانت اللد والرملة خطرتين من جميع النواحي ومن شأنهما ان تشكلا قاعدة للهجوم على تل ابيب والمستوطنات والطريق الى القدس .

(١٧) المصدر السابق نفسه، ص ٤١٤.

(١٨) الحموي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٣/٧/٢١).

(١٩) الحموي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١)

(٢٠) المصدر السابق نفسه .

(٢١) الحموي ، مقابلة بتاريخ ١٩٩٣/٥/١٩م ، نفذها فاهوم شلبي في رام الله.

(٢٢) الحموي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١)

(٢٣) موريس ، مصدر سابق ، ص ١٢٤

(٢٤) الحموي والبلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١)

(٢٥) هداوي ، ص ٦٨

(٢٦) الحموي والبلبيسي ، مقابلة سابقة تم الاشارة اليها (٩٤/١٠/١)

(٢٧) المصدر السابق نفسه .

(٢٨) أبو لبن ، مقابلة أشير اليها سابقا.

(٢٩) الحموي والبلبيسي . مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١)

(٣٠) المصدر السابق نفسه.

(٣١) بن غوريون ، مصدر سابق ص ٢٨٤.

(٣٢) البلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا (١٩٩٣/٥/١٩)

(٣٣) اجمع على رواية هذه الروايات والاحداث والقصص الرواة ومنهم الحموي والبلبيسي وخميس أبو لبن وشريفة الزغموري ونزهة عيسى سليمان .

(٣٤) البلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا (٩٤/١٠/١)

(٣٥) البلبيسي ، مقابلة اشير اليها سابقا (١٩٩٣/٥/١٩).

(٣٦) المصدر السابق نفسه .

(٣٧) وفقا لروايات البلبيسي والحموي والزغموري

(٣٨) الحموي والبلبيسي، مقابلة أشير إليها سابقا (٩٤/١٠/١) .

(٣٩) روعي ، ناتان: سلاح المشاة : الموسوعة العسكرية الاسرائيلية "٤" . ترجمة دار الجليل . ص ١٤٠-١٤١ ، وانظر ايضا شكيب ، الرؤية المصرية ، ص ١٠١.

(٤٠) بن غوريون ، مصدر سابق ص ٣٤٢

(٤١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥٤

(٤٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٠٥ وص ٦٥٠

(٤٣) موريس ، مصدر سابق، ص١٥٦، ١٥٧ .

(٤٤) وفقا لشهادة الراويين: ابراهيم محمود وأحمد صالح البلبيسي الذين زاروا موقع القرية حديثا في شهر آب من عام ١٩٩٣م .

(٤٥) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ج٤، ق٢، ص ٦٤٦ - ٦٤٩ .

Digitized by Birzeit University Library

المصادر والمراجع

Digitized by Birzeit University Library

قائمة المصادر والمراجع العربية :

١- ابراهيم، معاوية. "فلسطين من أقدم العصور الى القرن الرابع قبل الميلاد". الموسوعة الفلسطينية، القسم الخاص - الثاني - المجلد٢. بيروت: ١٩٩٠م .

٢- احصاء نفوس فلسطين لسنة ١٩٣١. أ، ملز (مراقب الاحصاء العام) القدس - حزيران. ١٩٣٢ .

٣- أفنيري، أريه. ل. دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب ١٨٧٨ - ١٩٤٨. ترجمة بشير الشريف البرغوثي. عمان: دار الجليل، ١٩٨٦ .

٤- أنيس، محمد. الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ - ١٩١٤). القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .

٥- أوين، روجر. "تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر ١٨٠٠ - ١٩١٨." الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد١. بيروت: ١٩٩٠ .

٦- بن غوريون، دافيد. يوميات الحرب: ١٩٤٧ - ١٩٤٩. تحرير غيرشون ديفلين والحانان أورن. ترجمة سمير جبور. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أيلول ١٩٩٣ .

٧- برستيد، هنري جيمس. تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي. ترجمة حسن كمال. القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٢٩ .

٨- جاسر، أنطون. الاستيطان والأراضي الحكومية. ضمن كتاب مصادرة الأراضي في المناطق المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٨٠. اعداد واشراف إحسان نزار عطية. القدس: جمعية الدراسات العربية .

٩- حجاج، عيد (ترجمة ومطالعة). كل مكان وأثر في فلسطين.عمان: منشورات مركز الدراسات العبرية/الجامعة الاردنية .

١٠- الحزماوي، محمد ماجد السيد صلاح الدين: ملكية الأراضي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨. رسالة دكتوراة منشورة. عمان: الجامعة الأردنية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

١١- الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. عمان: مكتبة المحتسب ١٩٧٣ .

١٢- الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. كفر قرع: دار الهدى، طبعة جديدة ١٩٩١. الجزأن (٣،٤) .

١٣- رافق، عبد الكريم، "فلسطين في عهد العثمانيين". الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد ٢، بيروت، ١٩٩٠ .

١٤- روعي، نتان. سلاح المشاة الموسوعة العسكرية الإسرائيلية"٤". ترجمة دار الجليل. عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٩ .

Digitized by Birzeit University Library

١٥- سمحة، موسى (اعداد). الصراع الديموغرافي في فلسطين المحتلة. سلسلة الدراسات والابحاث "٢" عمان: اللجنة الاردنية الفلسطينية المشتركة، ١٩٨٦ .

١٦- سيمبون، جون هوب. تقرير السيد جون هوب سيمبون عام ١٩٣٠: فلسطين الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران. ترجمة أيوب مسلم. القدس: مطبعة دار الأيتام السورية، ١٩٣٠ .

١٧- شكيب، ابراهيم. حرب فلسطين ١٩٤٨ -رؤية مصرية. القاهرة : الزهراء للاعلام العربي ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .

١٨- شكيل، هادية دجاني، والدجاني برهان (محرران). الصراع الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٤م .

١٩- شولش، الكزاندر. تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦ - ١٨٨٢. ترجمة كامل العسلي.عمان: منشورات الجامعة الردنية، ١٩٨٨ .

٢٠- صنبر، الياس. فلسطين ١٩٤٨ والتغييب. ترجمة كاظم. بيروت: المؤسسة العربية للدرسات والنشر، ١٩٨٧ .

٢١- العارف، عارف. نكبة فلسطين والفردوس المفقود. دار الهدى. بدون تاريخ .

٢٢- عبد الجواد، صالح (مشرف). تذكرات طلعت حرب. سلسلة صفحات من الذاكرة الفلسطينية، رقم (٥). مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني / جامعة بيرزيت، تشرين أول، ١٩٩٤ .

٢٣- عمران، شكري. المواقع الفلسطينية بين عهدين - خريطتين. كفر قرع: دار الشفق للنشر والتوزيع، ١٩٩٢ .

٢٤- غارودي، روجيه. فلسطين أرض الرسالات الالهية. ترجمة وتعليق د.عبد الصبور شاهين. القاهرة: دار التراث، ١٩٨٦ .

٢٥- الغزي، محمد سعيد مراد (شرح وتصنيف) . كتاب الأدلة الأصلين. شرح مجلة الاحكام العدلية في قسم الحقوق المدنية، دمشق: المطبعة البطريركية ٣٣٨هـ - ٩١٩م .

٢٦- الغوري، اميل. ١٥ أيار ١٩٤٨: دراسة سياسية علمية مركزة عن الأسباب الحقيقية لنكبة فلسطين. بيروت : دار النشر العربية، ١٩٥٩ .

٢٧- الكتاب المقدس، القدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

٢٨- لوتسكي، فلاديمير. تاريخ الأقطار العربية الحديث. موسكو، ١٩١٧ .

٢٩- المر، دعيبس. أحكام الأراضي المتبعة في البلاد العربية المنفصلة عن السلطنة العثمانية. القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٣ .

٣٠- مؤسسة الدراسات العربية. حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨: الرواية الإسرائيلية الرسمية. ترجمة أحمد خليفة. قبرص شركة الخدمات النشرية المستقلة، ١٩٨٤ .

٣١- موريس، بني. طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين. وثيقة إسرائيلية. ترجمة دار الجليل. عمان: دار الجليل للنشر والأبحاث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣م .

٣٢- هاليفي، إيلان. اسرائيل من الارهاب الى المجزرة. ترجمة نخبة من الأساتذة باشراف نبيل الداهوك. ط٢. دمشق: دار ابن هاني، ١٩٨٦ .

قائمة المصادر والمراجع الانجليزية :

1-Abdul Fattah, Kamal and Hutteroth, Walf Dieter. Historical Geography of Palestine, Tranx. jordan and Southen Syria in late 16'th Centruty. Erlangen. 1977.

2- Ben Arieh, Yehoshue. jerusalem in the 19'th Century. jerusalem, Emergence of New City, Yad izhak Zvi, 1986 .

3- Conder, L.C.R and Kitchener, L.H.H. The Survey of Western Palestine. Vol 2, Sheet 16, Section C. Jerusalem, Kedem publishing, 1970 .

4- Encyclopedia Archaeological Excavation in the Holy Land. Editor Michael Avi Yonah, Peli printing works ltd. Jerusalem, 1976 .

5- Hadawi, Sami. Village Statistics 1945, A Classification of Land and Area Ownership in Palestine. Beirut: Research Center L P.L.O, September 1970 .

6- Israel Geological Map. 500.000. Printed by: The Survey of Israel, 1979 .

7- Khalidi, Walid. All that Remains: The Palestinian Villages occupied and Depopulated by Israel in 1948. Washington, D.C: Institute for Palestine Studies, 1992.

8- Lorchm, Netand. The Edge of the Sword, Israel's War of Independence 1942 - 1948. New York: G. P Putnam, 1961 .

9- Macalister, R.A.S. The Excavation of Gezer, 1902 - 1905 and 1905 - 1909. London: J. Murray, 1912. Jerusalem, 1923 .

10- Statistical Abstract of Palestine, 1943. 7th ed. jerusalem: The Government Printing Press, 1944 .

11- Yahya, Adil Husein. The Origin of the Philistines. Presented to the Graduate Faculties of the University of Pensylvania in partial Fulfillment of the requirements for the degree. Pennsylvania , 1986

Digitized by Birzeit University Library

أسماء الرواة حسب الأحرف الأبجدية وأعمارهم ومكان اقامتهم

رقم متسلسل	الاســـــــم	العمر	مكان الإقامة
١-	ابراهيم محمود حسن المصري	٧٥	رام الله
٢-	أحمد صالح البلبيسي	٥٦	رام الله
٣-	خميس محمود أبو لبن	٨٠	رام الله
٤-	داود حسن داود حسين	٨٠	البيرة
٥-	شريفة الزغموري	٧٥	رام الله
٦-	عبد السلام محمد علي شاهين	٥٦	العروب
٧-	عبد المجيد عبد الرحمن عبد السلام	٦٥	رام الله
٨-	علي عليان علي سالم	٦٥	البيرة
٩-	علياء حسن داود	٧٥	غزة
١٠-	محمد حسان حسن سلامة	٧٥	البيرة
١١-	مصطفى محمد علي شاهين	٤٩	العروب
١٢-	مها صبحي أبو شوشة	٣٣	رام الله
١٣-	ناصيف محمد أبو شوشة	٤٢	رام الله
١٤-	نزهة عيسى سليمان	٨٠	بيرزيت
١٥-	يوسف سعيد عليان الحموي	٦٨	رام الله

تـواريخ المقـابلات الشفوية :

١- أبو شوشة، مها صبحي: مقابلة تمت في ١٢/١٥/ في١٩٩٣. منفذ المقابلة د. صالح عبد الجواد .

٢- أبو شوشة، ناصيف محمد: مقابلة تمت في ١٢/١٥/ ١٩٩٣. منفذ المقابلة د. صالح عبد الجواد .

٣- أبو لبن، خميس محمود. مقابلة تمت في ١٩٩٣/٧/٩. منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

٤- البلبيسي، أحمد صالح/ أبو صالح (٥٦ سنة)، مقابلة شفوية مسجلة أجريت بتاريخ ١٩٩٣/٥/١٩م في رام ا لله. منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

٥- ــــــــــــ، مقابلة مسجلة أجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/٢٦م. أجراها فاهوم شلبي .

٦- ــــــــــــ، مقابلة تمت بتاريخ ١٩٩٤/٨/١٥. منفذ المقابلة د. صالح عبد الجواد .

٧- ــــــــــــ، مقابلة تمت في مركز الابحاث/جامعة بيرزيت بتاريخ ١٩٩٤/٩/٢٤، بحضور د. صالح عبد الجواد ود. وليد مصطفى. منفذ المقابلة نصر عمر يعقوب .

٨- ــــــــــــ، مقابلة تمت في مركز الأبحاث/ جامعة بيرزيت بتاريخ ١٩٩٤/١١/٣. اجرى المقابلة، نصر عمر شاكر يعقوب .

٩- الحموي، يوسف سعيد /أبو سعيد/ (٦٨)، مقابلة شفوية مسجلة أجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/١٩ في رام الله. أجرى المقابلة فاهوم شلبي .

١٠- ــــــــــــ، مقابلة مسجلة تمت بتاريخ ٩٣/٧/٢١، نفذها فاهوم شلبي .

١١- ــــــــــــ، مقابلة مسجلة، نفذها فاهوم شلبي، حول المضافات وأدوات الزراعة والرحيل .

١٢- ــــــــــــ، مقابلة مسجلة تمت بتاريخ ٩٣/٧/٢٢. منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

١٣- ــــــــــــ، مقابلة مسجلة تمت في مركز أبحاث / جامعة بيرزيت بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١م بحضور د. صالح عبد الجواد، ود.وليد مصطفى، والراوي أحمد صالح البلبيسي. منفذ المقابلة نصر عمر يعقوب .

١٤- داود، حسن داود (٨٠ سنة)، مقابلة غير مسجلة أجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/٢٤م في البيرة منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

١٥- الزغموري، شريفة/أم عودة/ (٧٥ سنة) مقابلة مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٥/٦ في رام الله. منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

١٦- سلامة، محمد حسان حسن (٧٥ سنة) مقابلة غير مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/١١. في البيرة منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

١٧- سليمان، نزعة عيسى، (٨٠ سنة) مقابلة مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٧/٢١ في بيرزيت.أجرى المقابلة فاهوم شلبي .

١٨- شاهين، عبد السلام/أبو محمد/(٥٦ سنة). مقابلة تمت بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١٤م في مخيم العروب/الخليل. بحضور مصطفى علي شاهين/ أبو عصام /(٤٨ سنة). منفذ المقابلة نصر عمر شاكر يعقوب .

١٩- المصري، ابراهيم محمد حسن. (٥٧ سنة)، مقابلة غير مسجلة اجريت بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢٨ في رام الله وبحضور الرواة أحمد صالح البلبيسي ويوسف سعيد الحموي. منفذ المقابلة فاهوم شلبي .

Digitized by Birzeit University Library

الملاحق والوثائق

Digitized by Birzeit University Library

من شهداء وجرحى مذبحة أبو شوشة ١٩٤٨/٥/١٤

أولا: الذين قتلوا بالرصاص

الاسم	تقدير العمر	مكان الاستشهاد
١- أحمد حسن سلامة	٧٠	في بيته بالقرب من الساحة الشرقية.
٢- حسن داود سليمان	٧٠	أمام بيته شرقي البلد.
٣- حسين أبو شريخ	٧٠	في بيته وسط البلد .
٤- محمد احمد حسن "الفار"	٧٠	في بيته وسط البلد .
٥- محمد علي سالم الحايك	٧٠	في بيته جنوب البلد .
٦- عبدالله محمد أبو جربوع وابنه	٧٠	في أطراف البلد .
٧- حسين أبو العينين	٦٥	في بيته .
٨- حسن أبو العينين	٧٠	في بيته .
٩- محمود عيسى موسى الزغموري	٦٥	بالقرب من دار عطية شمال القرية، وفي رواية أخرى خطف ووجدت جثته في وادي المالح غرب القرية .
١٠- جدة كامل درباس	٦٥	قرب بيتها وصودرت بقربها
١١- علية علي رداد	٦٠	في بيتها .
١٢- خليل جابر أبو العينين	٥٥	في الاستحكام شمال البلد
١٣- علي عبدالله السقعان	٥٥	أمام دار الجوهري .
١٤- حسنة حبيب	٥٥	عند الجرن الشرقي .
١٥- سعيد حسن شحادة العالم	٥٥	في وعرة الزيتون جنوب القرية .

Digitized by Birzeit University Library

١٦- محمود حسن سلامة	٥٥	في وادي الجايحة قتل مع ابن اخته .
١٧- محمد علي عوض	١٥	في وادي الجايحة/ابن اخت محمود سلامة.
١٨- محمد عيسى ابو السعود	٥٠	في بيته جنوب البلد .
١٩- شحادة عبد الرحمن أبو شريخ	٥٠	في وسط البلد .
٢٠- احمد عبد العزيز أبو نمرة	٥٠	أمام بيته .
٢١- احمد عليان مصطفى الجوهري	٥٠	في بيته .
٢٢- عبد الرحمن العربي	٤٥	الناطور الذي صفي على حدود مستوطنة جيزر .
٢٣- طه مصطفى علي الحايك	٤٥	بالقرب من دار عطية شمال البلد.
٢٤- آمنة الحو	٤٠	أمام بيتها في وسط البلد
٢٥- راتب حسن مصطفى أبو الطبول	٣٠	في وعرة خلة بير البلد
٢٦- عمر عبد الرحمن محمد السيد	٢٨	في وعرة خلة بير البلد
٢٧- سليمان محمد علي الحايك	٣٢	صف الى حائط بيت اسماعيل بشير وقتل بالرصاص .
٢٨- سليم محمد علي الحايك	٢٣	صف الى حائط بيت اسماعيل بشير وقتل بالرصاص.
٢٩- محمد علي محمود سليمان	٢٣	بالقرب من بيت أبو درويش وسط البلد .
٣٠ محمد حسن علي رداد	٢٠	شرقي القرية .
٣١- نصرة علي جابر السيد	٩	في بيتها وسط البلد.

ثانيا: قتلوا بالبلطات والكاسترات :

٣٢- ابراهيم محمد الحاج	٢٠	في منزل دار هاشم عوض الله.
٣٣- إدريس محمد الحاج	١٨	شقيق ابراهيم في منزل دار هاشم عوض الله.
٣٤- محي الدين حسن أبو الطبول	١٩	في منزل دار هاشم عوض الله .
٣٥- حسن علي محمود أبو السعود	١٧	في منزل دار هاشم عوض الله .
٣٦- خليل محمد سلامة	١٣	قتل بالبلطة أمام أمه على الجرن الشرقي

ثالثا: اسروا في دار الخواجا وقتلوا في الاسر (لم يعرف مصيرهم أبدا) :

٣٧- يوسف ذيب عوض الله	٥٥	في دار الخواجا
٣٨- عبدالله العطرة	٣٥	في دار الخواجا
٣٩- نمر محمود سالم	٣٠	في دار الخواجا
٤٠- علي اسماعيل ابو الندى	١٥	في دار الخواجا
٤١- ابراهيم محمد علي شاهين	١٤	في دار الخواجا
٤٢- عبد الفتاح سلامة	٢٣	في دار الخواجا
٤٣- أحد أفراد عائلة الحاج علي	-	في دار الخواجا

مكتبة جامعة بير زيت
Digitized by Birzeit University Library

رابعا: شهداء قبل وبعد المذبحة بفترة وجيزة :

٤٤- نوح ابراهيم محمد الحاج	٣٠	في ١٩٤٨/٣/٣١ على طريق مستوطنة خولدا.
٤٥- عبدالله علي سالم الفولة	٥٥	بعد اجلاء القرية قرب سلبيت .

خامسا: شهداء أبناء قرية صيدون في موقعة أبو شوشة :

٤٦- سعيد سلامة	٥٥	وعرة البير جنوب البلد .
٤٧- حسني سليم محمد البس	٥٠	صف الى حائط بيت اسماعيل بشير وقتل بالرصاص .
٤٨- سليمان منصور	٤٧	من الأسرى في دار الخواجا
٤٩- صالح مصطفى عثمان	٤٠	ذبح في وسط القرية .
٥٠- عيسى علي اطريح	٢٥	في وسط البلد .
٥١- علي أحمد منصور	٢٢	قرب خولدا مع نوح ابراهيم محمد الحاج .
٥٢- سامي ابراهيم محمد البس	١٨	غرب البلد .
٥٣- نمر عليان محمد البس	١٨	أطلق عليه الرصاص وهو يحرث حقله قبل الوقعة بأيام.
٥٤- عائشة عبد الرحمن البس	١٧	في القباب نتيجة اصابتها بالرصاص .
٥٥- محمد سعيد عبد العزيز	٩	قتل في ١٩٤٨/٥/٢١ وهو يسحب جملا أثناء تهجير القرية.

سادسا: جرحى موقعة أبو شوشة :

١- فاطمة سليمان داود	٥٢
٢- ياسين يوسف علي الحايك	٣٠
٣- شريفة محمود الزغموري	٢٢
٤- ذيبة علي المغربي	٢٢
٥- اسماعيل عبد القادر	١٦
٦- الياس ابراهيم محمد الحاج	١٦
٧- محمد سعيد عبد منصور	٢٠
٨- فاطمة سليمان داود	٤٠
٩- عزيزة اسماعيل منصور	١٧
١٠- فاطمة صبري البنوي	٣٧
١١- ابنة عبد المجيد الطهراوي	١١

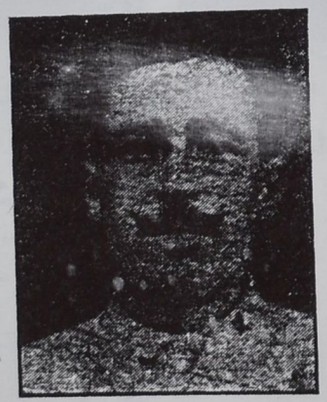

الشهيد حسني سليم البس ، من قرية صيدون استشهد في ابوشوشة

Digitized by Birzeit University Library

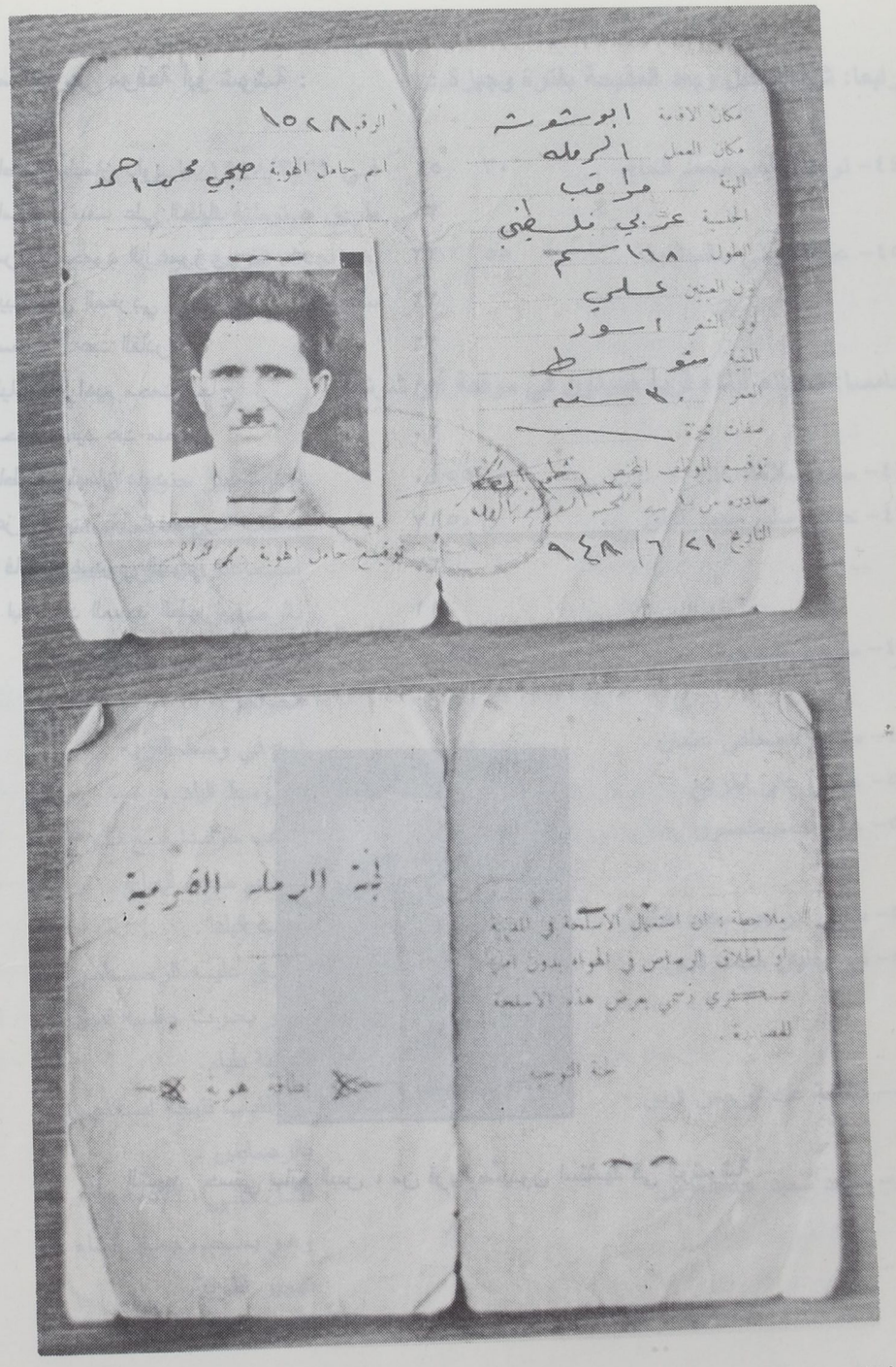

بطاقة هوية صادرة عن لجنة الرملة القومية خاصة بالمرحوم صبحي ابو شوشة المقاول المعروف

هوية عمل في معسكر للجيش الانجليزي

Digitized by Birzeit University Library

PALESTINE ACCOUNTS CLEARANCE OFFICE.

COPY NOT FOR PAYMENT

Payment Voucher in respect of personal emoluments, allowances, etc. and retirement benefits.

1. Name of officer	E.2839 Ali Mohd.	
2. Department	Palestine Railways & Ports	
3. Office	Platelayer	
4. Salary scale	130 [illegible] - 270 mils	
5. Status		
6. Annual salary on 1.4.48	220 mils per day	
7. Date of next increment	1.10.48	
8. Date of termination of service	15.6.48	
9. Station on termination of service	Kfar Jnnis	

Outstanding salary, allowances, etc.

Amounts due

		EP. Mils.
Salary from 1.4.48	to 15.5.48	8.580
Compensatory (Cost of Living) Allowance from	to 14.4.48 15.5.48	15.873
Leave or notice salary		
Overtime from	to	16.362
Transport and Travelling allowances		
Underpayment for March		2.194
Total amount due		42.949

Deductions

Provident Fund/Widow & Orphans Contribution	
Advance of salary	49.000
Total deductions	49.000
11. Net amount due by/to officer *	6.651

[illegible]
I/c Railways & Ports Section.
* Delete whichever is inapplicable.

P/

P.T.O.

مستند مالي للأجرة لشهر نيسان سنة ١٩٤٨ في مصلحةالسكك الحديدية

IDENTITY CARD

Name of holder Ahmed Ali Mohd. Hassan

Place of residence Jaffa

Place of business do

Occupation Labourer

Race Arab

Height 5 feet 7 inches

Colour of eyes Brown

Colour of hair Black

Build Fat

Special peculiarities Scar on left eyebrow

Signature of issuing officer [illegible]

Appointment

Signature of holder [illegible]

Place Jaffa Date 1/12/47

Office stamp partly over photograph.

GOVERNMENT OF PALESTINE

IDENTITY CARD

بطاقة هوية صادرة عن حكومة فلسطين

Digitized by Birzeit University Library

وثيقة عقد زواج صادرة عام ١٩٤٠ لأحد ابناء قرية ابو شوشة

١	رقم الجلد ٨
٢	القضاء المقدس
٣	١ تاريخ العقد
٤	مكان العقد
٥	اسم الزوج الكامل، سنه
٦	اسم الزوجة الكامل، سنها
٧	مستندات تحقيق السن وعدم الموانع
٨	المهر ونوعه
٩	كيفية دفع المهر
١٠	المباشران للعقد
١١	شهود العقد
١٢	شروط احد الزوجين الخاصة
	الكفالة على الشروط
	صيغة العقد

اجرة المأخوذ
اجرة المأذون

عقد زواج
«قسيمة الزوج»

جلد ٨ الرقم ١

القضاء المقدس

١ تاريخ العقد في سنة ١٩٤٠ الموافق ٥ كانون الاول

٢ مكان العقد محلة الواد بالكفاس

٣ اسم الزوج الكامل، سنه محمد حسن الرجوب الشيخ، ٢١ سنة

٤ اسم الزوجة الكامل، سنها البنت البكر الشرعية فاطمة بنت محمود سليم الشيخ، ١٨ سنة

٥ مستندات تحقيق السن وعدم الموانع شهد لدى المأذون الشرعي بالقدس الشريف كل من ... وشهدوا بأن البنت فاطمة بنت محمود سليم الشيخ هي البنت البكر الشرعية لوالدها المذكور وأن سنها ثمانية عشر سنة وأنها خالية من الموانع الشرعية لعقد الزواج

٦ المهر ونوعه مائة جنيه فلسطيني معجله ومؤخره

٧ كيفية دفع المهر أقر الزوج المذكور بأنه قبض المعجل من المهر وهو مبلغ خمسين جنيها فلسطينيا وأبرأ ذمة الزوجة منه وأقر الزوج المذكور بأنه دفع للزوجة المذكورة مبلغ خمسين جنيها فلسطينيا على سبيل المؤخر من المهر وأبرأت ذمته منه

٨ المباشران للعقد الزوج المذكور بنفسه وكيل الزوجة فاطمة والدها محمود المذكور

٩ شهود العقد حضر العقد على ما جرى به الشهود المذكورون

١٠ شروط احد الزوجين الخاصة

١١ الكفالة على الشروط

١٢ صيغة العقد تحرير هذا العقد بمكتب المأذون الشرعي بالقدس الشريف في التاريخ المذكور أعلاه والشروط والقبول بالمجلس الشرعي

ان الحكم بصحة ما ذون عقد الزواج في حكم دار القضاء

اجريت هذا العقد على الوجه المفصل اعلاه

Form 49.

GOVERNMENT OF PALESTINE
حكومة فلسطين
ממשלת פלשתינה (א"י)

No. E 938156

REVENUE OFFICE

REVENUE TAX RECEIPT
קבלה על מסים وصل بالضريبة المحصلة

District ..... لواء القدس
מחוז
Sub-District ..... قضاء القدس
נפה
Town or Village ..... مدينة او قرية القدس
העיר או הכפר

Reference to Tax Payers Register
القيود حسب سجل دافعي الضرائب
מספר הסימוכין בפנקס משלם המסים

Volume No. ..... رقم المجلد
מספר הכרך
Folio No. ..... رقم الصفحة ٢٦
מספר הדף

Kind of Taxes نوع الضرائب סוג המסים	Arrears المتأخرات פיגורי תשלומים L.P. ج.ف. פונט	Arrears Mils مل מיל	Curr. Year السنة الحالية השנה הזאת L.P. ج.ف. פונט	Curr. Year Mils مل מיל	Total المجموع סך הכל L.P. ج.ف. פונט	Total Mils مل מיל
Urban Property Tax ضريبة الاملاك في المدن מס הרכוש העירוני						
Rural Property Tax ضريبة الاملاك في القرى מס הרכוש החקלאי				٨٠٨		٨٠٨
House and Land Tax ضريبة المنازل والاراضي מס הבתים והקרקעות						
Tithes اعشار מעשרות						
Animal Tax ضريبة الحيوانات מס הבהמות						
TOTAL المجموع סך הכל				٨٠٨		٨٠٨

Received from ..... وصل من ابراهيم حسن المصري
נתקבל מאת
the sum of ..... مبلغ ثمانمائة وثمانية صادر
סך
as shown above ..... هو مبين اعلاه
לפי הנ"ל
Date ..... التاريخ
התאריך
Signature ..... امضاء محصل الضرائب
Tax Collector חתימת גובה המסים

وصل ضريبة لعام ١٩٤٤ صادر عن حكومة فلسطين

Digitized by Birzeit University Library

صور من أبو شوشة

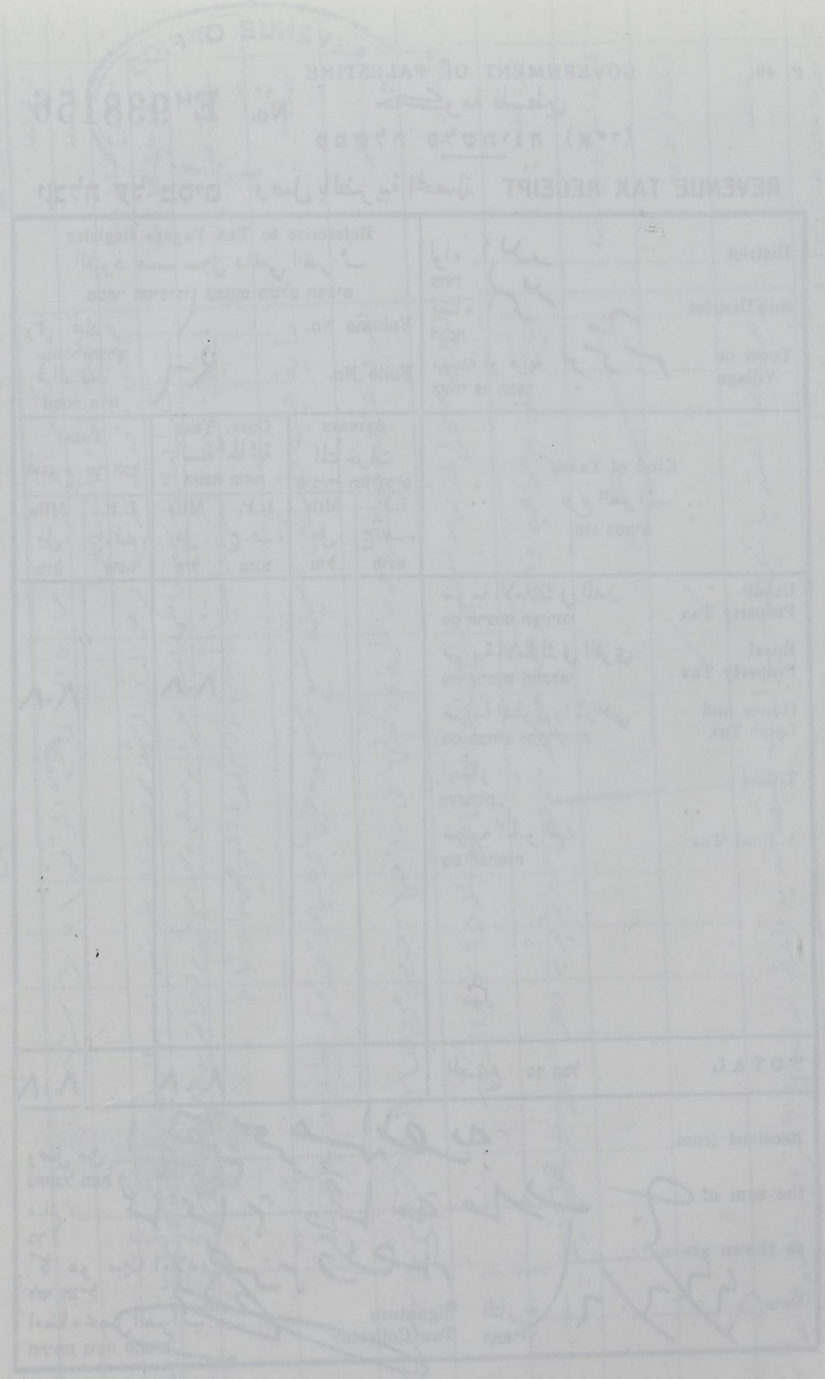

Digitized by Birzeit University Library

صور لأجزاء من أراضي القرية بعد إزالة كافة المنازل وزراعة الكروم والأشجار المثمرة مكانها (التقطت في ١٩/٥/١٩٨٧) .

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

بعض مباني مستعمرة كرمي يوسف المقامة على اراضي قرية ابو شوشة

طريق ترابي يمر من ابو شوشة وتظهر شجرة السدر على جادة الطريق

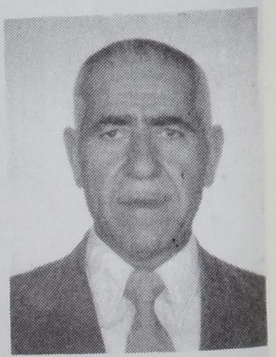

يوسف سعيد الحموي

احمد صالح البلبيسي

صور الراويين الرئيسيين لقرية ابوشوشة

Digitized by Birzeit University Library

صور لبعض الحفريات والمكتشفات الاثرية في ابوشوشة

مأخوذة من :

Encyclopedia of Archaeological Excavations In
The Holy Land, 1976, Volume II, PP. 429 - 442 .

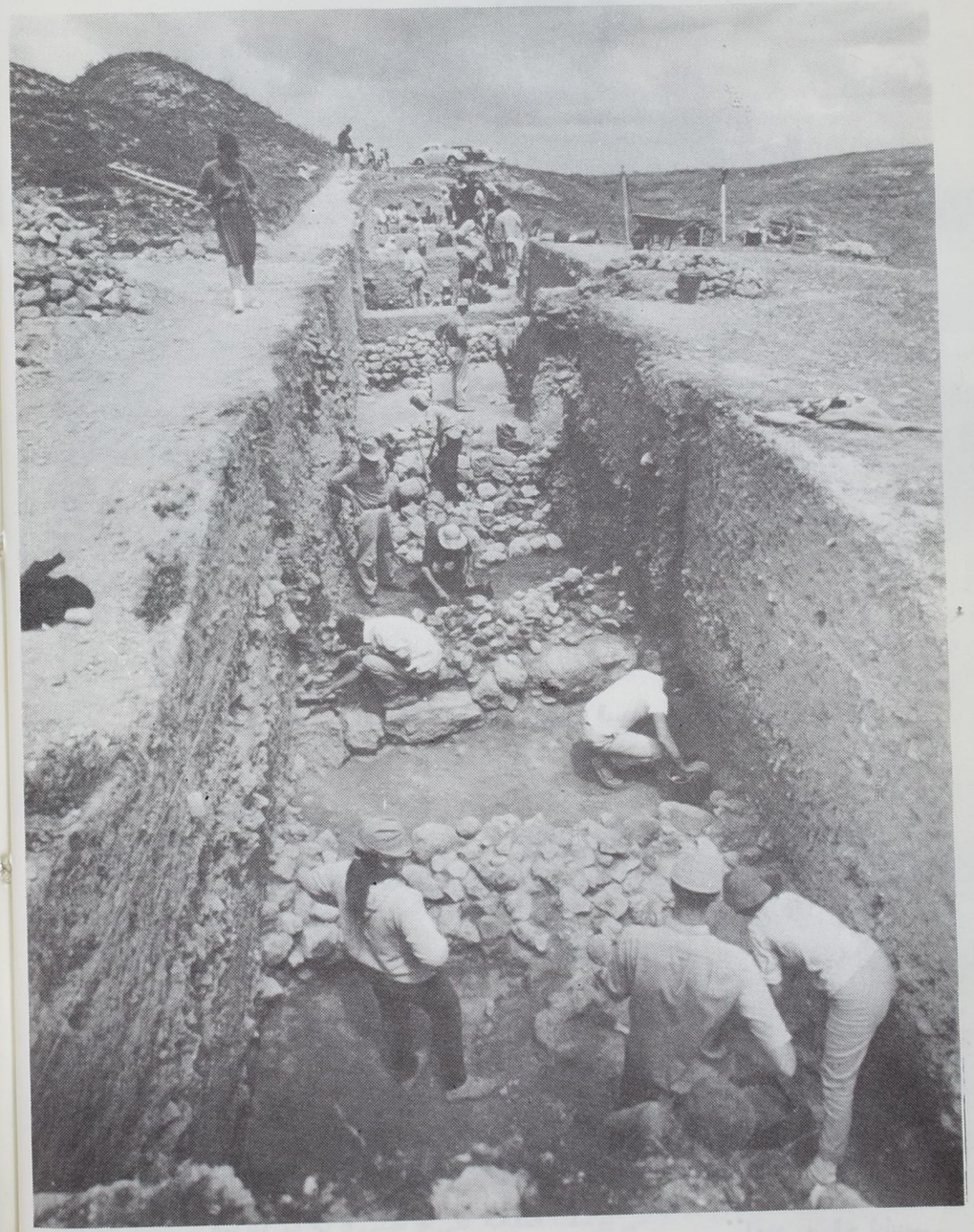

مشهد للحفريات في موسم عام ١٩٦٥ يوضح السور الروماني في الامام
ثم السور من العصر البرونزي المتاخر في الخلف

اربعة انصاب و حوض من العصر البرونزي المتوسط

مدفن من فترة متاخرة من العصر البرونزي ١٤٠٠ ق ٠م .

Digitized by Birzeit University Library

اناء زجاجي مصري ،

حوض جيري مزخرف بقردين

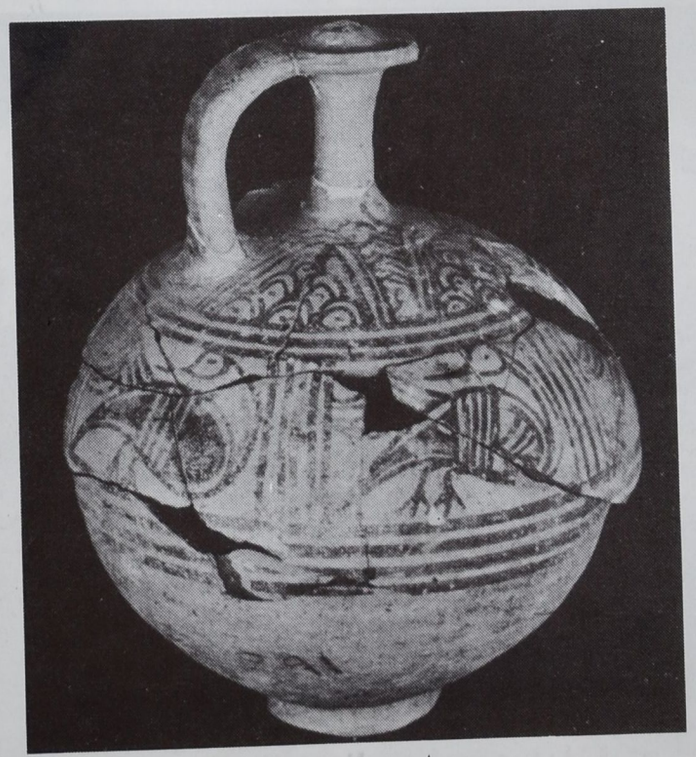

ابريق فلسطى

* صدر من سلسلة أبحاث " القرى الفلسطينية المدمرة" :-

سلسلة " القرى الفلسطينية المدمرة " تهدف الى التعريف بالقرى الفلسطينية التي دمرت عام ١٩٤٨ وتقديم صورة انثروبولوجية تراثية للمجتمع الفلسطيني القروي من خلال منهجية التاريخ الشفوي.

١- د. شريف كناعنة وبسام الكعبي	: عين حوض	١٩٨٦	طبعة ثانية	(٥٨ص) ١٠ ش
٢- د. شريف كناعنة ورشاد المدني	: مجدل عسقلان*	١٩٨٦	طبعة ثانية	(٢٢٥ص) ١٠ ش
٣- د. شريف كناعنة ولبنى عبد الهادي	: سلمه *	١٩٨٦		(٨٣ص) ١٠ ش
٤- د. شريف كناعنة ونهاد زيتاوي	: دير ياسين	١٩٨٧	طبعة ثانية	(٦٧ص) ١٠ ش
٥- د. شريف كناعنة ومحمد اشتيه	: عنابة	١٩٨٧		(٥٨ص) ١٠ ش
٦- د. شريف كناعنة ورشاد المدني	: الفالوجة	١٩٨٧		(١١٨ص) ١٠ ش
٧- د. شريف كناعنة وعمر محاميد	: اللجون*	١٩٩٠		(٧٥ص) ١٠ ش
٨- د. شريف كناعنة ورشاد المدني	: الكوفخة	١٩٩٠		(٦٣ص) ١٠ ش
٩- د. شريف كناعنة ولبنى عبد الهادي	: أبو كشك	١٩٩٠		(٦١ص) ١٠ ش
١٠- د. شريف كناعنة وبسام الكعبي	: مسكة	١٩٩١		(٨٥ص) ١٠ ش
١١- د. شريف كناعنة وبسام الكعبي	: كفر سابا	١٩٩١		(٧٥ص) ١٠ ش
١٢- د. شريف كناعنة ولبنى عبد الهادي	: لفتا	١٩٩١		(٥٢ص) ١٠ ش
١٣- د. شريف كناعنة ومحمد اشتيه	: كفر برعم	١٩٩١		(٥٥ص) ١٠ ش
١٤- عبد الرحيم المـــــــدور	: قاقون	١٩٩٤		(١٦٠ص) ١٥ ش
١٥- حيدر يعقوب ابو غـــــوش	: عمواس	١٩٩٤		(٢٥٠ص) ١٥ ش
١٦- ابراهيم جميل مرعي	: زرعين	١٩٩٤		(٢٩٠ص) ١٥ ش
١٧- ابراهيم يحيى الشهابي	: لوبيـا	١٩٩٤		(١١٠ص) ١٠ ش

يجري العمل حاليا على انجاز ٤ قرى جديدة (طيرة حيفا، الشيخ مونس، الدوايمة، بيت جبرين).

* نفدت .

Digitized by Birzeit University Library

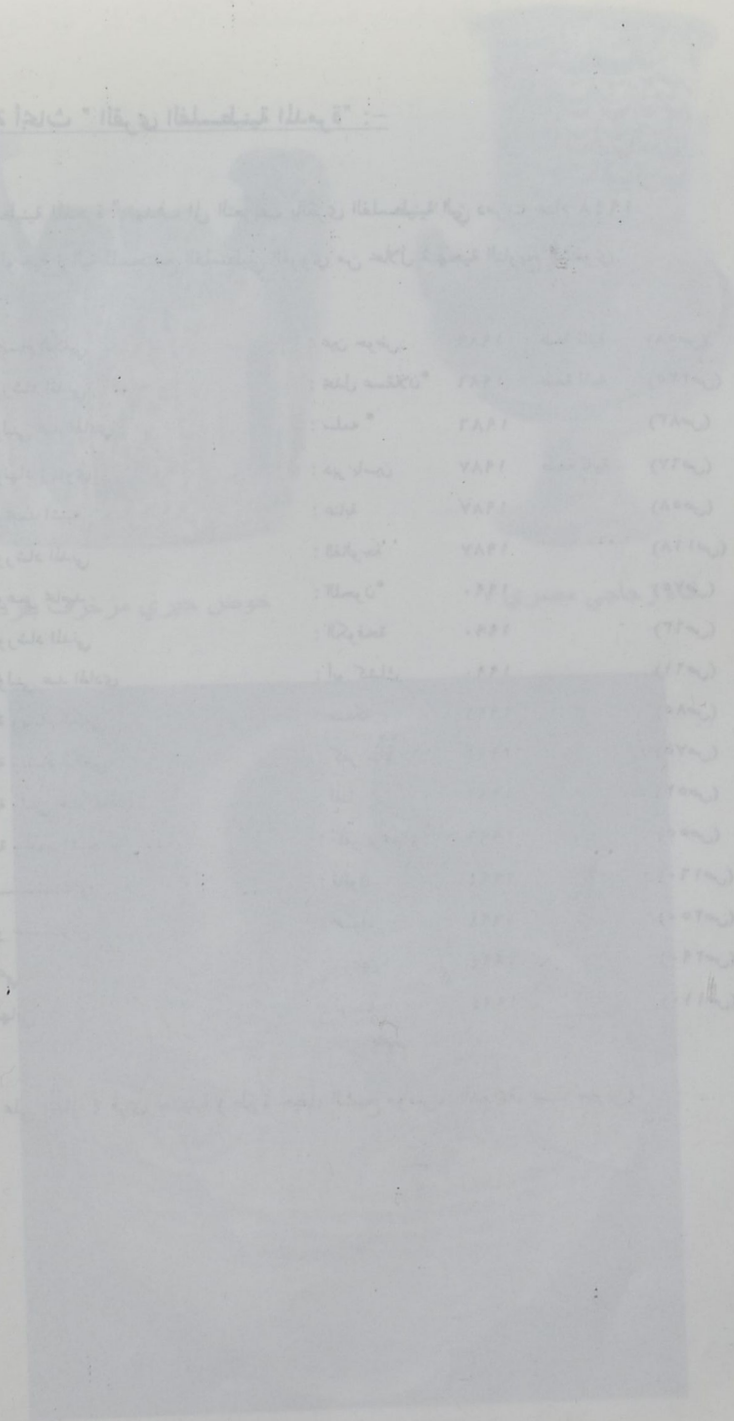

Digitized by Birzeit University Library

The Centre for Research and Documentation of Palestinian Society

The Project on Destroyed Villages and 'A Race Against Time' - The National Archive of Oral History

The Centre for Research and Documentation of Palestinian Society at Birzeit University is currently engaged in the Oral History project on the hundreds of Palestinian villages destroyed in the Arab-Israeli conflict of 1948. The main idea of this project is to preserve the testimony of a generation of refugees who remember their former homes, their villages and lands lost in 1948. Many of these refugees from 1948 have died and with them we have lost forever vivid and priceless information about these villages. We feel it necessary to collect the testimony of this generation before it is too late. We need to have a record and detailed study of every destroyed village. We should try to be as true as possible in our description of the lives of the villagers, their sorrows, their joys, their habits and customs and the compelling story their expulsion under the hand of Zionism from their homes. This story needs to be told so that the new generation of people from these villages who left while young or who were born in exile can know about their history and be proud of their heritage and their part in the history of the Palestinian people. It is important that the name of the village is not just a name of the Palestinian map but brought to life in the testimony of the people who lived in these rural enclaves.

Since the signing of the Oslo accord on September 13, 1993 the Palestinian people have entered a significant period in their history. Supporters and opponents of Oslo agree that this new period is also one of significant challenges and the culture of the Palestinian people must be preserved in the light of the new political arrangements. The notion of a Palestinian homeland must be preserved from a cultural perspective. If we cannot regain our lost rights by political means, then let us not abandon our culture and our history.

We, therefore address ourselves to the task of preserving our history and culture. The centre believes that recording the testimonies of the remaining generations of the inhabitants of the villages destroyed in 1948 is a national priority that must be met. This book about Abu Shusha is a prime example of how oral history can help in re-writing Palestinian history. This is why the Research Centre feels that the next step in this area should be the establishment of a National Archive for Oral History under the title 'A Race Against Time'. It is a project which intends to create a national register of oral history from the surviving villagers of the destroyed villages, towns, and beduin dwellings of Palestine.

To facilitate this project the Centre needs to train a special team of researchers who will know how to collect oral history. The Centre will also recruit a specialist archivist to establish the national archive, to catalogue and reference the material collected. These materials will be deposited in the National Archive at the CRDPS and another copy of material will be held outside the country. The Archive at Birzeit will be open to researchers, academics and the sons and daughters of the destroyed villages.[1] The Archive should also be viewed as a national resource that promotes the rights of the Palestinian refugee community in future peace negotiations.

The reader of the series on 'Destroyed Palestinian villages' will notice how we have combined oral and written history together and that this combination makes the study richer. This combination helps with accuracy and yet it allows us to deal with the legends and folklore that the old people of every village recite. It is necessary to talk about the difficult circumstances in the field affecting the conduct of such studies. Our subjects live in exile all over the world. This makes it difficult for us to contact all the exact representatives of the families who lived in the villages. We therefore admit that our study is not conclusive and we hope that the readers of this book will inform us of any gaps and provide us with new information to augment our modest series.

[1] The CRDPS has a questionnaire of fifteen pages which covers many aspects of life in Palestinian villages. Anyone who wants to record a testimony about his or her village can contact the Centre and we will send a questionnaire.

Digitized by Birzeit University Library

raise their families, were then forced to cope on their own and to organise the burial of the dead.

The women formed a committee and asked for permission to bury the dead. They undertook the grisly task with tears in their eyes. They found it impossible to dig the ground that had baked hard under the hot May sun. They were also unable to organise a decent burial as there was no-one available to conduct the burial service or recite the prayers. Thus the men were buried where they had fallen rather than in the village graveyard. The women threw the bodies in ditches or covered the corpses with soil and stones. The most shocking scene for them - and they still remember this - was when they reached the house where the men had been butchered with axes. It was a horrifying sight.

The tragedy continued. One soldier spotted a woman and her thirteen year old son trying to escape. The boy was axed to death as the woman's cries for mercy rang out through the air. The soldiers also killed an old woman and stole the only things she owned - two cows. Two mines exploded, blowing the feet off two of the women.

In the midst of this terrible situation the women realised that they couldn't live alone and that they needed each other for protection. They gathered together and brought their families under one roof. In certain houses their shared their lives and their household duties, and tried to look after their children. The women remained in the village. During this period one villager who had escaped returned on several occasions. Each time he took away a group of women and reunited them with their male relatives who had escaped. Their husbands, fathers and brothers awaited them in the neighbouring villages of Qubab and Ni'ana.

The Jewish soldiers who occupied the village during this period were unaware of the secret escapes facilitated by the villager. They soon ordered the remaining women and families to come to their headquarters in the occupied village. There the officer in charge commanded the villagers to leave, 'travel to the east and go to King Abduallah', he ordered. There was no time for the villagers to pack their meagre possessions. The soldiers prepared a 'suitable farewell' for the defeated villagers. The soldiers stood in lines and made the villagers run the gauntlet of their blows and beatings. The whole experience planted untold fear into the hearts of the dejected villagers of Abu Shusha. Some women were injured and three even miscarried their babies during this terrible ordeal. The inhabitants of the village were forced into exile and scattered, while their collective heritage, some six thousand years old, was lost.

Ironically, four hours after the massacre, the Jewish People's Council was meeting in Tel Aviv. Those present were there to draft the Declaration of Independence for the new State of Israel. In this declaration the Arab citizens of the state were promised full and equal citizenship and representation in all state structures. However, the villagers of Abu Shusha, - themselves now citizens of the new state - were denied any rights, and their forceful expulsion meant they had no place in the state-in-making. The were forced from lands which belonged to them by right. They became homeless and penniless refugees compelled by Zionist policy to quit their homes and settle elsewhere.

Our research centre contradicts accepted testimony about the fate of Abu Shusha after its inhabitants were forced to flee. The Israeli historian Benny Morris wrote that the village was completely destroyed after it was occupied. Yet the stories which were collected from the surviving villagers of Abu Shusha paint a different picture. There are reports that the buildings of the village remained intact for some time after evacuation. During the first months of their exile the villagers often slipped back to the abandoned village to reclaim their possessions. There was even an unconfirmed report from a shepherd that the village was still standing in 1967. In 1978, however, Israeli bulldozers swept away the remains of the village and its derelict buildings. The site of the village of Abu Shu'sha became unrecognisable. When a team of three researchers from the Centre visited the site in 1987 and when the Director of the Centre visited in 1993, they found it very difficult to find the site of the village.

Thus, of all the other villages we have written about, Abu Shusha occupies a special place in our history and our hearts. This is because of the discovery of the massacre in 1948 in the final days of the British Mandate. Of course, as we have noted, Israeli sources and references - including the diary of the war by David Ben Gurion - took advantage of the villagers' silence, and thus failed to mention the massacre. But it is our belief that the fate of Abu Shu'sha was just one result of a decision by Ben Gurion himself to rid the State of Israel of as many of its Arab inhabitants as possible. The massacre of Abu Shusha is significant to us because in the following pages we publish, for the first time, the details of the dreadful events of May 1948, we have recited the names of the dead so that their memory lives on in the hearts of every Palestinian.

Further details about this massacre, the names of the victims, the site where they were killed and buried can be found in this book.

Dr. Saleh Abdel Jawad
Director of CRDPS
Birzeit University

Digitized by Birzeit University Library

the announcement of the independence of the State of Israel, and before the decision of the Arab governments to send their armies to Palestine, Palestinian society was on the point of collapse.

As British soldiers prepared to evacuate the country the administrative structures of the mandate government crumbled. The Palestinian leadership had never been allowed by the British to prepare themselves to inherit the mantle of government. While the Zionists had created a 'state in-waiting', the Palestinians had been excluded from the decision-making process and positions of power by the Mandate authorities. This situation led to a sense of anarchy in Palestinian circles, uncertainty about the future and a vacuum in the political leadership and organisation. All this contributed to a growing sense of panic.

On the military front the Palestinians were unable to mount their own defence. They did not possess substantial stocks of arms and ammunition. The level of military organization and preparedness was almost nil. The only exception to this was a couple of thousand armed men led by Abdul Qadr al-Husseini gathered together under the banner of 'jihad muqadis' (holy struggle).

The war situation, after the Deir Yassin massacre on 10 April 1948, entered a new phase. This phase was heralded by a change in Zionist military strategy - the threat or act of massacre - as a means of forcing many thousands of Palestinians to flee their villages and homes in fear of their lives. These villagers followed on the heels of thousands of middle-class and wealthy Palestinians who had already left their homes and moved to more 'secure' Palestinian neighbourhoods in other parts of the country.

One defeat after another, one massacre after another, fear and panic characterised the whole of Palestine. Thousands fled trying to protect their own lives as well as those of their children and loved ones. On April 17 1948, the town of Tiberias fell amidst similar scenes of panic, and all the Palestinians were compelled to flee. Within days of this happening, a similar course of events took place in Haifa. Thousands of Palestinian inhabitants left and within a week only a few thousand remained. They were moved to a single neighbourhood in the city. When on 13 May 1948 the Zionist forces prepared to occupy Abu Shu'sha, the defeated leading citizens of Jaffa signed an unconditional surrender with the forces of the Haganah. The situation was increasingly alarming.

Although the picture was bleak and the consequence of the events forced the choice of either death or exile, the residents of Abu Shusha, who then knew the fate that awaited them, arranged a meeting. They decided to stay in the village and defend their homes and lands, and to protect the tombs and burial places of their forefathers.

It was not an easy decision for the village to reach. It followed a short but passionate debate, with the spectre of Deir Yassin present throughout the discussions. Some argued for an evacuation of the village believing that their exile would be short-lived. The majority, however, argued for remaining in the village and protecting it. The villagers then had to decide how to protect their loved ones in the forthcoming conflict. The debate centred on two

options: the first was to evacuate the women, children and the aged and let the fighters remain. The second option was to let the women, children and aged remain but to hide them in the village caves. The latter option was chosen.

The villagers then set about organising themselves for the forthcoming battle. There were about seventy rifles in the village, 20 of which were old-fashioned muskets. The villagers also had in their possession one old machine gun sent by the famous Arab leader Hassan Salameh, as well as some mines. The fighters positioned themselves around the village and its borders. They began their wait filled with fear and trepidation, and some families even attempted to flee under the cover of darkness rather than face the imminent conflict. However, these families were discovered by other villagers and returned to the village.

The assault itself began with heavy bombardment by mortar shells from the Jewish artillery. Many houses and streets were damaged in the onslaught. By 09:00 hrs the Zionist soldiers marched on the village. The fighters of Abu Shusha tried to repel the attack, and some were killed in the defence. Their lines, however, were easily broken as their arms were no match for the efficiency of the Zionist forces. Some of the fighters stationed on the village boundary line were disarmed and executed by the Jewish fighters as they took the village. Other unarmed villagers fleeing to the east were captured and killed, unable to defend themselves. Once the village had been occupied, the Zionist forces began the process of cleansing the village of its Palestinian inhabitants. Villagers were killed on the street or in their homes. Some were axed to death and others were shot dead. In one of the houses the Jewish fighters found a group of men and killed them with axes. In front of another house some men were lined up against a wall and executed. This apocalyptic scene was repeated throughout the village and continued until a deathly silence prevailed, announcing the victory of the Zionist forces.

However, this was not the end of the tragedy. Further chapters remained as the soldiers were unaware that some villagers had hidden themselves in nearby caves. They discovered the caves two or three days later when they found a woman foraging for food in her house. The frightened woman led the soldiers to the caves where the inhabitants were ordered to leave. A few men hid in the far recesses of the cave in order to escape detection, making their escape later. With blind fear in their eyes, the sun bright on their faces after days in the caves, the remaining villagers came out of hiding. The women who remained both saw and smelt the death and decay of their loved ones. The bodies of the slain fighters had been left unburied in the hot May sun. Their bodies were swollen and decomposing, the maggots and flies ate their flesh. The women saw the bodies of their relatives, their husbands, sons, brothers and uncles.

In this terrible moment, the brave and lonely women faced an uncertain future. The only man among them was too old to help, and ironically the soldiers made him raise a white flag of surrender over the village. These women, who in the past had risen early to feed their family, worked in the fields, returned to their homes to launder clothes and bake bread and

Digitized by Birzeit University Library

The Massacre[1]

At the dawn of 14 May 1948, when the first light of day began to reveal itself and replace the darkness of night, while the muezzin called 'Prayer is better than sleep' and while through the plains and valleys the echo of the call 'Allahu Akbar' rang out, the units of the Zionist Givati brigade began their final assault on the village of Abu Shusha east of the Palestinian town of Ramleh. The object of the military operation was to occupy the village and deport its Palestinian inhabitants.

This was the beginning of the unknown massacre in which around sixty Palestinian men, women, and children were killed. The luckiest of them were shot dead individually during combat. Others, however, were rounded up and shot together, and some were killed by axe-wielding soldiers. The last thing that these victims saw was the grim demeanour of their murderers. The massacre was beyond the imagination of these villagers.

The residents of Abu Shusha witnessed the arrival of Jewish reinforcements at the neighbouring settlement of Kibbutz Gezer the day before the massacre. Everyone in the village realised with fear that their 'midnight hour' was upon them, and that the final assault on their village was near. The assault was to follow months of minor skirmishes between the Jewish settlers of Kibbutz Gezer and other Zionist communities in the area and the Palestinian villagers. The village had thus already experienced the psychological warfare of the Zionists. The settlers had previously suggested a non-aggression pact between them and the villagers[2]. However, the main purpose of such proposals was to play for time, giving the leaders of the Haganah the space to concentrate their military forces on other fronts in the early stages of the war. The other purpose of such agreements was also to create tensions and fissures in Palestinian villages known for their factionalism and to create deeper divisions among them concerning the agreements. The villagers of Abu Shusha had rejected such proposals.

At the height of the massacre, the scene in Abu Shusha was a bleak one, mirroring the general picture in Palestine at that time. On the same day - 13 May 1948 - two days before

---

[1] Translated and edited from Arabic to English by B. Milton-Edwards, CRDPS, March 1995.

[2] Such agreements were negotiated betweeen settlements and certain Arab villages such as Sheikh Muwannis, Jammasin, Masu^diya, Qisarya and Deir Yassin. The Zionists, however, never respected these agreements or honoured their promises. They forced the inhabitants of these villages from their homes when the balance of power was in their favour. In the case of Deir Yassin, the agreement with the village mukhtar (head) did not prevent the Zionists from engaging in the known massacre and deporting the remaining inhabitants. For details of such agreements see: B. Morris, The birth of the Palestinian refugee problem, 1957-1949, Cambridge University Press, 1987, pp. 33-4.

Digitized by Birzeit University Library

Abu Shusha
Ramleh District

Table of Contents

Introduction by Dr. Saleh Abdel Jawad	1
Preface and Acknowledgements	11
Chapter 1: Geography of Abu Shusha	17
Chapter 2: Abu Shusha Through History	37
Chapter 3: Economic life of the village	77
Chapter 4: Society, Culture, Traditions and Welfare	127
Chapter 5: 1948 - The Exodus of Abu Shusha	181
Endnotes	229
Selected Bibliogaphy	247
Appendix and Documents	255
Photographs	269

Digitized by Birzeit University Library

Summary

Abu Shusha is no. 18 in the series of monographs on Palestinian villages destroyed by Israel which has been published by the Centre for Research and Documentation of Palestinian Society at Birzeit University. The idea for this visionary project was articulated in 1979 by Prof. Sharif Kana'neh and Dr. Kamal Abdulfattah and is continued today by the Centre. This series aims to document and preserve Palestinian history and culture for future generations. In this series we have written about the Palestinian villages and their inhabitants who were forced to leave their homes and lands during the Arab-Israel war of 1948-1949. The forces of the state of Israel destroyed approximately 450 villages which, according to British Mandate statistics from 1945, were home to over 340,000 Palestinians. Abu Shusha was destroyed along with other villages to make way for the building of settlements according to the Zionist plan. This plan failed to conceive of the villages as part of a society whose social fabric included giving life to Palestinian children, ploughing fields, collecting harvests, marrying and burying the dead.

While studying the village of Abu Shusha we followed our format of combining oral history with available written historical sources. We contacted many aged surviving villagers who now live in the towns and refugee camps of the West Bank, Gaza Strip and Jordan. We recorded their memories of the many spheres of life in their village. In 1948 there were approximately 870 inhabitants of Abu Shusha, while today we estimate that there are approximately 4,200 villagers and their descendants still living.

We have tried in this book to paint a picture of the village before the disaster (al-nakbah) of 1948. The image created is rural and traditional in nature. For example, Abu Shusha depended upon agriculture for its livelihood, while the villagers were socially conservative peasants who practised their religion and celebrated the traditions and the customs of a village over six thousand years old. The main finding of our book, however, is that of the documentation of the unknown massacre at Abu Shusha that took place in May 1948. The villagers had remained silent about the deaths of their loved ones as their tragedy seemed minor in the face of the national Palestinian disaster. Their misfortunes went unrecorded and they sought no compensation from the Israelis who they considered an unfair arbiter on the subject. Thus the silence remained. There are no Israeli sources or accounts of the deaths at Abu Shusha, but this book presents the testimony of surviving villagers to the events of 1948.

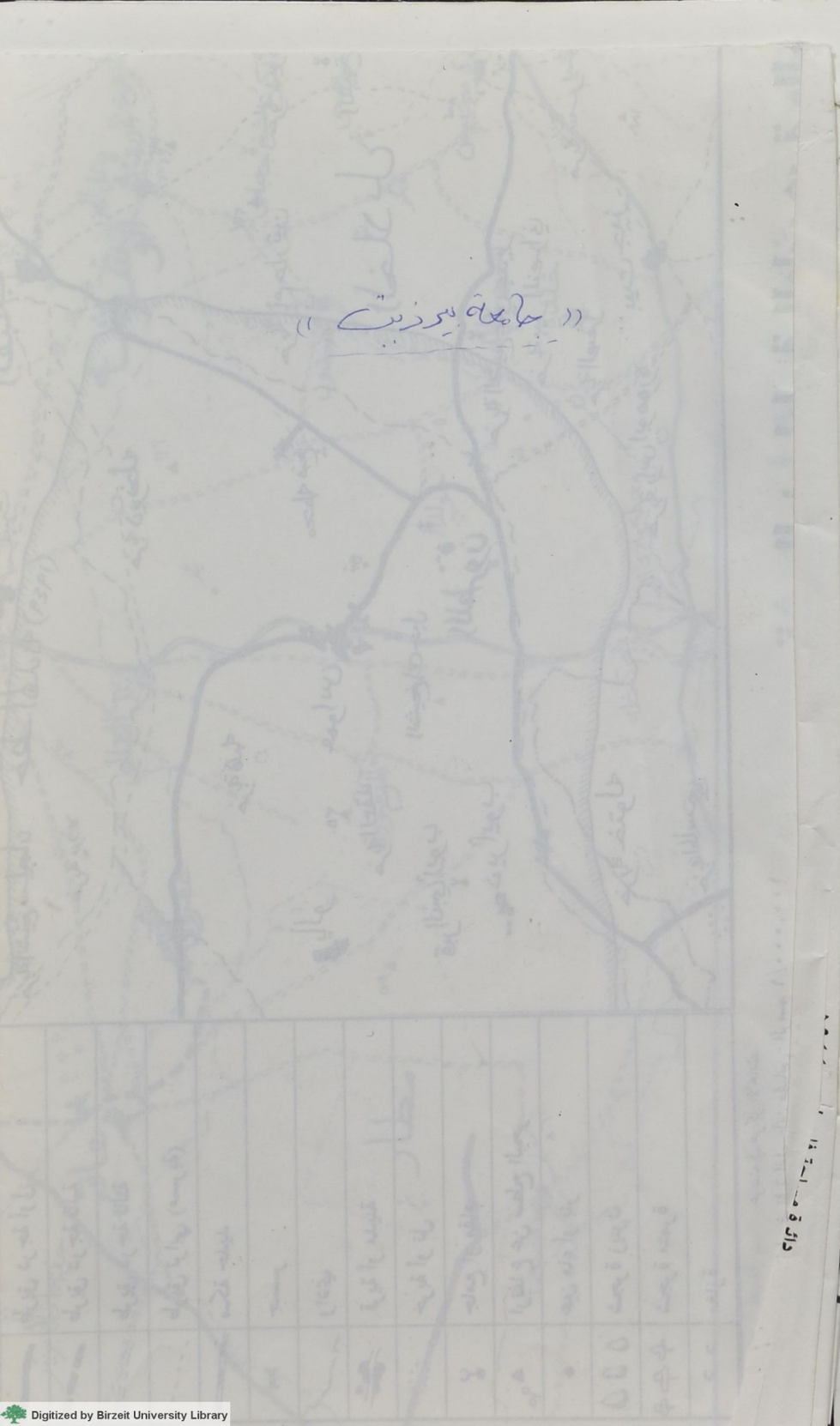

« جامعة بيرزيت »

Birzeit University
Centre For Research and
Documentation of palestinian

Series of Palestinian destroyed villages (No. 18)

Abu Shusha
(Ramleh Sub - district)

BY

Nassir Yaa'gub **and** **Fahoum Shalabi**

Supervising Editors

Dr. Walid Mustafa **and** **Dr. Saleh Abdel Jawad**

مكتبة جامعة بير زيت

March - 1995

Digitized by Birzeit University Library